

سلسلة التراث العلوي

١٠

شرح الكتاب التنبيه

تأليف
حسن بن حمزة الشيرانزي

تحقيق وتقديم
أبو موسى والشيخ موسى

دار الأجل المعرفة
ديار عقل - لبنان

شرح كتاب التنبيه

هوية الكتاب

- سم الكتاب : شرح كتاب التنبيه
سم السلسلة : «التراث العلوي»، رقم ١٠
قديم وتحقيق : أبو موسى الشيخ موسى
بأسه وصفحاته : (١٧ × ٢٤ سم)، ٢٧٢ ص.
ار النشر : دار لأجل المعرفة، ديار عقل - لبنان
طبعة الأولى : سنة ٢٠١٠

سلسلة التراث العلويّ

١٠

شرح كتاب التنبيه

تأليف

حسن بن حمزة الشيرازي

تحقيق وتقديم

أبو موسى والشيخ موسى

دار لأجل المعرفة

صدر من سلسلة

«التراث العلويّ»

١. رسائل الحكمة العلوية (١)
٢. رسائل الحكمة العلوية (٢)
٣. رسائل الحكمة العلوية (٣)
٤. مجموعة الحرّانيين، المؤلفات الخاصة (١)
٥. مجموعة الحرّانيين، المؤلفات العامة (٢)
٦. المجموعة المفضّلية
٧. الهداية الكبرى
٨. مجموعة الأحاديث العلوية
٩. كتب العلويين المقدّسة
١٠. شرح كتاب التنبيه

تقديم

قُلْتُ المعلومات التي وصلتنا عن حسن بن حمزة الشيرازي، وهو أحد أهم الغلاة النصيريين الذين حاولوا التوفيق بين فلسفة ابن عربي وبين تيارات الغلو وبالأخص تيار النصيريين حيث قُتل حسن بن حمزة الصوفي البلاني بسبب انتمائه إليه في دمشق.

ولد الشيرازي سنة ٦٦٠ هـ في بلدة بلنسية بالأندلس، وكان أجداده من شيراز. وبعد منتصف القرن الثامن الهجري هاجر إلى القاهرة، ومنها جاء إلى دمشق. هذا ما أشار إليه في مقدمته "وجعلتها هدية مني إلى اصدقائنا الحاضرين في الديار المصرية والساكنين في الأقاليم الشرقية والغربية أحاطهم الله برعايته".

كانت دمشق حين وصول الشيرازي إليها سنة "٦٨٣" للهجرة، تزخر باضطرابات سياسية واجتماعية على اثر نزوح التتر والفرنجة عن بلاد الشام. وكان الصراع المذهبي على أشده بين القضاة والفقهاء، وقد لعب الحنابلة دوراً هاماً في هذا الصراع، وكان المنظر لهم أحمد بن تيمية (٦٦١-٧٢٨).

جاء الشيرازي إلى دمشق، وكان ابن تيمية في السجن، وترجم له ابن كثير تحت عنوان "قال الرافضي الخبيث"، قال فيه: "وظهر الشيرازي في الجامع الأموي، وكان ممن يقرأ بمدرسة أبي عمر يلعبا الواقعة في سفح جبل قاسيون، وقد سجنه المحتسب أربعين يوماً، فلم ينفع ذلك. وأثناء السجن حرر رسالة في عقيدته، فأظهر مذهبه في الغلو واتهم بالرفض. فرفع أمره إلى القاضي المالكي جمال الدين المسلاتي، وأحضر الضراب فأول ضربة قال: لا إله إلا الله وعلي ولي الله..... ضربت عنقه يوم الخميس في ١٧ ربيع الأول عام ٧٦٦ هـ، - ١٣٦٥ م وأحرقت العامة جثته كما جاء في البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٢٤.

جمع الشيرازي بين فلسفة النصيريين ووفق بينها وبين طريقة شيخه ابن العربي، وقد شرح أهم كتبه على يد علامة العصر الشيخ أحمد محمد حيدر.

ثمة رسالتان أخريان للعالم المحقق المدقق "حسن بن حمزة الشيرازي" الصوفي البلاتيني. وقد عثر عليهما الدكتور "صالح عزيمة" في باريس بالمكتبة الفرنسية بتاريخ ١٩٨٦/٧/٦.

تاريخ هذا المؤلف لم يُعرف بعد لدينا، ولا نشك أن له تاريخاً حافلاً بين أعلام الشيعة لأنه فارسي ولأن كوكباً كهذا لا يُسترُ ضوءه لا بل شمساً كهذه لا يخفى شعاعها، سيقيض الله له باحثين يظفرون به غير أنه يعرف من مؤلفه هذا أنه من الكمال أرباب الكشف والمشاهدة وأنه يُكثر من قراءة ابن العربي الصوفي الشهير ويتأثر به ويعرف الفارض معرفة تامة. مولده شيراز مهذّب التشيع ومنبت الغلو، وزمانه بعد الفارض والمكزون وابن العربي لأن الفارض والمكزون متعاصران بين أواخر القرن السادس وأوائل السابع، وأجزم أن له مؤلفات غير هذا الكتاب وقد ذكر أنه ألف كتاباً، واعتماده على نفسه، وعلومه بأحقية مذهبه يفوتان حدّ التصور، وحكمه على السلوك قاسٍ مرّ شديد اللهجة شائك المرمى. وقد ذكر أنه أفقٌ خصيصاً لإخوانه الساكنين في الديار المصرية والحاضرين في الأقاليم الشرقية لتعذر الاجتماع معهم وكأنه كان قد شاخ.

والشيخ أحمد محمد حيدر شارح كتبه ولد في قرية حلة عارا بيت ياشوط من منطقة جبلة في محافظة اللاذقية عام ١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٨٨ م.

نشأ وترعرع في بيت تقى وعلم فورث عن والده رحمه الله - الورع والتقى وعلو الهمة وشيئاً من ثروة حاول في البداية تنميتها ثم المحافظة عليها، فلم يوفق، فكان ذلك عنده أعظم التوفيق إذ بدأت كفة ميله الى العلم ترجح. فدرس التركية في صباه حتى أجادها، كما أجاد العربية، نحوها وصرفها من خلال الكتب التي كانت شائعة في عصره، كالأجرومية وغيرها، وقد ولع العلامة الجليل في فجر حياته بالأدب اي ولع، فقرأ روائعه ودرس سير أعلامه، وبفضل ذكائه الناقد وحافظته القوية فقد تمكن من حفظ الكثير من عيون الشعر وبديع الخطب وبخاصة خطب نهج البلاغة. كما وعى أخبار الأعلام من رواد الأدب العربي والعالمي، إذ لم يعزل نفسه عن الأدب العالمي فقرأ مترجماً، لكن ولعه بالأدب لم يقلل من رغبته في الفهم والعرفان، ولم يخفف من شوقه الى البحث والتحري، ففي كل كتاب يقرؤه ومع كل عالم يلتقيه كان يتطلع الى معنى وراء الكلمات يشبع لهفته ويروي ظمأه الى المعرفة، وهكذا انجذب الشيخ رويداً

رويدا الى ميدان العلوم الالهية رغبة في معرفة بواطنها ووصولاً الى فهم خفايا الأسرار، حتى غدا في طليعة العارفين الالهييين، وشهد له بالتقدم كل من عاصره أو قرأ له.

وقد كان من عادة العائلات الرفيعة أن يكون كتاب التنبيه من اوائل الكتب التي تعلم للمتفقه العلوي، وهذا ما حدا بالعلامة الشيخ سليمان الأحمد الى حفظه عن ظهر قلب، كما فعل هذا أيضاً خليفته العلامة الشيخ أحمد حيدر، وقد تحمس فيما بعد لشرح كتاب التنبيه فلاقى معارضة كبيرة من دعاة الاباحية في عصره، لم تمنعه هذه المعارضة من قيامه بهذا العمل.

حتى ان احد اكبر دعاة الاباحية في عصره وهو عبد الهادي حيدر قد طلب منه عدم القيام بهذا العمل مما ادى الى عداوة بين الاثنين باقية حتى الساعة بين ابناء الفريقين.

ويقول العلامة الشيخ احمد حيدر في مقدمة شرحه: "فهذه المزاعم الباطلة والآراء الفاسدة تراءى يورّد عليك العويس من آرائهم وعميق مراميمهم فيشرّخه لك شرحاً وافياً يبرد القلب ويتلج الصدر ويفتح أمام العالم الموحّد وحتى البسيط آفاقاً من الرتب الإيمانية وأجواء من المراتب الإحسانية بها...."

ولا نعلم إن كان الشيرازي قد دخل الغلو بعد دخوله الى التصوف أم أنه رجع من الغلو الى التصوف، شأنه شأن نخبة من المفكرين القدامى الذين يرون أنّ هذه الشروط التي وضعها الشيرازي كالصدق والصبر والمروءة والحياء وحسن الخلق والتواضع، لا تشبه أبداً مجتمعاً كمجتمع العلويين الحاضر، حيث لا يعتبر الزواج ضرورة ملحة لا بد منها ولكنه عندهم حاجة جماعية، يطالبون فيها بتحقيق مبدأ "شيوعية النساء" وعدم التقيد بزوجة واحدة فقط، طالما ان أفلاطون قد نادى بذلك^١.

ولهذا فقد عدل العلويون عن الخوض في التصوف، وقد قاوم الكثير منهم مبادئه وأفكاره بعد أن رجّوا له لبرهة من الزمن، لأن التصوف يدعو الى العفة، في مجتمع لا يعتقد سوى بمبدأ محورية دور الرجل الذي يحيط به عدد من النساء الحرائر،

^١ "تعدد الزوجات في مشاكل المرأة بعد الزواج" تأليف الكاتبة سميحة الخير ص ٢٠.

بالإضافة الى عدد من السراري، يتزوج الرجل بمن يشاء منهم، ويمتلك من يشاء،
ويدخل تحت سلطانه من يشاء، فالمرأة عنده عبدة وأمة يهديها لمن يشاء.

لذا يسعى العلوي منذ طفولته الى أن يتعلم "المعرفة" وهي معرفة أن لا جنة ولا
نار و لا حساب ولا عقاب. وأنه متى أدرك أن علياً هو "القمر" صار روحانياً يمكنه أن
يعاشر زوجة تلميذه، ويجعل من زوجته متاعاً رخيصاً يمكنه بسهولة التخلي عنه.

ابو موسى الحريري

والشيخ موسى

mosahariri@hotmail.com

كِتَابُ فَرَائِدِ الْفَوَائِدِ الْعِلَوِيَّةِ فِي قَوْلِهِ الْعَقَائِرِ الْغَلَوِيَّةِ

وبياحة الكتاب

يقول الفقير، من الفقير، إلى الفقير^١، حسن ابن حمزة بن محمد الشيرازي الصوفي البلاتسي جمع الله له بين مشاهدة^٢ العين^٣ ومكاشفة^٤ الكون:

المعنى: يقول: فإذا علمت كما تقدم أن الفقر هو الفناء، والفقر إذا تم هو الله، علمت أن معناه يقول الفقير لله سبحانه الفاني في ذات الله سبحانه المتكلم بذات الله سبحانه، أهدي كتابي للطالب المسترشد الى الله. أو يكون معناه يقول الفقير الفاني في الله الآخذ عن الفقير الفاني في الله أهدي كتابي للطالب المسترشد الى الله. أو هو نفس ما قاله الجيلي في آخر كتابه المسمى بالكهف والرقيم مستعيناً بالله ناظر الى الله أخذ بالله عن الله، وقد سألت عنه السيد محمد جواد التبريزي فكان خلاصة جوابه أن

١ الفقير ضد الغني وقد رُفد الفقر أن يكون عند الفقير ما يكفي عياله. وعند الصوفيين الفقير الصادق لا يملك ولا يملك، وأساس التصوف الفقر وبه قوامه. وقال بعضهم: «نهاية الفقر بداية التصوف لأن التصوف اسم جامع لكل خلق سني والخروج عن كل خلق ديني»، ومن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بشيء مما أشار إليه القوم والتحقق بالفقر أن يكون عند السالك أعلى من العسل والمال عنده أمر من الحنظل فحينئذ تترادف عليه المواهب وتتسع له المعارف حتى يكون أغنى الأغنياء:

متى عصفت ريح امرئ قصفت أذا غناء ولو بالفقر هبت لأرابت وأغشى يمين باليسار جزاؤها مدى القطع ما للوصن في الخب مذبذب

٢ المشاهدة: هي الإدراك بإحدى الحواس الظاهرة أو الباطنة والمشاهدات هي المحسوسات وقد تجعل أعم أو أخص منها.

٣ العين: ذات الشيء نفسه.

٤ المكاشفة من كاشف بما في نفسه أظهره وأطلعه عليه. وقد شرح قسمة الله هاتين الرتبتين المكاشفة والمشاهدة في القاعدة الرابعة بأن المكاشفة ظهور الأشياء في القلب قبل وقوعها في القلب وهي أنتم من الفراسة وهي دائمة، والمشاهدة عبارة عن نور يستضيء به السر فينفى عن الأكوان ويغرق في بحار الحال والوجود. وقد قالوا للسالك أربعة أسفار:

السفر الأول السير من حدود النفس الى حدود القلب وهو سيره في الإسلام وعلى غير الطريق ويسمونه السفر من الخلق الى الحق.

والثاني سفره من حدود القلب الى الله وهو سيره في الإيمان وعلى طريق وبدلالة الشيخ المرشد ويسمونه السفر من الحق الى الحق.

والثالث: سيره بعد الفناء في المراتب الإلهية من غير ذات وشعور. ويسمونه السفر من الحق في الخلق.

والرابع: سيره بعد صحوه وبقاؤه في الله ويسمونه السفر بالحق في الخلق فحينئذ يكون فني في الله ولم يبق له وجود وحصل على رتبة الفقر والفقر. إذا تم هو الله.

الإنسان ممكنٌ ويأخذ عن ممكنٍ مثله؛ وهذا الشرحُ كما تراه بعيدٌ كل البعد عن مرامي الصوفيين.

الحمد لله العليّ الأحد^١ القديم^٢ المعنى^٣ الصمد^٤، الكريم القويّ القادر الفسرر الحكيم الذي أنعم على عبده بظهوره بذاته ووجوده، وثبتهم على توحيده، وأهلّ^٥ اسمه بالظهور لخلقه كخلقه من غير تمثيل^٦، فظهر كاسمه من غير ظهير^٧ ولا عدل^٨، فكان ظهوره بالصورة المرئية للجنس^٩ إنساً بشرياً، وفي بطونه^{١٠} للعقل نوراً شعاعياً^{١١} صمدانياً ومعنى كلياً^{١٢}.

فسيحاته من عظيم احتجب عن عيون خلقه بشدة حركة ظهوره وكمال إشراق نوره ودلهم على معرفته بكمال حضوره رحمةً بالمؤمنين وفضلاً ونقمةً على الكافرين وعدلاً.

المعنى: يقول: إن الله سبحانه أنعم على عبده بظهوره ليثبتوه فيعرفوه فأظهر اسمه السيد محمدًا للبشر كالبشر من غير أن يتمثل بهم وظهر سبحانه كاسمه من غير أن يحتاج إلى معين يظاهاه ولا مثيل يضاهيه، فكان ظهوره للجنس البشري مجانساً بشرياً وفي بطونه نوراً مستطيلاً شاملاً، احتجب عن خلقه بشدة

الأحد والواحد من صفات الله الحسنى والفرق بينهما أن الأحد بُني لنفي ما يذكر معه من العدد تقول ما جاعني أحد. والواحد اسم بني لفتح العدد تقول جاعني واحدٌ من الناس ولا تقول جاعني أحد فالواحد منفردٌ عن الذات بعدم المعنى والنظير، والأحد منفرد بالمعنى وسيمر للفظ الأحد زيادة تعريف عند إثباته وجود الحق سبحانه من طريق الوجود.

القديم خلاف المحدث جمعهُ قدامى وقدماء وقدايم وأصله في اللغة السابق فيقال الله تعالى قديم بمعنى أنه سابق الموجودات كلها.

معنى الشيء ومعناته ومعناه وفجواه ومقتضاه ومضمونه كله هو ما يدل عليه اللفظ وقد يطلق على ما يقابل اللفظ وهو ما لا يدرك بإحدى الحواس الظاهرة.

الصمد محرّكة السيد المطاع الذي لا يقضى نونه أمر وهو من صفاته تعالى والدائم الباقي بعد فناء خلقه والمصعب الذي لا جوف له.

أهله للأمر تأهيلاً رآه أهلاً ومستحقاً وجعله أهلاً لذلك.

التمثيل التشبيه بالشيء وجعله مثله.

الظهير المعين تقول اللهم كن لي ظهيراً.

العدل المثل والنظير.

الجنس بالكسر الضرب من كل شيء جمعهُ أجناس وجنوس. وعند المنطقيين هو أعم من النوع فالحيوان جنس والإنسان نوع لأنه أخص من قولنا حيوان وإن كان جنساً بالنسبة إلى ما تحته.

البطون مصدرٌ بطن أي خفي.

الشعاعاني: المنتشر.

الكلي: نسبة إلى الكل والكل هو جامع الأجزاء أي أنه كُلُّ المعاني كما يقال العقل الكلي.

الظهور وكمال إشراق النور (ومن شدة الظهور الخفاء) فحجاب القهرية ورداء العزة والكبرياء هو الذي منع الأبصار من رؤية نوره الأصلي الجبروتي ولا طاقة للعبد الضعيف برؤية نور الحق إلا بواسطة الأكوام الكثيفة وقد نشر عليها الأردية المعنوية:

لقد ظهرت فما تخفى على أحد
لكن بطنت بما أظهرت محتجباً
إلا على أكمة لا يبصر القمر
وكيف يعرف من بالعزة استترا

فكان هذا الاحتجاب وكمال حضوره بذاته للبشر رحمةً للمؤمنين شاهدهوه
فعرفوه بالمعاجز والقدر، ونعمةً على الكافرين جحدوه وأنكروه بوقوفهم عند الأشكال
والصور:

سقرت فاحتجبت عنك العيون ففي
وما اختفى الصبح عني يا منى أملني
حجب العيون كمال اللطف أبدك
لكنما السقم عن عيني أخفاك

ظهر لهم فيما ظهر فلم يكن لظهور ظهر به شبيه ولا ند^١ وبطن فيما بطن
فلم يكن له نظير ولا ضد^٢ والصلاة^٣ على نوره المتصل به من غير انفصال وسره
الساري في الكل^٤ من غير اتصال وبدنه البادي في الكل من غير انفعال^٥ وعلى
بابه الكريم والواصلين إليه من الأبواب والأيتام وأهل المراتب العلوية الكرام وعلى
خلفائه المبركين من طلب الحطام المنزهين عن السلوك في الأرحام وعلى ورثة
السادة الطاهرين البالغين في توحيده أتم السلام:

^١ النذ بالكسر المثل ولا يكون إلا مخالفاً جمعه أنداد ونودو، يقال له ما له نذ أي نظير هي نذ فلانة
ولا يقال ند فلان.

^٢ الضد المخالف والعدو والمثل يقال هو ضده أي مثله ومخالفه جمعه أضداد والمراد هنا المثل.

^٣ الصلاة لغة الدعاء وهو أصل معانيها والرحمة والاستغناء وحسن الثناء من الله عز وجل.

^٤ الكل اسم موضوع لاستغراق أفراد المتعددة أو لعموم أجزاء الواحد وتفيد التكرار بسخول ما
الظرفية عليها.

^٥ الانفعال مصدر انفعَلَ مطاوع فعل تقول فعلت الشيء فانفعَلَ مثل كسرت الزجاج فانكسر.

المعنى: يقول: ظهر الله بذاته للعالم ولا من شبيه لما أظهر من قدرٍ وعلمٍ بالمغيبات وبطن فلم يكن لبطونه نظير في عالم المجردات. فالصلاة على اسمه السيد محمد المتصل به غير مفصول عنه (إن وصلت اتصلت وإن فصلت انفصلت) فهو سره الساري في المكونات من غير اتصال بها ولا امتزاج بل مدّؤها منه وصدورها عنه وقيامها به فهو (ص) أول بدء ابتدأه سبحانه من نور ذاته اختراعاً، الياضي فعله في كل ما صنع من غير أن يكون منفعلاً، بل هو الفاعل لجميع المفعولات قال الأمير الخطير:

(مبتدا كون الوري له خير) وقال الشيخ (وَأول بدئه البادي) وفي مناظرة الشيخ يوسف الرداد التفصيل العجيب للفاعل والفعل والانفعال. والصلاة على باب الاسم العظيم وعلى المراتب العلوية (العالم الكبير) وعلى خلفاء العالم الكبير المبرئين من طلب الخطام وهم العالم الصغير، وعلى ورثتهم في تلك الخلافة (المؤمنين) أتم السلام. وهنا تنزيه العالم الصغير كما في كل كتب المحققين كأبي سعيد وجلال الدين وغيرهما.

وبعد فهذه رسالة دالة وعجالة مختصرة تشتمل على أثبات وجود المعنى القديم الذي هو مفيض الخير والجد بالوجود على كل قابل له أولاً وأبداً مع وحدته وظهوره بذاته لخلقه كخلقه من طريق الاستدلال عليه بالوجود كما هو

المعالجة بالضم ما يتعجله الراكب من شيء وما يتعجل للضيف من طعام، وما تزوده الراكب مما لا يتبعه أكله ومنه المثل (التمر عجالة الراكب) يضرب في الحث على الرضا بيسير الحاجة.

أشمل على الأمر أحاط به. الأزل بالتحريك القدم الذي ليس له ابتداء واستمرار الوجود في أزمنة متعددة غير متناهية في جانب الماضي.

الأبد استمرار الوجود في المال. الوجود ما به قيام الموجودات، والوجود بذاته حقيقة واحدة غير مكتسبة التحقق تظهر هذه الحقيقة في أنواع الموجودات من أعلاها إلى أسفلها متفاوتة بشدة الظهور وضعفه بحسب مراتب الموجودات متكررة بعدها. فالموجودات تنزل مراتب الوجود بفيض النور بحسب سلسلة التكوين فقط وليست متحققة بنفسها بل تتحقق بحقيقة الوجد فهي معلولة والوجود علتها وبين المعلول والعلّة سبب يسمى المعلولية والأشياء الموجودة ليس لها تصرف بأنفسها مطلقاً لأنها من حيث ليست شيئاً يتعلق بالوجود والعدم فهي إذن بأنفسها ليست موجودة ومداركنا الحيوانية لا تدرك إلا مفردات الموجودات لا تنفذ إلى إدراك السر الساري مراتب الوجود من النور المجرد إلى البسيط إلى المحسوس هو بحسب تنزل أسماء الله وصفاته، فالمكونات فعله وما ظهر صفاته، فيسقط الحقيقة كل الأشياء وليست بشيء من الأشياء (وسيلتيك زيادة تفصيل لهذه المعاني) وذلك أن الحقيقة لا تدخل تحت شرط بل هو مطلق النظر عن الشرط يعني أن خضرة الحق سبحانه لا يدخل تحت قيد ما من حصر وتشبيه وغيرهما ومع ذلك لا ينافي بوجوده الموجود الداخل تحت قيد ما يقطع النظر عن

دأب المحققين^١ من أهل الشهود^٢ ومن طريق النظر في الحركة والسكون كما هو دأب المتكلمين^٣ من أهل الحدود^٤..

المعنى: يقول : إن تأليفه هذا رسالة دالة وكلمة متعجلة تحيط بإثبات وجود المعنى القديم الذي أفاض الخير والحدود بإفاضة الوجود على كل قابل للخير من هذه الموجودات في إزالة الماضي الذي لا أول له باستمرار إفاضة الخير في أزمنة غير متناهية الى أبد غير متناه يثبت أولاً الوجود من طريق المحققين المكاشفين الذين لا يحجبهم عن النظر إليه جبل منيف ولا حجاب كثيف وثانياً من طريق النظر بالحركة والسكون شأن أصحاب علم الكلام من أهل الحدود الذين وقفوا عند حدود المكونات مستدلين بها على موجد أوجدها دون النفوذ الى معرفة بواطنها الذي هو تجليات الله سبحانه في أسمائه وصفاته وأفعاله كما لأصحاب المشاهدة والمكاشفة:

هذه الشمس قابلتتنا بنور
ولشمس اليقين أبهر نورا
فرايننا بهذه النور لكننا
بهايتيك قد راينا المنبرا

القيد ومتى قطعنا النظر عن القيد لا يبقى إلا الوجود المطلق فحينئذ يدخل في عدم المنافاة مع المقيد: قال الشاعر:

وما الخلق في التمثيل إلا كتلجة
وأنت لها الماء الذي هو نايغ
فما السيلج في تحقيقا غير مائه
وغير ان في حكم نفثه الشرائع
ولكن بنوب السيلج يرفع حكمه
ويوضع حكم الماء والأمر واقع

وما ورد في الأخبار والآيات في بياق الاتحاد مع بقاء المعايير بين الوجود المطلق والموجودات المقيدة مثل قوله سبحانه

(أينما توليتم فثم وجه الله، هو بكل شيء محيط) وقول المعصوم (داخل في الأشياء لا بالمجازة) مما يدل على الاتحاد والمغايرة أجود من قولهم بسيط الحقيقة كل الأشياء، وفي الأصغر تفصيل الوجود وأنه وحدة لا تتجزأ والتجزؤ فيه اعتباري فقط.

حقق القول أو الظن صدقة والشيء أكده وأثبتته.

الشهود جمع شاهد وهو معان الشيء وحاضره والمطلع عليه، وعند الصوفيين هم أهل الكشف الذين يرون الله في كل شيء.

المتكلمون أصحاب علم الكلام وهم أهل الأصول فمن تكلم بالمعرفة والتوحيد كان أصولياً، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعياً والأصول هي موضوع علم الكلام والفروع موضوع علم الفقه.

الحدود جمع حد الفصل بين الشينين ومنتهى كل شيء لأنه برؤءه ويمنعه عن التصادي، وأهل الحدود عند الصوفية هم الذين وقفوا عند ظواهر الأشياء محتجين تحت الملك الذي هو عالم الشهادة فأبركانهم مقصورة على المحسوسات فإن الإدراك لا بد أن يكون من جنس المدرك بل متحداً معه، فالمدرك إذا كان ملكياً أي بشرياً كان إدراكه ملكياً فقط، فالأرواح بالنسبة إليه غيب لا يرى وهكذا كلما ارتقى السالك رتبة يكون ما بعدها غيباً بالنسبة إليه بخلاف أهل الشهود والمكاشفة.

وسميتها: بفرائد^١ الفوائد^٢ العلوية^٣ في قواعد^٤ العقائد الغلوية^٥ ورتبتها على مقدماتين وأربع قواعد وخاتمة وهي عدة كاملة للطالبيين في أصول السدين غنية وافية بمقاصد السالكين من مقام علم اليقين^٦ إلى حق اليقين^٧ إلى عين اليقين^٨ لتكون تبصرة للضعفاء من المؤمنين المصدقين للرواة المسلمين لما نقلته عن الأئمة الطاهرين المستسلمين لإحكامهم في الدين بعلم اليقين وتذكرة للمستبصرين الذين طلبوا تحقيق أخبار الرواة مع تصديقهم لها بحق اليقين وتكملة ورحمة ونوراً وهدي وبشرى للبالغين الذين شاهدوا الحق بعين اليقين.

المعنى: يقول: إنه سمي هذه العجالة بفرائد الفوائد العلوية في قواعد العقائد الغلوية ويا له من اسم. ومقدماتها وقواعدها الأربعة وخاتمتها تبصرة للضعفاء المستسلمين لأحكام الأئمة المعصومين والذين درجتهم في السلوك علم اليقين وتذكرة للعلماء الذين بلغوا عين اليقين وتكملة ونوراً وهدي للمشاهدين الذين رتبتهم حق اليقين.

^١ الفرائد جمع فريدة الجوهرية النفيسة.

^٢ الفوائد جمع فائدة تحصل للإنسان من علم أو مال وهي اسم من فادت إليه فائدة.

^٣ الغلوية نسبة إلى الغلو كناية عن الفيوضات الإلهية.

^٤ قواعد البيت لاسمه الواحدة قاعدة وأركان البيت وزواياه الأربع.

^٥ الغلوية نسبة إلى الغلو وأنت تعلمه.

^٦ اليقين إزاحة الرتب وتحقيق الأمر. يقال لنا على يقين من ذلك الأمر، واليقين أيضاً العلم الحاصل من نظر واستدلال ولذلك لا يسمى علم الله يقيناً بل يسمى علم اليقين وعلماً يقيناً.

^٧ حق اليقين خالصته وواضحته وهو من إضافة البعض إلى كله لا من إضافة الشيء إلى نفسه لأن الحق غير اليقين.

^٨ عين اليقين ذاته وحقيقته، وعند الصوفيين علم اليقين لأهل الدليل والبرهان وعين اليقين ذاته لأهل الشهود والعيان.

وحق اليقين لأهل الكشف والبيان مثال ذلك سمع بمكة ولم يرها فهذا علم اليقين فإذا استشرف عليها ورآها ولم يدخلها فهو عين اليقين فإذا دخلها وتمكن فيها فهو اليقين، وكذلك طالب الحق إذا كان باقياً من وراء الحجاب فلياً في الأعمال فهو في علم اليقين فإذا استشرف على الفناء في الذات بقدر درجهم غير أنه جميع ما رآيت من ذكر مراتب اليقين، وهذه المراتب تجليات الله سبحانه للسلوك اليقين إلا هو قسمه الله حتى الأمير فرتيناهما بالشرح كما ترى: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين لعلمنا أن عين اليقين دون حق اليقين رتبة، غير أنه تحقق لدينا ما قلناه علامتنا الجليل قدسه الله في شرحه ديوان المكرون إنما قم صلح قلبه حق اليقين على عين اليقين لأمر ما.

وجعلتها هديةً مني إلى أصدقائنا الحاضرين^١ في الديار المصرية والساكينين في الأقاليم^٢ الشرقية والغربية أحاطهم الله برعايته وأعاتهم على الرجوع إلى طاعته حيث كانوا وأين ما يكونوا من الأقاليم والبلدان فقلّ الحائد عن الطريق يرجع والغافل يتدارك ويسمع ومن به سنة^٣ الغفلة يتيقظ فلا يهجع^٤ كما أمر الله تعالى في كتابه العزيز (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات ٥٥) ولما أحصرت عن الترحال^٥ وتعذر^٦ عليّ الاجتماع بالإخوان في الحال ألفت هذه الرسالة ليقف عليها أعيان المؤمنين وسادات الموحدين وكبراء المحققين وقوفاً شافياً ويتدبروها تدبراً كافياً فإن وجدوها لدانهم شافية ولما اشتكل عليهم في أصول الدين كافية حمدوا الله على ما أولاهم من الفهم الثاقب^٧ والرأي الصائب في كشف ما بهم من غمة والرجوع إلى أعلى المراتب في المعرفة بعلو الهمة فإن لم تصادف قبولاً لسوء الحظ احتراماً ولا تبجيلاً أعادوها إلى مؤلفها فما عليهم عارها ولا علق بهم غبارها^٨ فمؤلفها أولى بسترها وأحرى بتجرع مرّها وهذا أليق بذوي المكارم وأجدر بالعاقل اللبيب العالم فإن العقول تتفاوت والأغراض تتباين ولكل مقام مقال ولكل عمل رجال وفي تفاوت الإفهام حكمة إلهية وأسرار ربّانية كما قال الله تعالى (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (يوسف ٧٦)

المعنى: يقول أحسن الله فهمنا ما يقول لما تعذر عليه الاجتماع بإخوان لبعده المزار (وكأنه كان قد شاخ) ألفت هذه الرسالة التي ليس لها شبيهة في كتب الموحدين على ما أرى ليقف عليها أعيان المؤمنين وكبراء المحققين فإن وجدوها دواءً لأكوائهم حمدوا الله على ما أولاهم من نعمة فهمها (وهذا اتكال منه على جليل معارفه ومكاشفاته) وإلا أعادوها لمؤلفها فهو أحرى منهم بتجرع مرّها وأولى بستر

^١ الحاضرين جمع حاضر من أقام بالحضر خلاف البادية.

^٢ الأقاليم جمع أقليم وهو الرستاق بلغة الجرامقة (قوم من المعجم كانوا بالموصل في عهد الإسلام) هو السواد الناحية والقرى وغري رزداق ويقسمون به المملكة كما تقسم بالكور (جمع كورة الصقيع) والطاسيج جمع طسوج الناحية.

^٣ المننة والوسنة نقلة النوم.

^٤ هجع: نام وقيل الهجوع مطلق النوم.

^٥ خضر عن الترحال امتنع منه إذ لم يقدر عليه.

^٦ تعذر: تعسر.

^٧ الثاقب المتوقد أو الذي وُصف بشهرته وارتفاعه.

^٨ الغبار كغراب ما دق من التراب.

قبحها والعقول تتفاوت بالمعارف والأعراض تختلف لدى المستهدفين وبهذا التفاوت حكمة إلهية وهي فتح باب الجذِّ والاجتهاد لنيل درجات العلوم الإلهية والأسرار الربانية، وليُعلم فضل العالم على المتعلم والطالب على المجتهد على من دونه، وهذا سرُّ من أسرار التكليف ووجوبه هداً لله.

وقال (عليه السلام) (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (المجادلة ١١)

فبان لكم وجه الحكمة^١. في العقول وسبب تفاوت القبول لما يرد عليها من سماع المنقول بقدر صفاء المرآيا لأن القلوب مرآيا بعضها أصفاً من بعض فتقبل الإشراق الإلهي وتستنير معارفها بالفيض^٢. الرباني فلهاذا لا يستوي اثنان في درجة من العلم. والأيمان^٣، والعمل والإحسان^٤، والكشف والعيان^٥ والبيان^٦ والبرهان^٧

١- خصص الله الذين آمنوا برفع الدرجات لأن غير المؤمنين لا درجة لهم، ولأن أجر العمل مشروط بالإيمان، وخصص العلماء من بينهم بالذكر لشرفهم وعلو درجاتهم بالنسبة للمؤمنين فإن فضل العالم على سائر الناس كفضل النبي على سائر الخلق، أو كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، ويوزن دم الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء.

٢- الحكمة: العلم بحقائق الأشياء وعبارة من أفضل الأشياء، وسيأتي تحقيق واسع عنها.

٣- الفيض مصدر فاض كثير وسال ومنه فيضان النيل والمراد هنا فيض الأنوار الربانية، وستعرفها مما يمر بك إن شاء الله.

٤- الإيمان مصدر آمن به صدقه ووثق به والرجل اطمأن فهو آمن وضد الكفر وعند الصوفية هو قبول الدعوة الباطنة إما يكون صاحبه في مقام الصدر غير خارج منه إلى نواحي القلب، وهذا لا يخلو من اضطراب في بعض الأحيان ولا يخلو من صرف النفس عن جهتها الإلهية إلى جهتها البشرية وإذا خرج من حدود الصدر الذي هو محل الإيلايم إلى حدود القلب الذي هو محل الإيمان صار خارجاً من الأرتباب ومن الأعوجاج الذي هو تدخل أعراض النفس في الأعمال الإلهية وقبول الأحكام القلبية والأعمال الشرعية إن كانت موافقة لما في القلب كانت إسلاماً وإن لم تكن موافقة لم تكن إسلاماً ولذا قال سبحانه (قالوا أسلمنا). ولم يقل ولكن أسلمتم ولما يدخل الإيمان في قلوبكم بسبب البيعة الباطنة بالإيمانية، وما لم يدخل في قلب الإنسان بذر الإيمان لم يصدق عليه أنه مؤمن وفي قوله سبحانه (يؤمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي أسلمكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) (الحجرات: من الآية ١٧) نصريح بأن المسمى بالإسلام غير الإيمان بل هو مقدمة للإيمان وفي الأخبار نصريح بذلك فالثواب على الإيمان فقط، والإسلام لا يفيد إلا حفظ الدماء وجواز المتابعة وصحة الثوارث. والإيمان بمعناه الشرعي يناسب كلا من معانيه اللغوية.

٥- الإحسان مصدر أحسن أتى بالشئ الحسن وضد أساء وأحسن الشئ علمه وعند الصوفية نور البصيرة الذي يقود السالك للمشاهدة.

٦- الكشف والعيان عند الصوفية هو الكشف عن الأبصار والبصائر، وأهلها يرون الله عياناً، وسيأتي عند ذكره الرتب الثلاث: الغرامه والمشاهدة والمكاشفة زيادة تفصيل لها.

٧- البيان الفصاحة وإظهار المقصود بأبلغ لفظ والكشف والظهور.

٨- البرهان بالضم للحجة الفاصلة بينة، وربما كان المراد به السكينة التي على الأنبياء والمؤمنين وهي تجلي المرشد على صدر السالك وهي الاسم الأعظم الذي يفر منه الشيطان.

لقلوله تعالى حكاية عن الملائكة الأعلى (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) (الصافات ١٦٤) فإذا كان هذا حال عالم الغيب والمملوكات^١ وهو عالم الأنوار فكيف لا يطرد هذا في عالم الشهادة^٢ والمملك وهو عالم المزاج أعني الإنسان فإن الله أبدعه من النور والظلمة^٣ وهو مجموع العالمين^٤ وهو الصراط بين الجنة والنار وبين عالم النور وهو العقل وبين عالم الظلمة وهو الحسن^٥ وهو برزخ^٦ بين الوجود^٧ والإمكان^٨ وقد قال الله تعالى في حق من غلبت على مزاجه الظلمة (وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء ٨٥) والعلم هو نتيجة^٩ العقل.

فذلك خاطب الحق سبحانه وتعالى أهل العلم ونعتهم^{١٠} بذوي الأبواب. فقال (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ^{١١} مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَبْطَابِ) (البقرة ٢٦٩)

^١ المملوك: العز والسلطان والمملك العظيم وهو فعلوت من الملك كالهويوت من الرهبة، وعند الصوفيين عالم الأنوار كما ذكر قدسه الله وسيأتي شرح مفصل له.
^٢ عالم الشهادة عالم الأكوان الظاهرة الحسية بمقابلة عالم الغيب.
^٣ النور عامل طبيعي يعين على الإبصار وهو عبارة عن موجات كهربية.
^٤ الظلمة ذهاب للنور وبعبارة أخرى هي عدم الضوء عنا من شأنه أن يكون مضيئاً جمعها ظلم وظلمات وربما كني بالظلمة عن الضلالة وبالنور عن الهدى، وسيأتي عن النور والظلمة تعريف واف إن شاء الله.
^٥ العالمان عالم النور والظلمة.

^٦ الحسن المراد به عالم المحسوسات والحس المشترك عند الحكماء هو الذي ترتسم به صور الجزئيات المحسوسة بالحواس الظاهرة وهي المشاعر الخمسة: السمع والبصر والشم والطعم واللمس.

^٧ البرزخ هو الحاجز ما بين شينين ومن يوم يموت الإنسان إلى يوم يبعث حياً، وبرازخ الإيمان ما بين الشك واليقين، والمراد الحد ما بين عالم النور وعالم الظلمة وهذا البرزخ هو عالم الإنسان: ولي برزخ ما بين بحري صبايتي ودونهما للعاشقين برازخ.
^٨ الوجود بالضم الثبوت وضرورة اقتضاء الذات عينها وضد الإمكان.
^٩ الإمكان ضد الوجود وهو ما يجوز أن يكون ويجوز ألا يكون. والمراد بالوجود والإمكان عالم النور وعالم الظلمة والإنسان برزخ بينهما. وسيأتي عن الوجود والإمكان شروح مستفيضة.
^{١٠} النتيجة الولد، ومن المجاز هذه المقدمة لا تنتج نتيجة صادقة، وهذه نتيجة من نتائج كرمك.
^{١١} البعت وصف ما كان ثابتاً من خلق وخلق والصفة إنما هي في الحال المنتقلة.

^{١٢} الحكمة العلم بحقائق الأشياء وعبارة عن أفضل الأشياء بأفضل العلوم وهي إدراك نقائق المصنوع الإلهي وغاياته المترتبة عليه وهي الحكمة النظرية والقدرة على صنع مصنوع مشتمل على دقائق الصنع والغايات المترتبة عليه إلى غاية هي أشرف الغايات بالنسبة إلى مقام الصانع وهي الحكمة العملية. وتطلق الحكمة على كل واحد منهما وعلى المجموع، ولما كان إدراك الدقائق المودعة في المصنوعات وأعمال الدقائق المقصود لها خاصين بالله، فالحكيم على الإطلاق هو الله تعالى، وسائر الناس حكماء بقدر إدراكهم وقدرتهم على الصنع، وتلك الحكمة أي إدراك دقائق المصنوع الإلهي والغايات المترتبة عليه، والقدرة على صنع مصنوع مشتمل على غايات منتهية

المعنى: يقول : إن قلوب الناس مرآيا لقبول التجلي الإلهي والمرآيا بعضها أصفى من بعض، وبقدر الصفاء يكون الإشراق من التجليات الإلهية وفيوضات الأنوار القدسية، فلهذا لا يستوي أثنان في درجات السلوك من أولها الذي هو الإيمان إلى آخرها الذي هو الغناء ببقاء وهذا مطردة في عالم النور فكيف لا يطرد في عالم البشر وبذلك رفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، والإنسان أبداع برزخاً بين النور والظلمة، وصراطاً بين الجنة والنار يؤدي إلى هذه وحداً بين الوجوب الذي هو عالم النور وبين الإمكان وهو عالم الظلمة فمن غلب عليه العلم فقد أوتى الحكمة مترجاً بمراتبها ومعانيها ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً رزقنا الله.

فلذا كان الواقف على هذه الرسالة لاحظاً له في فهمها ونبذها ورآء ظهره كان معذوراً إذ لم يحط بشيء من فهمها وعلمها كما قال الله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله^٢ (يونس ٣٩)

وقال الله تعالى (وإذ لم يهتدوا به فسيفولون هذا إفك قديم) (الاحقاف: من الآية ١١) ونقول في عدم فهمه لها ما قاله الله تعالى لرسوله (وإن كذبوك فقل لي عني ولكم عنكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) (يونس ٤١)

إلى غاية هي لشرف الغيات لا يمكن حصولها إلا بعد فتح باب القلب بالولاية لأنه ما لم يفتح باب القلب بالولاية فتفتح عين القلب بها لم يكن الإدراك إلا بعين الخيال والخيال محط في إدراكه وغير متجاوز في إدراكه عن الغيات الدنيوية، وإذا فتح باب القلب بالولاية يدرك الإنسان أولاً دقائق الصنع المودعة في نفسه وعلمه الصغير (أي قوى نفسه وأجزاء جسمه الذي هو نسخة عن المكونات جميعها) ويدرك حول الشيطان في إغوائه وليلطف الملك في تصرفه ويقدر على دفع حول الشيطان وتقوية تصرف الملك وإذا استقام في ذلك وخلص من تصرف الشيطان تمكن من إدراك دقائق الصنع في العالم الكبير والغيات المترتبة على مصنوعته تعالى ويقدر على التصرف فيها بقدر قوته قليلاً وكثيراً. فيجوز تفسير الحكمة بكل من اجتنب الكبائر وبالكتاب والتثبت عند أوائل الأمور والوقوف عند عواقبها، والقفه في الدين. وقد صرّحت بالاتباع علماء وعلماء وهي غاية خلق الإنسان بل خلق العالم.

الألباب جمع لب ما زكا من العقل وخلص كل شيء وكل لب عقل ولا ينمكس والإنسان يتصلم عبادته وعظيم طاعته ما لم يتخذ قلبه بالولاية كان كشجرة اللوز والقصق لم يكن لشمرها لب، فلا ييسر من دقائق المصنوع شيئاً ولا من دقائق حول الشيطان وإذا اتخذ قلبه بالولاية صارت أثمار أصله نوافذ أبواب وأبصر من الدقائق والحيل بقدر ما عنده من الولاية فما لم يتخذ قلبه بالولاية لا يتذكر ذلك وإذا فقد تذكر.

أفعال كيفية الإنسان وما هو عليه من خير وشر يتذكر ويؤت. فتأويل ما يؤول إليه الشيء، والفرق ما بين التأويل والتفسير أن التفسير كشف المراد من اللفظ والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يوافق اللفظ وتأويل القرآن عن إرجاع ألفاظه إلى حقائقها الثابتة في المراتب النورية. وسيلتي بيان ولسع عن ذلك. يرى من الحبيب والدين وغيرهما سلم.

فمؤلفها أولى بمستر عوارها^١ واحتمال المكروه من شنارها^٢ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم. عليه توكلت وإليه أتيت. زيادة

المعنى: عذر رفع الله درجته من نبذ رسالته وراء ظهره إذ لا حال له في فهمها بتقريع حضرة الحق الذين كذبوا نبيه برسالته بقوله سبحانه (وإذ لم يهتدوا به فسيفولون هذا إفك قديم) (الاحقاف: من الآية ١١) (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) (يونس: من الآية ٤١) فكانه يقول لذلك المعذور لا عذر لك يجب أن تتعلم فتعلم ثم يقول له متهماً به رد رسالتي علي فانا أولى بمستر عيوبها التي زعمت وأحرى باحتمال مكروه شناعتها التي رايت ولكنني لا أدعو لشيء وأخالف من دعوته الى غيره إن أريد الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

فلنبتديء بفهرس هذه الرسالة:

المقدمة الأولى^٣: فهي لبيان تذكرة نافعة وموعظة حسنة جامعة واردة عن الأئمة الأطهار في الحث^٤ والتحضيض لإخواننا المؤمنين الأبرار على رياضة^٥ النفس وقمع^٦ الطبع والمحافظة على ظواهر الشرع التي هي عبارة عن التقية^٧ والتقوى^٨ والورع^٩ وكنعان الأيمان^{١٠} إلى يوم الأذان^{١١} بالإعلان^{١٢} ورفع التقية^{١٣} والكنعان^{١٤} وحقوق الأخوان.

^١ العوار مثله الخرق في الثوب والشق والعيب.

^٢ الشنار بالفتح أفح العيوب والشين المشهورة شناعته والعار الفاضح.

^٣ المقدمة: فصل يعقد في أول الكتاب وتقدم.

^٤ حثه: أعجله في اتصال وعلى الشيء حضمه عليه وله وإليه نديه وقريب منه إلحاض.

^٥ الرياضة: للتنليل. وعند الرهبان خلوة أيام للعبادة. وعند أرباب السحر خلوة يتركون بها التنسره ولتنم في المعيشة ويستدعون بها الأبالسة بالقراءة والتبخير يزعمون أنهم يستخدمونهم بذلك فينصبون لقضاء حوائجهم. وعند الصوفيين هي ما يفرضه الشيخ المرشد على المالك من أوراد وقلة نوم وكل مما يراه مناسباً له.

^٦ القمع للردع والتنليل والقهر.

^٧ التقوى: ترك الشبهات، ولسم من الاتقاء وحق التقوى ألا يبقى من المتقي عين ولا أثر بطي جميع مراتب التقوى عن ذاته وعن تقواه في جنب ذات الله. ومراتب التقوى كثيرة بحسب البشرية غيره بحسب الصدر والقلب والروح، وهكذا.

^٨ الورع: التقوى. وقيل ترك المحظورات.

المقدمة الثانية: فهي لبيان سرّ حصر هذه القواعد الأربعة في عدد الأربعة ناقصة^١ من سائر الأعداد لا أقل ولا أكثر:

القاعدة الأولى: فهي لبيان معرفة إثبات وجود المعنى القديم وظهوره بذاته وجوده لخلقه كخلقه. وفيها سبعة تنبيهات^٢.

القاعدة الثانية: فهي لبيان إثبات وجوب^٣ المعرفة لله تعالى على الإنسان البالغ العاقل الرشيد وفيها ثلاث تنبيهات.

^١ الإيمان: التصديق والانقياد والوثوق والطاعة، وله عند الصوفيين أقسام بحسب توجههم إلى الله. فللإيمان إلى الله إيمان بالله في مقام الوحدة التي هي مرتبة الجمع والتوجه إليه عن مقام الكثرة وهي تعدد المظاهر في مراتب الوجود، وإيمان في مقام الكثرة والتوجه إليها بالله وفي هذا المقام له نحو تصرف في الكثرة بخير أو شر بحسب الاتجاه؛ قال تعالى (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) (التوبة: من الآية ٦١) فقولهُ يؤمن بالله إشارة إلى الإيمان بالوحدة والجمع. وقوله يؤمن للمؤمنين إشارة إلى الإيمان بالكثرة الذي هو تعدد الموجودات بحسب تعيينات الوجود لأن المفاعيل كلها لله وهي خير محض ولكنها بحسب القوابل تصير ببعض خيراً وبعض شراً والكتمان فرض في كل الشرائع وعن كل الحكماء:

فصنعت صيباتي بها عن أقاربي وأخفيت أمراضي بها عن أطبائي
وما جئت بالمستور تحت خمارها إلى مائل في الحب عن نهج ملتي

^٢ الأذان الإعلام.

^٣ الإعلان مصدر أعلن زيد الأمر أظهره وبالعداوة وجاهر بها.

الأربعة لها عندهم سرّ عظيم يحوي جميع الأسرار كما تحوي هي جميع العدد. فقد اختلفت الفلاسفة في الواحد أهو من العدد أم هو مبدأ العدد فإن الاثنين واحد مكرر أول تكرير وكذلك الثلاثة والأربعة ويراد به ما يحصل منه العدد أي هو علته ولا يتركب منه لأن العدد غير المعدود. وقد تالزم الوحدة جميع الأعداد على أن العدد تركب منها بل كل موجود في جنسه ونوعه واحد وفي العدد كذلك؛ فإن الثلاثة في أنها ثلاثة واحدة فالوحدة بالمعنى الأول داخلة في العدد وبالمعنى الثاني علة العدد. وليس من الأقسام الثلاثة قسم يطلق على الباقي تعالى معناه فهو واحد لا كالأحاد أي هذه الوحدات والكثرات منه وجنت ويستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه القسمة، فكل البسائط العامة الكلية في العدد واحد واثنين وثلاثة وأربعة وهي الكمال وما زاد عليها فمركبات ولا حصر لها فلذلك لا تنحصر الأبواب الأخر في عدد معلوم بل تنتهي بما ينتهي به الحساب ثم تركيب العدد على المعدود، وتقدير البسيط على المركب. فالأربعة كما رأيت هي كل العدد. ولذا بنى المؤلف البيت المحجوج، وستعلم أن صفات الله أربع وتنزلات الوجود أربع فأربع إلى الأركان الأربع، وأن تعليقه بليغا.

^٢ التنبيهات جمع تنبيه الإيقاظ والإعلام والتوقيف على الشيء وإلى الشيء.

^٣ الوجوب: للزوم والثبوت.

القاعدة الثالثة: فهي لبيان معرفة الإنسان نفسه ووجوبها عليه. إذ بمعرفتها يعرف ربه. وفيها تنبيهان.

القاعدة الرابعة: فهي لبيان حقيقة الإيمان^١ ومراتبه^٢ وصورته^٣ وروحه^٤ ومقاماته^٥ ودرجاته^٦ وما يجب على المؤمنين من حقوق بعضهم بعضاً وفيها خمسة تنبيهات.

وأما الخامسة: فهي لبيان شروط الإيمان وحقوق الإخوان فنقول وبالله التوفيق ومنه يستفاد التحقيق:

المعنى: فصل قدسه الله ونفعنا بعلمه ومعرفته القواعد الأربع التي ألف الكتاب لأجلها وهي كل ما يلزم المتدين من معرفة الله تعالى ولما كانت هذه المراتب الإيمانية هي الغاية من القاعدة الرابعة لا بل هي الغاية من الكتاب كله، أرجأنا الكلام عليها حتى نصل الى ذكره إياها فنوفيه حينئذ شيئاً من حقها إن شاء الله.

المبايعة

إعلموا أخواني المؤمنين وفقكم الله لمرضاته إن المبايعين أربعة: الرسل والأئمة والعلماء والسلطين. والمبايع في هؤلاء الأربع على الحقيقة واحد وهو الله تعالى لقوله لنبيه (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ..... الآية) (الفتح ١٠) وهؤلاء الأربعة شهود الله تعالى على بيعة^٧ هؤلاء الأتباع.

^١ حقيقة الشيء غايته وأصله المشتمل عليه.

^٢ المراتب جمع مرتبة المنزل، والمنزلة الرفيعة.

^٣ الصورة بالضم شكل الشيء وتمثاله والصفة والنوع.

^٤ الروح بالضم ما به حياة الأنفس يُذكر ويؤنث.

^٥ المقامات جمع مقام، وهي السيادة.

^٦ الدرجات جمع درجة المراقبة والطبقة من المراتب.

^٧ البيعة التولية وعهدها والصفقة على إيجاب البيع والطاعة والمبايعة. إن النفوس البشرية خلقت متعلقة بما بدت منه وهذا التعلق جزء جوهر ذاتها وهو مميز لها عن الجواهر النورانية الصرفة وبه منشأ شوقها الى مبدئها فإن ساعدها التوفيق وتعلقت اختياراً بمظاهر الأنبياء والأوصياء فازت بالحياة الأبدية، وإن خذلها الله وتعلقت بالشیطان ومظاهره هلكت، ولما كانت في بدو الأمر لا تدرك إلا ما اقتضته القوى الحيوانية والشیطانية ولا تتيسر لها المدارك العقلانية إلا بواسطة أمر الله تعالى بالتعلق بمظاهر العقول من الأنبياء وخلفائهم، ولتطابق العوالم، عالم ظل وتوافق المراتب مرتبة بشكل مرتبة، ولزوم سريان حكم كل عال في الداني؛ أمرهم الله بالبيعة بعقد يدي المتعلق والمتعلق به، وتعلق سمع كل بلسان الآخر وصوته ليكون التعلق النفساني موافقاً للتعلق الجسماني، وتلك سنة

وعلى هؤلاء المبايعين الأربعة شروط تجمعها المبايعة لهم فيما أمروا به
فاما الأئمة والرسل فلا يَمُرُونُ بمعصية أصلاً لأنهم معصومون منها^١.
وكذلك العلماء (المشايخ) فمَحْفُوظُونَ.
وأما السلاطين فمن لحق منهم بالعلماء (المشايخ) كان محفوظاً وإلا كان
مخدولاً^٢ ومع هذا فلا يطاع في معصية.
والفرق بين المعصوم والمَحْفُوظ: إنَّ المعصوم هو الذي لا ينوي الشر^٣ ولا
يصدر عنه.

والمَحْفُوظ: هو الذي ينوي الشر ولا يبسر الله له فعله والمتبعين له كذلك
والبيعة لازمة حتى يلقوا الله تعالى ومن نكث من هؤلاء الاتباع فجزاؤه جهنم
خالداً فيها وهو كمن قال تعالى فيهم (أَوَلَيْكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلَمُهُمُ
اللَّهُ وَلَا يَنْتَظِرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (آل عمران ٧٧) هذا
حظه في الآخرة وأما حظه في الدنيا والبرزخ فالنُسُوخِيَّةُ وَالْمُسُوخِيَّةُ وَالْوَسُوخِيَّةُ
وَالْفُسُوخِيَّةُ وَالرُسُوخِيَّةُ حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط.

المعنى: يقول : إن المبايعين أربعة والمبايع على الحقيقة الله سبحانه، لأن
الداعي إلى البيعة إذا خرج عن أنانيته وبقي بأنانية الله كان الداعي هو الله، فالدعوة
كانت من الله بلسان الداعي لأن حقيقة الوجوب هي الظاهرة في كل مظاهر الأشياء،

جارية من لُذُنِ آدم إلى ظهور محمد(ص) بحيث كان أهل كل دين لا يَعْتَوْنَ منه إلا من بايع صاحبه
أو بايع مع من نصبه لأخذ البيعة من الناس. ولشرف تلك البيعة والبخل بها كانت تختفي في كل
دين بعد رحلة صاحبه، وذلك قوله تعالى (وبئر معطلة وقصر مشيد) البئر المعطلة إشارة إلى التحقق
بالدين بالبيعة، والقصر المشيد إشارة إلى صورة الدين الشرعية المأخوذة على طريق الملة والرسم،
إذا تقرر ذلك عَلمَ أن تلك البيعة للمظاهر البشرية لعدم إمكان الوصول إلى الله إلا بواسطة المظاهر،
كانت بيعة لله لأن المظاهر وجودهم وجود الله، وفعلهم فعل الله قال الله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما
يبايعون الله)

المعصومين الذين حفظهم الله من فعل المكروه ووقاهم، وشرحه للعصمة جليل جميل.

المخدول من لم يعصمه الله.

الشر بالفتح ويضُم اسم جامع لجميع الرزائل.

نكث العهد نقضه ونبذه.

المسخية والوسخية(الخ) لم أجد من ذكرها في كتب اللغة، إلا المسخية، فإنها اسم من مسخ الشيء
بمسخه مسخاً حوّل صورته إلى صورة قبيحة، ومنه يقال مسخه الله قرذاً فهو مسخ ومسيخ والذي
أنهى من ذكر في كتب المتكلمين كالشهرستاني وغيره به خلط كثير.
السم مثله نعب الإبرة.

وهي الغائبة عن كل الأشياء فهي باعتبار الغيب ومرتبة الوجوب خالق الكل ومظهرها وباعتبار مقام الظهور عين الكل حقاً وحقائقها، وليس بذلك إشعار بوحدة الوجود المؤدية الى الإلحاد والإباحة، وهؤلاء الأربعة المبايعين وعليهم شروط تجمعها بيعتهم يأتَمرون بما يأَمرون وينهون عما ينهون عنه ويعطون الأسرار الإلهية بحسب القابلية والاستعداد، فمن نكث من المبايعين فحسبه جهنم وكروره في المسوخية من جلها الى دَقِّها حتى يقطع السلسلة فحينئذ يرجع الى البشرية فتعرض عليه الدعوة فيكفر فيكرُّ راجعاً الى أول السلسلة فكانه رجع ليرجع.

حكى إن بعض تلامذة أبي يزيد البسطامي الذي كان سقاً الإمام جعفر الصادق منه السلام خالف أمره فقال لأصحابه: دعوا من سقط من عين الله فرؤي بعد ذلك مع المخنثين^١ وسرق فقطعت يده.

فهذا لمن نكث أين هو ممن وفى ببيعته مثل تلميذ أبي سليمان الداراني قال له ألقى نفسك في التنور فالتقى نفسه فعدت عليه برداً وسلاماً هذه نتيجة الوفاء فالسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه وما وعظ الله أحداً بنفسه حتى وعظه بغيره من لطفه.

فاتظروا يا أخواتي من أي عبيد تكونون السباق السباق في حلبة^٢ الرجال الرهان لا يغرَكم من خالف الأمر فجوزي بإحسان العوارف^٣ المعارف ووقف في أحسن المواقف وتجلت له المشاهد فهذا كله مكرٌ به واستدراج^٤ من حيث لا يعلم فإذا احتج من خالف بنفسه نقول له شعراً:

^١ المخنث: المسترخي واللين الكلام ورجل من ذوي المجون والخلاعة يضرب به المثل في التخنيث.

^٢ الحلبة بفتح فسكون الدفعة من الخيل في الرهان خاصة.

^٣ المعارف جمع مغرفة بكسر الراء، إدراك الأمر على ما هو عليه، وفي نسخة: في أحسن العوارف ولعلها أصوب.

^٤ الاستدراج: الاستعداد والاستئزال درجة درجة والمراد هنا به الاستئزال عن الصديق إذا أراد الله بعيد خيراً وأذنب ذنباً اتبعه بنقمة وينكره الاستغفار وإذا أراد بعيد شراً فأذنب ذنباً اتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها، والإنسان واقع بين عالم الجنة والشياطين وبين عالم الملائكة وقابل لتصرف الجهتين فيه، وقوله (ع) لكل إنسان شيطان يغويه وملك يزجره يشير الى ذلك، فإذا بلغ الإنسان مبلغ الرجال وحصل له العقل الذي هو مناط التكليف والتدبير وقع في تصرف الملك والشيطان، وأسباب غلبة كل منهما عليه دون الآخر كثيرة مثل اختلاف الاستعداد بالذات وتخييل المتخيلات واختلاف الأغنية ومجالسة الأخيار والأشرار وأعمال الأبرار والفجار وغير ذلك وقد يتصرف الشيطان في أغلب الناس بلا شعور منهم به مع بقاء العقل الذي هو مناط تدبيرهم، وكونه

سوف ترى إذا انجلى الغبارُ
أفرسَ تحتك أم حمارُ

نعوذ بالله من مرض الغرور^١ وهو سكون النفس إلى غير الحق ومنشأه الجهل المركب^٢ وهو عدم العلم بالحق مع اعتقاد نقيضه إذا الجاهل إذا كان عالماً بأنه جاهل فهو مريض يعرف مرضه خليق بطلب المعالجة وحصول البرء وهذا هو الجهل البسيط وأما الجاهل الذي يعتقد أنه عالم فهو الأحمق المغرور الذي أعشى الأنبياء والرسل والأوصياء والأئمة والأولياء والعلماء والحكماء وعجزوا عن معرفة علاجه حتى قال السيد المسيح (ص): كل داء داووته إلا الحمق. فإنه أعيتني وهو داء عضال لا يقبل العلاج إلا نادراً وهي ورطة^٣ هلك فيها الأكثرون وسلم منها الأقلون، إذ كل واحد يعتقد أن الذي هو عليه من المذهب والعلم والعمل والخلق هو الحق وما سواه هو الباطل وقد قيل إن الناس راضون عن الله بما أعطاهم من الحسن والعقل.

وعن هذا كان أبو جهل يدعو يوم بدر ويقول: اللهم أنصر أولانا بالحق.

خادماً للشيطان، وقد يغلب على بعض بحيث يذهب العقل منه ويبقى الشعور له ويغشى عليه، وقد يظهر عليه في حالته هذه صورة الجن أو لا تظهر، وقد ينطق عن المغيبات شاعراً أو غير شاعر وقد تقع منه مناسبة بينه وبين عالم الأرواح الخبيثة ويشاهد صور عالم الطبع فيه من غير زوال عقله فيخبر عن المغيبات أو يظهر عليه بعض الشياطين فيخبره بخبر السماء، فيحسبه من عالم الأرواح الطيبة. عن الباقر (ع) أنه ليس من يوم وليلة إلا جميع الجن والشياطين يزورون أئمة الضلالة، ويزور إمام الهدى عددهم من الملائكة. الغرور: سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع من شبهة وخدعة. وسيأتي بمعناه العرفي.

الجهل المركب ما لا يشعر صاحبه به فيعد نفسه حكيماً، وعلى ذلك يكون مركباً من جهله بالأمر وجهله بنفسه، ومنه قول الشاعر:

قال حمار الطبيب موسى
لأنسي جاهل بسيط
لو أنصفوني لكنيت أركب
وصاحبي جاهل مركب

الورطة: كل أمر شاق يعسر التخلص منه.

الخلق والخلق بضمين وبالتخفيف: السجية والطبع والمرؤة والدين والعادة، ومنه: إن هو إلا خلق الأولين.

الحق من أسمائه تعالى وهو الموجود حقيقة والمتحقق وجوده وإلهيته، والقول والفعل الواقع بحسب ما يجب في الوقت الذي يجب، وضد الباطل. الباطل ضد الحق وهو ما لا ثبات له عند الفحص.

المعنى: يقول ضارباً مثلاً بمنّ وفي بييعته فعادي عليه برداً وسلاماً. ومن نكث بها فسقط من عين الله، فانظروا من أي عبيد تكونون، أممّن وفي فسعد أم ممن نكث فشقى. السباق السباق الى طاعة الله واتباع أوامره واجتنب نواهيه، ولا تغتروا بمن خالف أمر دعاء الله فتجلت له المشاهد الغيبية فأخبر عنها كمن رآها عياناً فهذا مكرّ به واستدراج، نعوذ بالله من الغرور بالجهل المركب، فالجاهل الذي يعلم أنه جاهل مريض إذا عولج خليق بالشفاء، وأما الجاهل المغرور الذي يزعم أنه عالم فهو الأحمق الذي عجز الكل عن مداواته، وكل من ذوي الملل والنحل يزعم أن الذي هو عليه هو الحق وما عداه الباطل، وناهيك بدعاء أبي جهل وقد كانت الدعوة بمعاجزها وبيناتها بأيامه، فأنها أعدل شاهد على ما ذكر، وكل ضلالة رآها متبعوها حقيقة أحق أن تتبع، وإلا فما وجه تكذيب الله سبحانه في مظاهره مع مؤهلات الإقرار والإذعان، وما وجه تنوع العبادات والتعبدات، إنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. ولكن لو سمع إخوان عصرنا القائلين بأن إبليس عنصر، وليس الأول هو قابيل بل قابيل شخص ذهب للعذاب والتكيل، والأول غيره، ولو سمعوا أن للأبالسة إطلاعا على المغيبات، ومعرفة بالآيات لجن جنونهم لأن الذي جرهم الى أن قالوا ظنهم أن الأبالسة بشر، ويرونهم منعمين دائماً مع خلافهم لدعوة الحق في كل مظهر فيجب أن يكون كما زعموا. والحقيقة على ما اتضح من كلام الموالي والمؤلف وغيره من محققي الفلاسفة أنهم غير بشر ولا يأكلون ولا يشربون ولهم اطلاع على المغيبات ومعرفة بالآيات وعذابهم روحاني لا جسماني (في حجة العارف) فمن جملة قدرة الضد على التصرف ظهوره في كل قبة بمراتب ودرج، واستطاعته التي كانت معه باقية لم يسلبه الله إياها... الخ، وفي غيرها أمثال ذلك كثير وليس بالمقام توسع، وقد نبه بهذا على ضلالة المتصوفة الظاهرة وإن تجلت لهم المشاهد، ووقفوا في أحسن المواقف. هداانا الله.

وربما يرى المتماذي^١ في الباطل المغتر بنعيم الدنيا وزهراتها وشهواتها ولذاتها أن يموت له عدو فيقول هذا من كرامتي على الله تعالى أهلك أعدائي ولا يزيدني إلا نعمة على نعمة وصحة على صحة أولا يعلم هذا المسكين الجاهل

^١ اسم فاعل من تماذى في غيه دام على فعله لاجأ فيه.

الأحمق المغرور إن الله إذا أحب عبداً زوى^١ عنه الدنيا وأيضاً يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا لمن أحب وعلامة ذلك أعني الفرق بين من يحب ومن لا يحب إنه إذا أنعم على عبد بنعمة^٢ فازداد شكراً^٣ على شكر ووجلاً^٤ على وجل فهو من المحبوبين وإذا أعطى عبداً نعمة^٥ فازداد معصية^٦ على معصية وطغياناً على طغيان^٧.

فهو من الممقوتين^٨ وإن ذلك إهمال لا إهمال^٩ فإن الله يملئ^{١٠} للظالم فإذا أخذه فلم يقلته (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) (الأعراف ٩٩) وإنما

زوى الشيء عن فلان نجاه عنه وعن كذا عدله وصرفه عنه.
 النعمة بالكسر المنّة والصنيعة واليد البيضاء وما أنعم الله عليك من رزق ومال غيره، والمسرة نعمة الله هي ما أعطاه الله العبد مما لا يمتنى غيره أن يعطيه إياه. جمعها نعمٌ وأنعم والآنسان بما هو إنسان عبارة عن تلك اللطيفة السيارة الإنسانية المتحدة في كل مرتبة من مراتب التكوين وهي مع كل مرتبة بوجهٍ والمغايرة لها بحسب الذات والآثار بوجه وتلك اللطيفة هي المدد الإلهي وهي الحبل بين الله الناس، ومرتبة من المراتب محدودة بحدود خاصة بخلاف تلك اللطيفة، فكل ما ينفع الإنسان يسيره إلى الله إن كان ذلك النافع ابتلاءً وامتحاناً أو نعماً وإحساناً كله نعمٌ من الله، فتصبح الأيُّس وإيذار الأولياء نعمٌ كما أن الابتلاء وزجر الأشقياء نعمٌ ولذا قال سبحانه (لَتَبْلُوَنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا وَإِنْ تُصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (سورة آل عمران: ١٨٦) بطريق التوكيد، فكل ما أعان الإنسان بحسب التكوين أو بحسب التكليف على السير إلى مقامه الذي هو الولاية المطلقة التي لا حد لها كان نعمة، وإذا وصل الإنسان إلى ذلك تمت النعمة عليه بل صار بنفسه نعمة تامة على نفسه، فإن الولاية هي النعمة لا غير الولاية.

الشكر عرفان الإحسان ونشده، قيل (الشكر لا يكون إلا عن يد والحمد لله يكون عن يد وغير يد، والشكر مقابل النعمة بالقول والفعل والنية فيشتي على المنعم بلسانه، وبذنب نفسه بطاعته).
 الوجل: الخوف من وجل يوجل ويوجل بقلب الواو ألفاً ويجل بقلبها ياء بكسر أوله وجلاً وموجلاً وفي الحديث وعظنا موعظة وجلت منها القلوب.
 المعصية مصدر عصاه يعصيه عصياً ومعصية خرج عن طاعته (يأتي) وعانده وخالف أمره فهو عاص وتطلق على الزلة مجازاً.

الطغيان مصدر وهو تجاوز الحد بالعصيان والطفوان أيضاً تجاوز الحد والقدر واوي.
 المقوت اسم من مقته، أبغضه أشد البغض عن أمر قبيح.
 الإهمال مصدر أهمله تركه ولم يستعمله عمداً ونسياناً.
 يملئ مضارع أملئ الله للظالم، والظالم أهمله وطول له.
 المكر من مكر به بمكر مكرأ خدعه والله فلاناً جازاه على المكر، وقيل:

المكر صرف الإنسان عن قصدة بحيلة إن كان قصد فيها الشر كان مذموماً، وعذاب الله سبحانه إن كان من غير تقدم أمارات فهو اليأس بفترة حين النوم أو حين اللعب، وإن كان مع تقدم أمارات فهو للمسمى بالاستدراج، والمكر بشباهته بمكر المخلوق، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، بنقص عقولهم التي هي بضاعتهم فإن العاقل حين تجدد النعمة يحتمل النعمة فيخاف عاقبتها بخلاف الجاهل فإن نظره إلى صورة النعمة، لا إلى احتمال اندراج النعمة فيها.

الاستدراج أكثره إنما يكون بالآيات البينات وقوله (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) (الأعراف ١٨٢) كآته أشار إلى ذلك.

المعنى: يقول : ربما يرى المغرور أنه يموت له عدو، فيظن أن موته كرامة من الله خصه بها، أو لا يعلم هذا المغرور، أن الدنيا ليست بذات قيمة في عين الله، فإنه يعطيها لحبيبه المؤمن كما يعطيها لبغيضه الكافر ولا يعطي الآخرة إلا لحبيبه المؤمن لأنها شيء له قيمة عنده، وربما زوى الدنيا عن عبده المؤمن رحمة به، والفرق بين العبدین أن من إزداد شكره ووجهه كلما ازدادت النعمة لديه فذاك هو العبد الممقوت، وازدياد النعمة عليه من الله سبحانه إهمالاً لا إهمالاً، فإن الله يمهّل الظالم فإذا أخذه لم يُقلّته والاستدراج الذي هو أخذ الظالم بأعماله، إنما يكون أكثره بعد امارات من الله وعلامات تدل على البطش، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. قال أمير المؤمنين:

(كم من مستدرج بالإحسان إليه وغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه وما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له إلا عاذنا الله).

وبالجملة من أعتزّ بغير الله فهو ممقوت نازل في حقّه قوله تعالى (وَعَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (الحديد ١٤) فدعوا عنكم أيها الأخوان التفصيل والاستيعاب^١ والأصناف^٢ وخذوا إليكم وإلى فهمكم وفكروا إن من أعتزّ بشيء مما سوى الله تعالى كانئاً ما كان فهو محجوب^٣ مغرور^٤ صدّ عن الدخول في حصن الإيمان

^١ اعتزّ بزيد عدّ نفسه عزيزاً عليه.

^٢ التفصيل: التبيين ضد الإجمال.

^٣ الاستيعاب مصدر استوعبه أخذه أجمع واستأصله، وزيد الحديث تلقاه واستوفاه.

^٤ الأصناف جمع صنف بالكسر الصفة، يقال صنفه كذا جمعه أصناف وصنوف، وهذه الجملة في نسخة أخرى (والنقصير والاعتياب والاعتساف) وما بالمتمن هو الأصح.

^٥ محجوب ممنوع من الدخول.

^٦ مغرور مفعول من غرّ غروراً، والغرور الأباطيل وسكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل الطبع عن شبهة وخدعة وبفع الغين الشيطان كما في قوله تعالى (وَعَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (الآية ١٤ من سورة الحديد) والغرور منبع كل هلكة وأم كل شقاوة. قال سبحانه (فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ السَّنِيَّةُ) (الآية ٣٣ من سورة لقمان) وقال سبحانه (وَعَزَّكُمْ الْأَمَانِيَّةُ) (الآية ١٤ من سورة الحديد) وقال (ص) (حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم، ولمتقال ذرة من صاحب تقوى أفضل من ملء الأرض من المغترين)، وقال الصادق (ع) (المغرور في الدنيا مسكين وفي الآخرة مغبون لأنه باع الأفضل بالأنفى)، وطوائف المغترين سبعة: الكافرون وغرورهم بقولهم الدنيا نقد والآخرة السينة.

وأحصر عن الوصول إلى جنان جناب^١ حضرة الرحمن وإذا أنكشف له وعلم إن غير الله هالك^٢ فإن بل عدم محض كما قال لبيد في بعض شعره: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل)

أي عدم وصدقه الرسول فقال أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد (ألا كل شيء ما خلا^٣ الله باطل^٤ علم إن الاعتزاز بما سوى الله كأننا ما كان خسران^٥ محض وعند ذلك يتحسر ويتنفس الصعداء^٦ (فأصبح يقلب قلبه^٧) على ما أنفق فيها وهي خاوية^٨ على غروبها^٩ ويقول: (يا ليتني لم أشرك^{١٠} بربّي أحداً) (الكهف ٤٢)

٢: العصاة من المؤمنين بقعودهم عن العمل واتكالهم على العفو.

٣: علماء الفنون جميعها ما عدا العلم الإلهي أي كان العمل والعلم.

٤: الوعاظ الذين يعظون بما لا يتعظون به.

٥: أهل العبادات وغرورهم بطقوسها.

٦: المتصوفة وغرورهم أكثر من أن يحصى.

٧: الأغنياء يبنلون من أموالهم للسمعة والشهرة.

٨: الجناب: الناحية والفاء، وما قرّب من محلة القوم جمعه أجنبه يقال أخصب جناب القوم أي حولهم وفي نسخة (جناب حظيرة الرحمن) وحظيرة القنس الجنة.

٩: خلا من أدوات الاستثناء إذا جعلتها فعلاً نصبت المستثنى بعدها وإن جعلتها حرفاً جرّة ولكن إذا صبغت بـ ما المصدرية تعين أنها فعل ونصب المستثنى حتماً فيقال:

جاء القوم خلا زيدا وخلا زيد وما خلا زيدا.

١٠: الباطل ضد الحق وسُمي به إبليس،

الصعداء كالبرجاء تنفس ممدود إلى فوق طويل التوجع.

يقال أصبح يقلب قلبه أي يتنم.

خاوية: خالية.

عروش الكرم رفع دواليه على الخشب.

أشرك بالله جعل له شريكا.

وللإشراك مراتب عديدة.

الأولى: الإشراك بالله في وجوب وجوده كإشراك الثنوية القائلين بأن العالم مبداً قديمين (يزدان)

(وأهرمين) أو النور والظلمة.

الثانية: الإشراك في الألوهة كإشراك بعض الثنوية القائل بأن القديم والواجب الوجود واحد والظلمة أهرمين) مخلو منه ولكن له الإلهية في العالم وأن الشورور إلهامها منه لا من الله.

الثالثة: الإشراك في العبادة كإشراك أعظم الصابنين وأكثر الوثنيين والمجلىين وغيرهم ممن يعبد غير الله من مخلوقاته تقرباً بها إلى الله.

الرابعة: الإشراك في الوجود كإشراك معظم الناس إلا من شذ الذين لا يرون في الوجود إلا الموجودات المتكثرة المتقابلة كل مع الآخر والكل مع الله.

الخامسة: الإشراك في الطاعة كإشراك من أشرك في طاعة الأنبياء والأولياء وخلفائهما طاعة غيرهم من أعدائهم ومن علماء السوء والصلطين والأمراء والحكام.

السادسة: الإشراك في الولاية. وكل هؤلاء غير الثلاثة الأول وغير المعنى الأخير لا يُعدّ كفراً، وأشدّ الإشراك أن تشرك مع ولي الأمر أو نبيّ المقت في البيعة الخاصة أو العامة.

وَيَقُولُ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (الفرقان ٢٨)

(وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) (الكهف ٥٢)

المعنى: يقول: من اعتر بشيء من الأشياء سوى عزه الله الحق فهو مغرور، فلنترك تفضيل مراتب الناس وغرورهم (والذين عناهم من المغرورين هم الذين ذكرنا) فإن المعتز بغير الله محجوب عن الله ولا يدخل حصن الإيمان وممنوع من الدخول لجنة الرحمن فإذا كشف له عند الحساب وعلم أن كل شيء فإن ما سوى الله عز وجل علم أنه كان الموصوف بهذه الآيات المذكورة وسيأتيك بيان واسع عن أن المعتز حتى بالعلم والعمل وما أشبه كان ما اعتر به حجاباً بينه وبين الله.

(المقرة) (التزكرة) (الموعظة) (أنواع الإشرار)

فبالجملة ما أحدثه المتقصون بثوب الأيمان المتشبهون بأهل العرفان ليس يليق إلا بالملاحدة^١ المنخلعين^٢ عن ربة^٣ الذين بالكناية بل استغفر الله وأتوب إليه من تسميتي آياهم بالمتشبهة بالمؤمنين العارفين إذ لو كانوا متشبهين بهم لكانت سيرتهم سيرة المؤمنين العارفين لا سيرة الملاحدة الجاحدين ولكانت أمورهم جملة وتقصيلاً تشبه أمور المؤمنين العارفين لا أمور من يعتقد اليوم غداً ولا المرجع

^١ فلان مؤن بدون الألف واللام يكنى به عن العلم العاقل المذكر. وفي بيان السعادة، إن كان المنظور من الآية الكريمة التعريض بالأمة فالمراد بقوله فلانا: الثاني أو الأول. وإن كان المنظور مطلق الظلم فالمراد بقوله: فلانا مطلق رؤساء الضلالة.

^٢ الشركاء ههنا أعم من الشركاء في الوجوب والإلهية والعبودية والطاعة والولاية والوجود. الموبق: كمورد، المجلس والمهلك والموعذ، وواد يزعمون أنه في جهنم أي جعل بين المشركين والشركاء وادياً لا يصل بعضهم إلى بعض أو: جعلنا وصلهم في الدنيا هلاكهم في الآخرة. كما قيل إن (بين) بمعنى الوصل.

^٣ المتقصمون أسم فاعل من تقمص مطاوع قمصه قميصاً فتقمصه ويقال مجازاً تقمص لباس العز، وتقمص الإمارة والولاية.

^٤ الملاحدة جمع ملحدة، قوم من الكفرة يسمون بالدهريين. المنخلعون جمع منخلع فاعل من انخلع انتزع من مكانه، ومن ماله غري منه كله كما يعرى الإنسان من ثوبه، والعصو زال من موضعه. الربق بالكسر حبل فيه عدة عرى يشد به اليهم كل عروة منه ربة.

إلى الله أبداً وأنهم يجمعون ليومٍ لا ريب فيه أعني يوم الجمع^١ والفصل^٢ يوم تبلى^٣ الصرائر^٤.

المعنى: ومن يعني ضاعف الله حسناته بهذه اللهجة القاسية والتفريغ المُرّ سوى هؤلاء المغرورين بأعمالهم، ففَرَّبَهُمْ سِوَاهُمْ فَأَكَلُوا بِدِينِهِمْ دَنِيَاهُمْ وَحَطَمُوا بِهَا أَخْرَاهُمْ، وليس على الأمة بأضر من هؤلاء المتأكلين في الدين الجانحين عن الصراط المستقيم المتظاهرين بالزهد والتقوى يغتر بهم الضعفاء وهم عثرة في طريق الاتقياء.

فبِالله يا أخواني أنصفوني بالكلام وأعينوني بالإفهام^٥ أليس منهجنا واضح ورائدنا ناصح وداعينا إلى الله بالفلاح^٦ صالح، فإلى متى هذه السنة وأنتم منتبهون، وحتام هذه الغفلة وأنتم منتظرون، وعلام هذه السكرة وأنتم صاحون، ولم هذه الغيبة وأنتم حاضرون، ولم هذه الطمأنينة^٧ وأنتم مطلوبون، ولم هذه الإقامة وأنتم راحلون، أما أن لأهل الرقدة أن يستيقظوا، أما حان^٨ لأبناء الغفلة أن يتيقظوا، أما أزعج لأهل العقول أن يتفكروا، أما دلف لأهل التجارب أن يعتبروا^٩ ألم تسمعوا قول الله (ص) (أَلَمْ يَأْنِ) ^{١٠} لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا

^١ يوم الجمع: يوم القيامة.

^٢ الفصل: القضاء بين الحق والباطل، قول فصل أي حق. ويوم الفصل يوم القيامة أيضاً.

^٣ تبلى: تختبر.

^٤ الصرائر جمع سريرة هل هي خالصة أم مغشوشة، والمراد بالسرائر إما الأعمال القالبية فإنها سرائر من حيث الخلوص والشوب ومن حيث المبادئ والغايات أو الفعليات الحاصلة للنفس منها أو النيات أو كامنات النفوس التي لا يعلمها أصحاب النفوس.

^٥ الإفهام بالكسر مصدر أفهم إفهاماً وبالفتح جمع فهم.

^٦ الإفلاح مصدر أفلح وهو الفوز والظفر بالطلب ومنه قد أفلح من تركى. وفي نسخة الفلاح وهو الفوز والنجاة.

^٧ الطمأنينة مصدر اطمأن لكذا أي سكن وأمن له واسم من الاطمئنان وتوطين وتسكين يحصلان للنفس.

^٨ أزعج: أزعج.

^٩ اعتبر اختبره ونظر فيه ورده إلى نظيره فحكم عليه بحكمه، وفلاناً اعتد وبالشئ تعجب واعتظ.

^{١٠} يَأْنِي مضارع يَأْنِي أي يَأْنِي فهو أَنِي جَان وَأَدْرِك.

خضع له يخضع خشوعاً خضع له ونزل وببصره غيظه والأصوات للرحمن سكنت وخضعت والخشوع والخضوع والتواضع برأي الصوفية ألفاظ متقاربة المعنى متفاوتة الرتبة فلان الخشوع حالة تحصل من الاستعمار بعظمة المتخضع له مع صحبتة والأكتاذ بوصول ما منه ممزوجاً بالأم للفرق، والخضوع هو تلك الحالة إلا أن الخضوع أكثر منه في الخشوع والمحبة أخفى بالنسبة إلى الخضوع، والإنسان كلما ازداد انقياده لولي أمره وخشوعه والذّانده بوصاله وكلما ازداد خشوعه تلذذ بصلاته حتى تكون الصلاة قرّة عينه قال (ص) (الصلاة قرّة عيني).

نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ^١ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ^(الحديد ١٦) أليس هذا الخطاب إلينا والعتب علينا. فلم لانتعظ بفهم الكلام ونتيقظ للتوبيخ واللام، وحتام لا نتأها عن المناهي ونقابل الأوامر بالقبول ونتحقق لما هي فنحن معاشر المؤمنين أحق بالانقياد لهذا الأمر وأولا بالطاعة لموقع هذا الزجر لصحة الاعتقاد وتحقيق الوعد في المعاد^٢ وإذا لم تكن من أهل القبول كنا ممن ذمهم الله تعالى في كتابه العزيز بقوله الحق (بِنَسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (البقرة ٩٣) فما بالكم أيها المؤمنون لا تتعظون، وعن التذكرة معرضون فكانكم لما عرفتموه منكرون، وبما قد علمتموه جاهلون، قد أصبحتم لما أودعتموه من الأسرار مضيعين، ولما قد علمتم من العلم المصون مذيعين، أشبهتم العميان يقودهم الأعشى فهم لا يهتدون.

المعنى: وبعد أن حمل تلك الحملة الشعواء على المتقسين بثوب الإيمان المتشبهين بأهل العرفان.. الخ.. شرع قدسه الله يستعطف إخوانه بهذه الجمل الشائقة والنفس الطاهر المليء بالرفقة والتوجع ممزوجاً بالعتب واللام يستهضهم للعمل الصالح خالصاً لله، متعجباً كيف لم نتعظ بالمواعظ ونقابل الأوامر بالقبول، فالؤمنون أولى بالطاعة والانقياد لصحة الاعتقاد.

يستودع أحدكم الطالب ما في يده من الأمانة^٣ بلا رياضة^٤ ولا إنسان^٥ رشد ويلقيه إليه بغير اختبار واستحقاق بل استخفافاً^٦ بهذه الجوهرة^٧ الثمينة والذرة

^١ الأمد الغاية. الاستفهام بهذه الآية الكريمة للتوبيخ والإنكار، والمراد بذكر الله هو الذكر المأخوذ من صاحب الذكر أو تذكر الله وما نزل من الحق من آيات القرآن ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب.

^٢ الميعاد المواعدة وفي نسخة المعاد وهو المرجع والمصير والجنة والحج والأخرة.

^٣ الأمانة ما يودع عند الأمين قصداً إلى حفظه ويأمنه إن كان له نماء وأمانات الله عند الإنسان كثيرة وأنت تعلم الحديث القدسي. كنت كنزاً مخفياً.. الخ. فمعرفة هذا الكنز هي الأمانة التي أرادها المؤلف قدسه الله.

^٤ راض المهر يروضه روضاً ورياضة ورياضاً، تَلَّه وجعله مسخراً ومطيعاً وعلمه المسير فهو راض جمعه راضة ورواض ورائضون، ويقال رَضَ نفسك بالتقوى وهو المراد.

^٥ الإنسان مصدر أنس الشيء إنساناً أبصره، يقال أنست منه رشداً أي علمته.

^٦ الاستخفاف مصدر استخف: استجعله فحمله على اتباعه في غيه، وزيدا عن رأيه حمله على الجهل والخفة واستخف به استهان وهو المراد.

^٧ الجوهرة واحدة الجواهر وهي أصل المركبات وكل حجر كريم مُعَرَّب (كوهر) وسبأني الكلام عن العرض والجوهر.

الْبَيْتِ الْمَصُونَةِ لِقَلْقَةٍ^١ فِي اللِّسَانِ وَتَهَانُوا بِبِرِّ الرَّحْمَنِ ظَنًّا مِنْهُ إِنَّهُ قَدْ أَحْيَاهُ مِنَ الْمَمَاتِ وَخَلَّصَهُ مِنَ الْآفَاتِ^٢ وَأَفَادَهُ الْإِيمَانَ وَجَعَلَهُ مِنَ الْأَخْوَانِ وَأَعْطَاهُ مِنَ النَّارِ الْأَمَانَ وَلَيْسَ الْأَمْرُ وَاللَّهُ كَذَلِكَ بَلْ أَلْقَاهُ فِي شَبَكَةِ الشُّكِّ وَقَرَّبَهُ مِنَ الْإِفْكَ إِنْ لَمْ يَفْهَمْهُ فِي دِينِهِ.

وقد قال أمير المؤمنين منه الرحمة لو رأيتُ شاباً من شيعتي لا يتفقه في دينه لطوت رأسه بسيفي^٣ هذا وأشار إلى ذي الفقار^٤.

فيا ويله من الأثم ويا ويله مما يأتي على نفسه من الظلم لقد ضلَّ وأضلَّ فحسبه الله وكفى إن لم يفقه في الدين ويستدرك أمره ليكون من الموقنين^٥ فأنه ما حصل بما ألقاه إليه إلا على الحيرة^٦ والشك والوقوع في تيه^٧ الظن وشبكة الشرك فهو كما قال الله تعالى (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (يوسف ١٠٦) فنعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ومن الشك بعد اليقين باتباع الهوى فهو سبب الردى.

المعنى: يقول مؤنباً الفقهاء المرشدين أو من ينصب نفسه فقيهاً، وكأنه بين رجال عصرنا من إلقاء هذا السر لمستحقه وغير مستحقه بدون شرط ولا اشتراط استخفافاً بهذه الجوهرة الثمينة، وتهانوا بأمانة الله، ظناً من حضرة هذا الفقيه أنه قد أحيا طالبه بعد مماته، مع أنه ألقاه في شبكة الشك والشرك بما ألقاه إليه، حيث لم يعرفه أمر هذا الصعب المستصعب فيحمله على الجادة، لئلا يقع بحكم من لو رآه أمير المؤمنين لضربه بسيفه الذي لم يضرب به أحداً إلا دخل النار. فياويل هذا المرشد لقد ضلَّ بعمله هذا وأضلَّ صاحبه المسكين، أفلا يرى إخوان عصرنا هذا وأمثاله مما ملئت به بطون كتب الدين، وخصوصاً كيف كان إرشاد السيد أبي عبد

^١ القلقة شدة الصوت في حركة واضطراب.

^٢ الآفات جمع آفة العامة والآفة عرض مقصد لما أصاب من شيء، يقال آفة الطرف الصلف وآفة العلم النسيان.

^٣ علاه بسيفه ضربه به.

^٤ ذو الفقار لقب سيف علي بن أبي طالب يقال إن الله أهداه إياه من الجنة.

^٥ الموقنون جمع الموقن اسم فاعل من أيقن الأمر وبالأمر ليقتنا علمه وتحققه.

^٦ الحيرة مصدر حار الرجل في أمره لم يدر وجده الصواب فيه فهو حيران والحيرة عدم الاهتداء إلى السبيل.

التيه الضلال والذهاب تحيراً.

الله زعيم هذه الفرقة الناجية، وحيث وصلنا الى هذا العصر الذي لا يكفي الطالب به أن تقول له رد الشمس وأحيا الميت، فتقوده الى ما تريد كما تريد، فالرجوع الى ما كان عليه الأقدمون من الحرص على هذا السر أولى. وأما أنا فلم ألقه طالباً من مدة قريبة إلا قليلاً خوفاً مما ذكر هذا المؤلف الجليل وغيره.

فالأوجب على من نصب نفسه فقيهاً للتعليم^١ أن يعتبر هدى الطالبين أولاً وأفعالهم وصنائعهم وأجناسهم^٢ وأحرفهم^٣ وأصنافهم واعتدالهم^٤ من استعدادهم وضعفهم فإن رآهم سالمين من جميع العيوب المذمومة والعاهات^٥ والصنائع المشهورة والأجناس المعروفة المانعات من إيداع سر الله تعالى وإلا فلا فسحة له في تقريبهم إليه، لما ورد من النهي والتحذير من ذلك، ولو كان أباه الذي رباه، وولده الذي أعقبه من ظهره، فإن قربهم إليه وأذاع سر الله تعالى عندهم فقد عاتد الله وخالف أمره ونذ^٦ عنه^٧ وتناكره^٨ وصد عنه وعن معرفته وجدها، فاستوجب بذلك الفعل منه النكال^٩ في هذه الصورة والأمثال كلها حتى تتجنبه أهل الحقائق^{١٠} ويبعدوه وينكروه ويكفروه ويلعنوه ويطرده، بجرأته على مولاه، وعناده لما أمر به، ويرد في كل قالب^{١١} وهيكلاً ونوع وجنس وصنف ألف مرة، حتى يكمل له

الفقيه: العالم بالفقه، والفقه هو إدراك الأغراض والغايات خصوصاً الغايات الإلهية، من الأقوال والأشياء، لا إدراك المفاهيم من الألفاظ فقط كما ظن، وبعبارة أخرى الفقه هو الذي يحرك الإنسان من حضيض نفسه إلى أوج عقله، ومن دنياه إلى آخرته، وتفسيره أنه هو العلم بالفروع الدينية مواضعة اصطلاحية محضة، ولا يسمى علم الله ولا علم الملائكة فقها، لأنه لا استعداد هناك للتعلم، بل تعلمهم عين علمهم، وقوتهم عين فعلهم، والحاصل إن الاستدناد بالسيرة في طريق الإنسانية مأخوذ من مفهوم الفقه، فكما كان الإدراك كذلك كان فقها وإلا لم يكن فقها.

الجنس: بالكسر الضرب من كل شيء والمراد هنا أجناس الأمم.

الحرف: جمع حرفة المهنة التي يعيش بها المرء.

الاعتدال: مصدر اعتدل توسط بين حالين في كم أو كيف كقولهم جسم معتدل بين الطول والقصر، وسيأتي عن الاعتدال والانحراف ما تستحليه.

العاهات: جمع عاهة عرض مفسد لما أصابه، كالفساد الذي يقع في الزرع من حر أو عطش، وفي الإبل من جرب وغيره.

ند البعير ينذ نداً أو ندوداً: هام على وجهه، فهو ناذ وهي نادة.

تناكر الأمر: جهله، والقوم تعادوا.

النكال: كسحاب ما نكلت به غيرك كأننا ما كان.

الحقائق: جمع حقيقة، غاية الشيء، وأصله المشتمل عليه، وعند الصوفيين هي باطن الطريقة، والطريقة باطن الشريعة، فالشريعة للكل بكل أحكامها، والطريقة كمذهب من المذاهب، والحقيقة سر الجميع.

القالب: الشيء الذي تفرغ فيه الجواهر، ليكون مثلاً لما يُصاغ، فكان صور المصوخية التي يتردد بها الكافر قوالب هياكل تفرع فيها روحه، كما سيأتي، أن النفس ببساطتها كهينة الجسد بكثافتها.

سبعون ألف قالب، وهي دوران كل دور^١ خمسة أكوار^٢ يوفيه لكل قالب خمسين سنة إن زاد في قالب نقص في الآخر حتى يوفيه سنّيه.

المعنى: يقول بعد أن استنهض إخوانه المؤمنين بما مر بك من تلك العبارات الرحيمة، والاستعطافات الشائقة معلماً كيف يجب أن يكون الاحتفاظ بهذه الجوهرة السنيّة، محذراً من بذلها لغير مستحقها لقلقة باللسان، وتهاوناً بسر الرحمن. فالمتحتم على من نصب نفسه أستاذاً لإعطاء السر، أن يعتبر هدى الطالبين أولاً، وصنعتهم متعرفاً على أمورهم كلها، (بما في مجموع أبي سعيد)، فمن وجده سالماً من العيوب المانعة من هذا السر، وإلا فلا فسخة له في تقريبه إليه، والإعطاء له، ولو كان ذلك الطالب والده أو ولده، وهما أقرب إليه، فإن فعل فقد أذاع سر الله واستحق عقابه، فيستوجب أن يُرَدَّد في قوالب المسوخية، وما ربك بظلام للعبيد، وفي كل الكتب الباطنة والظاهرة، وعند كل الحكماء تجد وجوب كتمان السر إلا عن أهله، ويكفيك ما هنا وبالمصرية والجوهرة:

ففي السر أسرارٌ دقائقٌ لطيفةٌ تراق دمانا جهرة إن بها بُحنا، بالسر إن باحوا تباح دماؤهم الخ... وفقنا الله.

فإن وجده أهلاً لإيداع سر الله (ﷻ) علمه أولاً الطريق إلى معرفة مولاه، ومطالع^٣ أنواره، ومعادن^٤ أسرارهِ، وهو الأدب^٥ الذي يحسن به المُنقلب^٦، ويحصل بوجوده السلوك^٧، وبسببه تزيل الشكوك.

^١ الثور: بالفتح الحركة، وعود الشيء إلى ما كان عليه، وبحسب نسبته إلى قوالب المسوخية يكون خمسة وثلاثين ألف سنة، أعاننا الله.

^٢ الأكوار جمع كور وهو سبعة آلاف سنة.

^٣ المطالع: جمع مطلع من طلعت الشمس والكواكب ظهرت، ويريدُ قدسه الله الأئمة الكرام مطالع أنوار الله ومحل إشراق ظهوراته، كما سموه في غير موضع مقاماته.

^٤ المعادن: جمع معدن، كجلس منبت الجواهر من ذهب وفضة ونحوهما، ومكان كل شيء فيه أصله ومركزه، ويقال على طريق المجاز فلان معدن الخير والكرم، أي مكان أصله، فالموالي الطريق، وركب الجدد، كما جرى للشيخ وصاحب المصرية وغيرهما.

^٥ الأناب: ملكة تعصم من قامت به عما يشينه، والظرف وحسن التناول، ورياضة محمودة يخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، وهذه المرادة هنا، فمعرفة الموالى وآدابهم هو الاستحقاق لإيداع

^٦ المُنقلب: اسم مكان ومصدر نحو انقلب فلان سوء منقلب.

كما قال مولانا الباقر منه الرحمة: لا يوصل إلى علمنا إلا بحسن الأدب. فإن أبي كان يقول «من قَدَّم العلم في الله أعاده الله إليه ولو طال عمره».

وقد صحَّ إن هذا الطريق هو أجل الطرق، لأن الطرق تتشرف وتتضع بحسب غاياتها، ولما كان هذا الطريق غاية الحق للمعنى سبحانه^١، والحق أشرف الموجودات وأعزَّ المعلومات، كان الطريق إليه أشرف الطرق وأفضلها، والدال عليه سيّد الأدلة وأكملهم وأعظمهم، والساك إليه أسعد السالكين وأنجأهم، والعلم بالله أجل العلوم، والأدب هو الطريق، والوصول والتوفيق من الله تعالى إلى تبليغ المحصول.

المعنى: يقول: إذا المرشد وجد الطالب أهلاً لإلقاء سر الله عرفه أولاً من هم الموالى الكرام، وما هي آدابهم، فإن آدابهم هي التي يحسن بها المنقلب عند الله، ومن قَدَّم العلم والمعرفة قبل أن يرتقي إليهما من سلم الشريعة، أعاده الله في كراته إلى التأدب بآداب الشريعة أولاً، ثم إلى التفقه قال الأمير:

ترق إلى الباطن من ظاهر ما شرعته فعندها اصمّت واعتزل

فإذا كان الله سبحانه أجل الأشياء، فالطريق المؤدي إليه - وهو الشريعة - أشرف الطرق، والدال إلى هذا الطريق - وهو الشيخ المرشد - أسعد السالكين، وآداب الشريعة هي الطريق إلى الله وهو نفسه ذات الوصول إلى الله، وهو السلم لارتقاء النفس بدرجات المعارف الإلهية، وسيأتيك بعد قليل ما تعلم به أن الظاهر هو الباطن كما أن الظاهر من الذات العلية هونفس الباطن، فتكون الشريعة هي الطريق والوصول، وإن ترك الشريعة وإهمالها هو الكفر.

^١ السلوك: مصدر سلك المكان يسلكه سلكاً وسلوكاً دخل فيه، والطريق دخل فيه أيضاً، وللصوفيين بالسلوك إلى الله مراتب أهمها أربع:

الأولي: سيرة من الخلق إلى الحق.

الثانية: سيرة من الحق والخلق إلى الحق.

الثالثة: سيره من الحق إلى الحق.

الرابعة: سيرة بالحق في الخلق، وهو آخر مراتب السالكين، وبين هذه المراتب مراتب كثيرة سيمر بك تفصيلها حسب الإمكان.

^٢ الغايات: جمع غاية المدى والغائدة المقصودة كانت عائدة إلى الفاعل أم غير عائدة، والنسبة إليها غائي.

^٣ سبحانه الله: أي أبرئ الله من كل سوء، سبحانه الله من كذا تعجب منه، وهو على الإضافة.

وقد قال مولانا الصديق منه السلام: لب الدين قبل الدين وإبما قسّم الأرب
الذي هو الفرع، على الدين الذي هو الأصل لأسباب التنظيم قبل المعرفة (١) وهي
الشروط التي نكرناها في رسالة التطيعة^١.

منها: تعظيم التلميذ للميد في طلبه منه المعرفة، وهو سبيله الدال على
بليقته ومرشده إلى أيمته ومخلصه من رقي عبوديته (٢)، ومظهره من نسم
ميوخيته^٣، فلا يخلف له أمراً، ولا يفتي له سراً، ولا يهتك له سترأ، ولا يرد
عليه قولاً، ولا يوغر له صدرأ، ولا يقبح له نكرأ، ولا يشك في ما يلقي إليه، ولا
يوالي له عدوأ، ولا يعادي له وليأ، ولا يرد ما يلقي إليه من معرفة الله (ص).

ومنها لبس التقية عند الجاحدين، وخلع المعصية للمؤمنين، وصون السر،
وإيمان^٤ النكر، وإتجاز الوعد، وحفظ العهد، وقول الصدق، وفصل الحق، وأن لا
يسعى بمؤمن ولا يسيء إلى محسن، ولا يستحل محرماً، ولا يهتك للمؤمنين
حرماً، وأن يحفظ نمتهم^٥، ويرفض منمتهم^٦، وأن يجعل صفته لموآلهم^٧، ورأفته
لأطفالهم، وحرصه لسرورهم، ومراعاته لهم في أمورهم، ويثارهم على نفسه،
وعداوته لمن عداهم من أبناء جنسه، وأن يرى حرمهم^٨ حرمة، فإن المعصي
مكتسب من النظر إلى محارمهم، والجهل بحق علمهم، والفقر من الشح عليهم،
فإن خالفه في هذه الوصية خسر الدنيا والآخرة.

^١ التطيعة: من علفت المرأة بالولد حبلت، وهذا مناسب لما نكره الموحنون، وكله كبل قد أفسد
رسالة أسماها التطيعة خصيصاً بذاب الطلأ وكيفية إلقاء السر إليهم، ينكر هنا نقا منها، ولعل
جميع ما عند الموحدين من هذه القناحية أخذ عنها.
^٢ الميوخية: نسبة إلى المسح فكان الرجل قبل أن يعرف على يد متفقه رشيد يكون مسحا غير
مطهر، إذ الطهارة الحقيقية معرفة الله بذاب الموالي، لو أن المراد لولا ما إلقاء إليه سيده لكن
الإنسان: مصدر آمن الشيء مسحا فهو مسخ.
^٣ أقمته: العهد والأمن. يقل في نمي كذا، أي في ضلعتي، جمعه ضم وفي الحديث: قلنا بنعمة،
أي أرشدنا إلى أماننا سالمين.
^٤ المنعة: خلاف المعصية.

^٥ السؤال: جمع سئل اسم فاعل، ويراد به عند إطلاقه المستطلي، ومنه الحديث (أعطوا السائل ولو
جاء على فرس) وجمع سئلون، وسألة، ككتبة.
^٦ الحرم: محرمة، ما يصحب الرجل ويقتل عنه، وقلوا حرمة وحرمة كما قلوا زمن وزمن، وبالصم
صنع نساء الرجل وهو المرأة.

المعنى: وبعد أن عرّف - سلك الله بنا مسالكه - لإعطاء المعرفة ذاكرة الشروط التي كان ذكرها في رسالة له أسماها التعليقة، منها تعظيم السيد لأنه مخلص الطالب من رقّ العبودية ونس المسوخية.. الى آخر ما ذكر من الآداب التي تلزم كل طالب مسترشد مما لا يحتاج الى شرح، غير أنني أذكر هؤلاء الإخوان بحالهم مع طلابهم وحال طلابهم معهم، فلعلهم ينتبهون لهذه الهوة السحيقة البعيدة القرار، فلا يهوون بها، ويكونون سبباً لهوى غيرهم.

فقد قال مولانا الصالح منه السلام: من أخذ علمنا بالقبول ففتح الله عليه بالمعرفة الحديث الواحد عشرة أحاديث، حتى يعود فقيهاً، ومن أخذ علمنا بالمكر^١ وحرّف^٢ فيه الرأي والتدبير صرفه الله عنه صرف دامية المعز من السذب الأثقل^٣، فلا يزداد من المعرفة إلا ببدأ.

فمن صبر على تصديق^٤ ما أورده عليه سيده، ويلقيه من معرفة الله إليه، وقبله بالقبول، فتح الله عليه أبواب معرفته، ووفقه للإطلاع على حقيقة سره وعلايته، وأتضح له دليل البرهان وظهر فيه نور الإيمان، ودخل في زمرة^٥ من هداهم الله إليه برحمته، وذكر وصلهم في كتابه العزيز بقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (العنكبوت ٦٩) ونجا من أسر الطبيعة^٦، ونال بقبوله منه أعلى المنازل الرفيعة.

المعنى: وبعد أن علم آداب الطلب ينوء بها الطبيب القلب والعمل شرع يعلم آداب الطالب، أن يقبل ما يلقي إليه يضاعف الله له من معارفه حتى يعود فقيهاً -

المكر: الخديعة.

حرّف: الكلام: غيره والشئ جعل له حرفاً وأمله.

الأثقل: الخفيف الوركين والسريع والأرسخ، والأثنى زلاء. ونسب لرسخ يتولد بين الضبع والذئب، وهذه الصفة لازمة له.

التصديق: نسبة الصدق بالقلب واللسان الى القائل، والفرق بينه وبين المعرفة أن ضده الإنكار والتكذيب، وضد المعرفة الجهالة والنعارة.

الزمرة: الجماعة في ترفة.

جاهد العدو مجاهدة جهاداً: قتله، وفلان في سبيل الله بذل وسعة: يعني الذين بالغوا في الجهد وانتب في محبتنا وطريقتنا، لنهدينهم سبلنا المعوجة والمستقيمة جميعاً، والمراد بالمجاهدين من كان في الطريق الأول.

الطبيعة عبارة عن القوة السارية في الأجسام بها يصل الجسم الى كماله الطبيعي، وتطلق أيضاً على المزاج الخالص بالبدن، والطبيعة لغة على وزن فعلة بمعنى مفعولة، كصناعة بمعنى مصنوعة، وسميت طبيعة لأنها طبعت الأشياء الموجودة بطبيعتها الخاصي على رأي (أرسطو).

ويالها من منة - ومن أخذه مكرأ وخداعاً أو جهلاً وارتياباً، وحرّف فيه برأيه، صرّفه الله عنه صرف دامية المعز من الذنب الأزل، ومن حمل نفسه على تصديق ما أعطاه سيده وقابله بالقبول فتح الله عليه أبواب معرفته ودخل في زمرة من هداهم الله ف نجا من أسر الطبيعة الى أعلى المنازل الرفيعة.

وقد ورد في الخبر عن رسول الله (ص) أنّه قال:

الآباء ثلاثة أبّ أولدك وأبّ ربّك وأبّ علّمك وخيرهم الذي علّمك وأفاض عليك معرفة الله تعالى وهو الأبّ الديني الحقيقي فالزمه ترشد وأطعه تسعد.

قال السيد الرسول لأمير المؤمنين منه الرحمة: أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة فلن الله عاقاً والديه^١.

ولقد أتشدني بعضهم.

وإنّ أبئنا الذين هم
من علّم العلم كان خير أب

قد أوقعونا في ورطة التّلف
ذاك أبو الرّوح لا أبو النّطف

وإلى ذلك أشار السيد المسيح (ص) بقوله: من لم يولد ولاثنين لم يلج^٢
ملكوت السموات^٣. أو الله

^١العلاق اسم فاعل من علق الولد والده عقوقاً ومعقاً عصاه وترك الشفقة عليه. الولدان أبو المرء والمرء ذو مراتب كثيرة. وكل مرتبة لها سبب لوجودها، فسبب مرتبته الجسمانية أبواه الجسمانيان، وسبب وجود صدره المنشرح بالكفر الشيطان وسبب وجود صدره المنشرح بالإسلام الملك وكل من انتسب إليه في كل هذه الرتب فهو قريبه بحسب قربه منه، واللذان بايعا معه البيعة الخاصة هما أبواه من جهة التكليف، والنسبة الفاسدة الروحانية كالنسبة الفاسدة الجسمانية منغية للحكم، وربما اعتبرت كما في قوله تعالى (وإنّ جاهداً لمتّرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) (الآية ٨ من سورة العنكبوت)، فالمراد بهما الأول والثاني على طريقة الاستخدام في جاهدك، والولادة الروحانية عبارة تنزل صورة الولد وتظهرها بصورة الولد، ويظهر من ذلك معنى الاهتمام بالوالدين الروحانيين، بحيث جعله الله قريباً بتوحيده أينما ذكر، ففي سورة النساء (وقضى ربك ألا تعبدوا إلّا إياه وبالذين إحساناً) (سورة الإسراء: من الآية ٢٣) وعلي ومحمد أبوا هذه الأمة ولعن الله عاق والديه، وفي الرسالة المصرية تجد فضل الأبوة مفصلاً.

^٢يلج: يدخل.

^٣ملكوت الله المراد به الجنة.

المعنى: وبعد أن عرفنا آداب الطالب، شرع يعلمنا فضل الأب، وأن صاحب هذا الفضل العظيم هو الأب الروحاني، كما مر بك محمد وعليّ أبوا هذه الأمة بما ترى تحقيقه بجانبه، والآباء الذين هم سبب لإيجاد الأعراض، لهم من الفضل ما يقارب فضل الآباء الروحانيين، لكن الأب الحقيقي من علم معرفة الله فكان سبباً للخلاص من أسر الطبيعة وآلامها، لا الذي كان سبباً للوقوع في شركها وويلاتها:

فذاك مربّي الروح والروح جوهرٌ وهذا مربّي الجسم والجسم من صدف

ولا يدخل الجنة من لم يولد ولادتين: ولادةً جسمانية وولادة روحانية. وكلا الولادتين تكون صحيحة النسبة. ورد عن الإمام جعفر (ع): لا يلج ملكوت الله من لم يولد فينا مرتين. وقديماً قيل: لولا المربي ما عرفت ربي.

فلذّ بأمين لا يمينُ عن الهوى بين لك بعد الغيّ رشد طريقي
فإن تغد مولوداً له رُحمت والدأ لنفس بمفهوم الغرام تزكيت

ومن جملة الآداب رفض القياس^١ فهو الذي أوجب تشعب الآراء وتفرق الأهواء فأول من قاس إبليس^٢ لعنه الله حيث أمره الله تعالى بالسجود لأدم (عليه السلام) فأبى وأستكبر كما قال الله تعالى (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أُسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) فكان جزائه الحرمان من المعرفة والبعد والطرده من الرحمة ولبعد المعرفة عن طريق القياس حصل التعجب من سالكها، ولوضوح أمرها بظهور الدلائل عليها والإشارات إليها في الآراء كلّها حصل العجب من تاركها. كما قال مولانا زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب منهم السلام في هذا المعنى نظماً وهو حيث يقول:

علم^٣ المحجّة^٤ واضح لمريده^٥ وأرى القلوب عن المحجّة في عي
ولقد عجبت لهالك ونجاة^٦ موجودة ولقد عجبت لمن نجى

^١القياس: مصدر قاس الشيء على غيره وبغيره بقيسه قياساً قتره على مثاله.
^٢إبليس: علم جنس للشيطان، الجمع إبلسة وأبليس.
^٣العلم: محرّكة العلامة، الأثر، والمنارة وشيء منصوت في الطريق يهتدي به.

المعنى: يقول هداانا الله بما يقول - إنَّ من جملة الآداب التي يتحلَّى بها الطالب بما يُلقِّيه إليه مرشدُهُ بأن يقول لا يصح عندي هذا من طريق القياس على ذلك، فإن القياس طريق الانعكاس، وهو الذي أوجب تشعب الآراء الدينية والأهواء المذهبية، فأول من قاس إبليس اللعين فكان قياسه سبباً لطرده من الجنة وحرمانه من المعرفة عندما قال: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (الأعراف: من الآية ١٢)، ولبعد المعرفة من القياس حصل التعجب من سالك طريقها، لأن معرفة كثير من الأشياء لا تصحُّ عن طريق القياس كما تقدم في المقدمة، ولأن الحقيقة واضحة كل الوضوح وظاهرة لا يحجبها شيء، وكافة الدلائل متضافرة متواسقة في كافة الآراء من جميع الملل والنحل على إظهارها، فهي أحلى من رابعة النهار، وأظهر من الوجود والمكونات، ولكن الناس لضعف عقولهم ودكن استعدادهم يقفون دون شمس الحقيقة بالعيون العمى، ودون داعي الله وسماع حُججه بالآذان الصُم، والى ذلك فالمعرفة غامضة كل الغموض مخفية كل الخفاء، بطن فيما ظهر، وظهر فيما بطن، باطنٌ ظاهرٌ غائبٌ حاضرٌ، ماثله سرٌّ إلا وهو على ألسن خلقه، ولا له حصنٌ أمنع من جهلهم به:

وظاهرُ الحسن الذي باطنُهُ ظاهره باطن حُسن قد كُمِلْ

فإن مَنْ^٢ الله على الطالب ووصل بفضلُه سبب معرفته إليه وتلقاهُ من سيده بالقبول، فحركه فخره^٣ في صدره وجعله عمدة^٤ أمره وسرته عن الإذاعة إلى غير أهله، والإبداء إلى غير مستحقه، لحق بمن وصفه رسول الله (ص) بقوله:

(المؤمن صائمٌ أبداً) أي صامتٌ فإن الصمت هو الصوم، وشاهده قوله تعالى حكاية عن مريم بقولها (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً)

^١ المحجة: الطريق وقيل جادة الطريق الجمع مجاج، ومحجة الطريق سُنَّتُهُ والمقصود والمسلك.
^٢ المريد: اسم فاعل من إراد الشيء شاءه، وفلاناً على الأمر حملة.
^٣ مَنْ عَلَيْهِ بكذا: يَمُنُّ مَنَا وَمَتْنِي: أَنعم الله عليه من غير تعب، واصطنع عليه صنيعاً وإحساناً.

^٤ خزن المال: وغيره في الخزانة يخزنه خزناً أحرزه، وأدخره فيها.
^٥ العمدة: بالضم ما يعتمد عليه أي ينكأ، يقال فلانٌ عُمَدَتنا عند الشدائد.

^٦ صائمٌ: اسم الفاعل من صام إذا أمسك عن الطعام والشراب، وعن الكلام أمسك عنه، وسيأتي الكلام عن الصوم باطناً وظاهراً.

(مريم ٢٦) ومن جملة الآداب الدينية التخلق^١ بأخلاق المؤمنين وهو بأن يلزم الطالب الصمت بين الأنام حتى لا يزل^٢ في القول والفعل والكلام ويترك الهوى، ويتقصد بلباس التقية والتقوى^٣، وأن يجمل^٤ صورته بالوقار، ويردّيها بالمجد والافتخار، ويهذبها بتصفية الأخلاق، ويظهرها من دنس الخلق والنفاق، ويحلّيها بالطاعة والوفاق، ويزينها بحسن الأمانة وترك الخيابة، ويعودها صدق اللسان ومحافظة الأخوان، ويحصنها بدرع الشريعة^٥، وينزّرها عن أفعال الطبيعة، ويقبل على الدين بقلب سليم تقي، وفكر صافٍ نقي، وعقل وافٍ زكي^٦، ويكتم أسراره، ويواظب على معرفة شروطه وأوضاعه^٧، ويديم النظر فيه، ويكرّره بسرّه ليعرف مقاصده ومعانيه، ويدقق^٨ السؤال، ويشقق^٩ اللفظ والمقال، ويخضع لمن أنعم عليه، ويطيع من أحسن إليه، ويفي بالعهد والميثاق، ويسأل عن منزلة الكفال^{١٠} وأخذي الوثاق^{١١}، ويحسم بين الأمة السياسة، لبيان الرفعة والرئاسة، ويدعو إلى الحق بحسن أفعاله وشرف أعماله، ويكون من الخير قريباً، وعن الشر بعيداً، ويدفع ما عليه من ماله للإخوان، ويقرّ بفضل من مضى من أهل الإيمان.

ويعترف بطاعة الحاضر الموجود ويصدق بعلم ما يأتي غداً من الموعد^{١٢} مما سمعه من الحكمة، وتصوره وعرفه، ويعلم أنّ تحته دقائق^{١٣} في ضمنه^{١٤}.

التخلق: مصدر تخلق الرجل خلقه تكلفه، واستعمله من غير أن يكون موضوعاً في فطرته، وقيل: لا تتخلق بأخلاق السفيه.
٢ زل الرجل: يزل ويزل زلاً وزليلاً وغير ذلك، زلق وعن الصواب انحرف.
التقوى: اسم من الإتقاء، وأصله وقوى قلبه، للفرق بين الاسم والصفة كخزيا وصديا.
٤ جملة: زينه، ومنه إذا لم يجملك مالك لم يجد عليك جمالك.
الشريعة: ما شرع الله لعباده من السنن والأحكام، ومعناها الطريقة لشروع الناس فيها، وعلى ذلك تكون الشريعة الظاهر المستقيم من المذاهب.

٦ واف: من وفى الشيء طال.
٧ الزكي: فاعيل بمعنى فاعل من زكا: الزائد الخير والفضل بين الزكاء.
٨ الأوضاع: جمع وضع من وضع الشيء يضعه وضعاً وموضعا وموضوعاً أثبتته وخلاف رفعة.
٩ دقق الشيء: استعمل الدقة فيه.
١٠ الكفال: مضارع شقق الكلام أخرجه أحسن مخرج.
١١ الكفال من كافله مكافلة: كان مكافلاً له والمكافل المعاهد والمعاهد.
١٢ الوثاق: مصدر وثاقه موثقة ووثاقاً عاهده.
١٣ الموعد: مصدر وعدة بالأمر والأمر يعده وعداً زعدة وموعدة وموعوداً وموعودة، قال له أنه يجريه له أو يُنبئه إياه واليوم الموعد يوم القيامة.
١٤ الدقائق جمع دقيقة: الأمر الغامض.
١٥ الحقائق: جمع حقيقة، غاية الشيء وأصله المشتمل عليه.

حقائق، ولا يتوهم أنه قد وصل منه إلى الغاية، ولا أنه قد بلغ منه إلى النهاية، ويسأله عن ربِّ الحكمة في الخلوات، فتفتح له أبواب السعادات، وما يعجز عنه فهمه ويقصر تصوّره فيه ووهْمُهُ فليُرْدهُ إلى ولي النعمة، فيكشف له منه حقائق الرحمة، وليحذر أن يأخذه فيه شك ويعترض له معترض، فإن الاعتراض يحدث المرض في القلوب والتسليم من صحّة اليقين، فعليه بالتسليم والرضى لولي أمره وإمام عصره، فإنّه قاعدة الدين وركن معرفة اليقين، وليتجنب المرء والرياء والحقد والحسد والكبرياء، فإنّه فعل إبليس اللعين في بدو الأمر، وإيأه والخداع والمكر والابتداع والكذب، فإنّه حيض الرجال وأنجس الأقوال، فلا يجره على لسانه ولا يعتمد في مقاله، وإيأه القذف والبهتان^١ فاتبهما يجانبان الإيمان.

وهذا شرح بعض أدب الدين الذي يلزم كل طالب ناقصة ديان راغب في معرفة توحيد زائدة الرحمن.

المعنى: كل الذي أورده مفهوم لا يحتاج الى شرح، غير أن الطالب يجب أن يتقيد بهذه الآداب التي ذكرناها عالماً أن تحتها دقائق في ضمنها حقائق، لأن السالك لم يدرك غاية إلا تجلّى له من وراء تلك الغاية غاية، وهذا الذي بالغ نهاية الشدة في عسف التكليف، ولكنه ينظره بعض آداب الدين التي تلزم كل طالب ديان، راغب في معرفة الرحمن، لأنه صوفي، وطريق الصوفي أدق وأرق.

ومن الشروط الواجبة والآداب اللازمة المروية عن الأئمة الأطهار والسادة الأبرار منهم السلام في حفظ التقية وصيانة الدين.

ومما روي عن مولانا عزّ عزّه قال: عليكم بالجهاد^٢ الحقيقي.

قالوا: وما الجهاد الحقيقي يا مولانا؟

قال: الاجتهاد في إقامة التقية^٣ وإظهار الأعمال الظاهرة.

^١ الوهم: ما يقع في القلب من الخاطر، وقد يطلق الوهم على القوة الوهمية من الحواس الباطنة التي من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات، كشجاعة زيد وسخائه، وهذه القوة هي التي تحكم في الشاة بأن الذنب مهروب منه، والولد معطوف عليه، جمعه أوهاّم ووهم ووهم.

^٢ القذف: مصدر قذف، مصدر المُحصنة، رماها بريئة بغير تدبير وتأمّل.

^٣ الجهاد: من جاهد الجنود مجاهدة وجهاداً قاتله، وفلان في سبيل الله بذل وسعه. قال الله تعالى (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) (سورة الحج: من الآية ٧٨).

وقال في بعض خطبه: أيها المؤمنون إني أوصيكم بلزوم الظاهر والمحافظة عليه، فإن التقية لا تهمل، فحافظوا عليها وتألفوها لتعادها نفوسكم.

وقال مولانا الصادق منه السلام: إن الله^١ أوحى إلى شِيث ابن آدم منه السلام أن لا يحارب قابيل وإن يعبد ربه سرّاً، فجرت التقية إلى يوم الوقت المعلوم، وأجرت التقية أبائي قبلي منذ قتل قابيل^٢ هابيل، فمن ترك التقية أذاقه الله حرّ الحديد وبرده لأذاعته سرّ الله تعالى.

فالتقية ديني ودين آبائي وأجدادي، فمن لا تقية له لا دين له وهي اصل الديانة وحفظ الأمانة^٣.

وقال مولانا الصادق منه السلام للمفضل بن عمر: يا مفضل صن دينك.

^١ سُمي التقية جهاداً حقيقياً لما ورد عنه (ص) خلصنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس، فالتفلس صعبٌ عليها التقيد بمفترضات الشريعة، ولا سيما عندما يتمكن منها المران والعادة على تركها كما هي الحال عندنا الآن.

^٢ أوحى إليه: كلمه بكلام خفي وبعثه، وبكذا ألهمه به.

^٣ لعل فرض التقية من يوم قتل قابيل هابيل هو لأنّ القرين الذي تقرب به كلاهما إن كان دعاء كما في رواية، فهو إظهار سرّ لا يجوز أن يطلع عليه قابيل، وإن كان ذبيحة كما في رواية أخرى يكون الدعاء الذي أمرهما به أبوهما ذلك السر، فكان هابيل ضحية إفشائه، فكانت التقية إلى يوم الوقت المعلوم. وجميل ما في بيان السعادة من إن أمثال حكاية آدم وحواء وبجميع ما جرى لها هو من مرموزات القدماء، وهكذا حكاية سليمان وهاروت وماروت مما لا يوافق شأن الأنبياء، فإنهم أرادوا بذلك التنبيه على المعاني الغيبية المشهودة لهم، وتداولها الناس بنحو الأسماء، ولم يدركوا منها سوى المعاني الظاهرة المدركة بالمدارك الحيوانية مما ينافي عصمة الأنبياء، وقد ورد عن الموالى إنكارها. فأدم أبو البشر، وحواء أم البشر خلقا في العالم الكبير، وهبطا إلى العالم الصغير (أي الإنسان) هبط آدم على صفا النفس، وأقربها من بيت الله الحقيقي وحواء على مروءة النفس وأكسدار أطرافها وأبعدها من القلب (بيت الله)، وأول بطن من حواء بعد زوجها كان قابيل النوعي الذي غلبت عليه صفات النفس من الأنانية والبخل وما أشبه، وثاني بطن هابيل النوعي، وكان كل منهما نوعاً لأخت، فأراد آدم تزويج كل من أخت أخيه، فأبى قابيل ذلك أنفة من الصعود إلى قرب العقل، وحسد أخاه فقتله، فأصبح من الخاسرين، ويقتل هابيل تنقطع الإنسانية من العالم الصغير الذي هو الإنسان الفرد نفسه، ويقف الناس في هذا العالم الذين هم من نسل هابيل أي أبناء العقل، وإذا لم يقتل هابيل الإنسان الذي هو العالم الصغير كان الخطاب من الله متوجهاً إليه، وإذا قتل فلا خطاب ولا تكليف، وكان الزنا والصلاة متساويين. فمن قتل في ملكه قابيل وجوده هابيل وجوده قتل الناس كلهم في وجوده، ولم يتوجه إليهم بعد خطاب ولا تكليف (من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) (سورة المائدة: من الآية ٣٢).

^٤ الأمانات عند الإنسان كثيرة، والمقصود هنا هو هذا السر، وحفظه هو إقامة التقية، فإقامة الشريعة الغراء كما فرضت هو أصل الديانة، لأنها هي الوسيلة المؤدية إلى الغاية، والغاية لا تتأل إلا عن طريق الوسيلة، فالغاية معرفة باطن الشريعة، والوسيلة ظاهر الشريعة، وبغير إظهار الأعمال الظاهرات تكون خنت تلك الأمانة، واستحققت من الله العقاب الصارم، والمجازاة الأليمة.

فقلت: يامولاي كيف أصونه؟.

قال: بإظهار العبادة ومواساة^١ أولياء الله تعالى.

يا مفضل من عَرَفَ جبراته أو أحدًا من المقصرة^٢ سر شيء من الشهوات الشنيعة^٣ المسماة بالمعصية يناله، فهو بالله تعالى كافر مردود في التهلكة^٤، ومن يخرجها عن كونها معصية فليستغفر الله تعالى يجد الله غفوراً رحيمًا، ويستتر فعله بخلقه وجوده بإيجاده، ولا يحل ما حرّمه الله ولا يحرم ما حلّله الله تعالى.

ثم قال: يامفضل استعبدوا هذه النفس الأمارة بالسوء بإقامة التأديب^٥، فمن أظهر منكم خلاف ما أظهرناه فقد خالفنا، ومن خالفنا فقد بارزنا.

يامفضل عودوا أنفسكم هذه الآصار^٦ في الخلاء، كي لا تسهوا عنها في الملأ، وأقيموا الفرائض والسنن والرواتب^٧ والتأديب، ولا تغفلوا عنها أحبُّ أحدكم أن ينزل إلى السوق عرياناً.

المعنى: كل هذه الروايات المارة بك المملأ بالتهديد والوعيد من قبل الموالى الكرام على تارك النقية، أو مُهمَلها، الفياضة بالحث والندب إلى إقامتها تارة، يسمونها بالجهد الحقيقي وطوراً بالأمانة، وإنها جرت من يوم قابيل هابيل، ومن لا نقية له لا دين له.. الخ، كل هذا بين لا يحتاج إلى الشرح والتفسير، غير أنني أتعجب من إخوان عصرنا كيف أجازوا إهمالها، وأنى لهم ذلك، وأغرب من كل غريب إن الشيخ حبيب عيد صال على بهذه الروايات نفسها على ترك الشريعة وإهمالها وزعم أن الظاهر هو الشجرة الملعونة في القرآن وألف في ذلك، ولا غرو فإن من أول قوله تعالى (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)

^١المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق.

ورد في باب زين العابدين من هداية الشيخ الخصيبي عن الصادق: المقصرة هم الذين هداهم الله وأفضينا إليهم بسرنا فشكوا فينا وأنكروا فضلنا.

^٢الشنيعة: مؤنث الشنيع، وهو القبيح والكره الطعم من الأوبى.

^٣التهلكة: مصدر تهك الستر وغيره وانتهك مطاوع هنك، وفلان اقتضح، وفي البطالة انهمك فيها.

^٤التأديب: مصدر أبه فتأدب: علمه الأدب، وألأن عريكته، وعاقبه على إساءته لأنه سبب يدعو إلى قلة الأدب.

^٥الآصار: جمع إصر: الحبس والتضييق.

^٦الرواتب: الوظائف والسنن السابقة للفرائض، وقيل المؤقتة بوقت مخصوص.

(سورة البقرة: من الآية ٢٥٧) الخ. مستدلاً بها على حمد الظلمة، يقول ما شاء ويتكلم بما يريد أعاذنا الله.

وعن المفضل قال سمعت مولاي الصادق منه السلام يقول: أن في هذه العصابة قوماً يدخلون فيها ليسقطوا عن أنفسهم العزائم (١)، ويستخفوا بحمل الفرائض، وما هؤلاء مني ولا أنا منهم (وأولئك هم وقود النار) (آل عمران ١٠) يا مفضل، كل ما يناله المؤمن في دولة الضد حلال له إلا ما يظهره لعدوه مما يهتك به ستره ويظعن عليه بسببه وعلى من يقول بمقالته:

يا مفضل أما أنه حلال لكم معكم حرام عليكم مع غيركم، فإنه أفترض على أوليائه المؤمنين الممتحنين أن يقرؤا بالصلاة باطناً، وهي معرفة الله تعالى، ويقيموها ظاهراً، ويأتوا المساجد ظاهراً، ويقرؤن بها باطناً، ويصومون شهر رمضان بعد معرفته باطناً، ويحجّون البيت الحرام ظاهراً بعد معرفة مناسكه باطناً، ويأتون الزكاة بعد معرفة باطنها ولا يدعوا شيئاً مما افترض الله عليهم ظاهراً وباطناً، ومن ترك الظاهر بعد ما عرفه الله الباطن سلبه الله الباطن والظاهر معاً.

وروي عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله الصادق منه السلام عن قول الله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال أعلمكم بالتقية وأحفظكم عليها.

وقال (ع): إنما ظهر الله بين خلقه ليؤخذ بآدابه، فما عملناه فاعملوه، وما رفضناه فارفضوه، وكونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا عاراً وشيناً.

المعنى: العزائم فرائض الله التي أوجبها على عباده، وعزائم السجود ما أمر بالسجود فيها. يقال خير الأمور عزائمها التي عزم عليك فعلها، أولاً يكفيك أيها الأخ أن الأعمال بالتقية التي هي إقامة الأوامر الشرعية هو الأتقى والأكمل، بلى والله، ولو كان لنا قلوب واعية وأذان صاغية لعملت بنا هذه الروايات المعصومة وأضرابها أو لا ينظر هؤلاء المتقاعسون عن آداب الشريعة إلى ما وصمهم به الصادق بأنهم يدخلون في هذه العصابة ليسقطوا عن أنفسهم مفترضات الشريعة، فهؤلاء ليسوا من الصادق، ولا الصادق منهم، أولئك هم وقود النار، ومن فعل ذلك كمن مشى في السوق غريان البشرة بادي السوء مفضوح السريرة، فكل ما ناله المؤمن في دولة الضد من شراب وتبرئة من الأضداد، ومذاكرة توحيدية سرية، مما

لايجوز إظهاره، فيهلك به ستره المأمور بإسداله دائماً وأبداً، ويُطعنُ عليه بسببه وعلى شيعته القائلين بمقالته، فحلال، وما سوى ذلك فحرام (حلال لكم معكم حرام عليكم مع غيركم)، والعجب من هؤلاء الإخوان أنهم لا يعرفون من أشباه هذه الروايات ومن كل ما قيل في التقية، إلا الصيام فقط، ولو كان المراد ما تأولوه لم يقل الصادق: إنما افترض عليهم الظاهر والباطن، ومن ترك الظاهر بعد ما عرّفه الله الباطن سلبه الله الباطن والظاهر، وإذا سألناهم - وقد سألنا الشيخ حبيب عيد - من أن كل باطن له ظاهر، ورأيك أن كل ما عرّف باطنه وجب ترك ظاهره وجوباً، وقد عرفنا أن كل شيء من المأكولات والمشروبات والزواج وما أشبه له باطنٌ. فإذا عرفنا أن باطن المحرمات أشخاص مذمومون وقلنا بإهمال الظاهر، حل لنا لحم الخنزير كالخروف، وإذا عرفنا أن باطن النكاح الولادة الروحانية استوى عندنا بنات العم والعمات وبنات الخال والخالات، أعادنا الله من هذا الجهل الفاضح، وتأنى إنها للطامة الكبرى التي خذلت هذا الشعب المسكين فحطته عن مستوى الشعوب..

المعنى: يقول - سلك الله بنا مسالكه - مستشهداً عن الموالى الكرام ظهر الله بذاته ليعمل بأدابه، فما عمل الموالى يجب أن نعمل، وما رفضوه يجب أن نرفض، فإن فعلنا كنا لهم زيناً، وإلا كنا عليهم عاراً بنتسابنا لولايتهم وتسميتنا شيعتهم. إعلم أيها الأخ الكريم أن إقامة ظاهر الشريعة الغراء من سنة كل حكيم من ملل الإسلام ونحله وغيرهم من نوي الأديان والأبصار، وخصوصاً السادة الصوفية، فإذا كرم الله عبداً نصب له العبودية، وستر عنه شهوات نفسه، وجعله يتقلب في عبوديته وشهوات نفسه عنه مستورة، مع جري ما قدر له، وإذا أمان عبداً نصب له شهوات نفسه وستر عنه عبوديته، وإذا أراد أن يوصل عبداً توجه إليه أولاً بنور حلوة العمل الظاهر، فيعمل إلى أن يستوجب المدد بنور حلوة العمل الباطن، ويعمل إلى أن يتوجه إليه بنور المشاهدة، فيصير حينئذ عبداً لله حراً مما سواه، ظاهره عبودية بعمله الظاهر وباطنه حرية بسيره بالأنوار الباطنة، وقدرته على كبح جماح شهواته حتى أماتها، وهذه الثلاث الأنوار: نور العمل الظاهر. ونور العمل الباطن. ونور المشاهدة، هي نور الشريعة، ونور الطريقة، ونور الحقيقة. فامثال الأمر في الظاهر يدل على كمال الشريعة وتحقيق العبودية، فمن نظر إلى ظاهر المظهر تحقق بأوصاف العبودية، ومن نظر لعظمة الله صرفاً تحقق بعظمة الربوبية، والكامل ينظر

إليهما جميعاً فيتحقق بأوصاف العبودية في الظاهر وبعظمة الربوبية في الباطن، فمن وقف مع المكونات مستنداً بها على الله فهو صاحب الشريعة، ومن استتار لبه يكشف مساوئ عيوبه مقبلاً على صفاته فهو صاحب الطريقة، ومن كشف له عن ظلمة الأكران وأشرق عليه نور الشهود والعيان فهو صاحب الحقيقة، وصاحب الطريقة يحتفظ بالشريعة، وصاحب الحقيقة يحتفظ بالطريقة والشريعة، فتمسك بهذا، هدايا الله وإياك.

فإن قيل إن قد عرفنا هذه الأعمال الظاهرة التي ذكرتها فبين لنل ماهية بواطنها.

فنقول: اعلّموا إخواني إن الصلاة الحقيقية هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر^١، وهي صلة^٢ بين الله وبين عباده، وهي عماد^٣ الدين، فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين، وهي معراج^٤ المؤمن فمن أتى بها كما ينبغي فقد تمت دائرته^٥ وعاد إلى ما منه بدأ، وهي من أعظم المواهب^٦ الإلهية وأجل النعم الربانية لا تدرك في المكاسب ولا تجلب مع كل جالب وإن العمل بشروطها^٧ من

الفحشاء: الفاحشة وهي الزنى، وما يشتد قبحه من الذنوب، وكل ما نهى الله عنه.
المنكر بالضم ففتح: ما ليس فيه رضا الخالق. والصلاة ذات مراتب عديدة، وكل مرتبة تنهى عن فحشاء تلك المرتبة عينا، لأن لكل مرتبة من مراتب الصلاة فحشاء بقدر تلك المرتبة، فالصلاة القلبية تنهى عن الفحشاء والمنكر القلبي، والصلاة القلبية المأخوذة بإجازة إلهية تنهى عن الفحشاء والمنكر بمرتبة القلب، وكذلك الصلاة الصدرية المسماة عندهم بالفكر والحضور، وهي ملكوت ولي الأمر، تنهى حالاً ومقالاً عن جملة الفحشاء والمنكر، وصلاة المستغرق في شهود جمال الوحدة ناهية عن الالتفات لغير الله، وهذا الالتفات هو منكره، والصلاة التي هي الرسول أو الإمام تنهى عن الفحشاء والمنكر من أصناف البشر، وقد فسر الفحشاء والمنكر بالأول والثاني. نقل أنه ما لم تنه الصلاة عن الفحشاء، لم تزد من الله إلا بعداً، وروي أن فتى من الأنصار كان يصلي الصلاة مع رسول ويرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول الله (ص) فقال إن صلاته تنهاه يوماً ما فلم يلبث أن تاب.

الصلة: مصدر وصل الشيء بالشيء يصله وصلاً وصلة لأمنه وجمعه وضد فصله.

العماد: ككتاب ما يسند به، جمعه عمد بضمين.

المعراج والمعرج والمعرج: المصعد جمعه معارج.

الدائرة ما أحاط بالشيء، وفي الهندسة: شكل يحيط به خط مستدير، وفي داخله نقطة جميع الخطوط الخارجة منها متساوية.

المواهب: جمع موهبة، اسم من وهب كالوهاب العطية.

الشروط جمع شرط بالفتح: إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه، وشروط الصلاة التي يعينها المؤلف هي ما سيمليه عليك.

أشرف العبادات^١ وأقرب القربات^٢، وكما أن الطهارة^٣ الظاهرة شرط في صحة الصلاة الظاهرة وهي معلومة لدى الجمهور فكذلك الطهارة^٤ الباطنة شرطاً في صحة الصلاة الباطنة وهي عبارة عن قطع التكلف^٥ من الدنيا والآخرة. وما يتعلق بها لأن الصلاة^٦ الباطنة عبارة عن اتصال رقيقة^٧ الروح^٨ الروحانية بالحضرة الإلهية فمن تعلق بغير الله ولو كان مؤمن بالله لم يقدر على الاتصال بالحضرة

العبادات جمع عبادة الطاعة، ونهاية التعظيم لله عز وجل. والصلاة بشروطها أشرف ما يعظم الله به، وأعظم ما يقترب به إليه. القربان جمع قرابة بالضم والقرابة بضمين ما يقترب به إلى الله تعالى من أعمال البر والطاعة، وتجمع على قرب أيضاً. هي ما ظهر ضد نجس، وهي التنزه عن الأناس ولو معنوياً، والوضوء معلوم وتشخيصه عند الموحدين مشهور. الطهارة الباطنة تعلمها من الجدول وغيره.

التكليف: هو ما كلف الله به عباده، والمراد بقطعه عدم طلب الإثابة عليه، أي لا يرى المكلف أن له على الله بأعماله جزاء لأنه لم يفعل إلا تادية الواجب، فلا يرجو عليه ما تتطلبه بشرية في دنياه من شهوة الفرج والبطن وما يتبع ذلك ولو كان حلالاً له، ولا يرجو عليه في آخرته جنة ولا يخشى ناراً كسفة الناس:

رغبت في النار فرحمت زاهدا
بجنة بوعدا غيري يُعزِّر

فالناس في الطاعة على ثلاثة أقسام: قسم يرجون عليها النعيم، وينفعون بها العذاب الأليم، فهم يرون صدورهم منها لم يتبرؤوا فيها من حولهم وقوتهم، وهم أهل إياك نعيد. وقسم يرونها هدايا من الله تحمّلهم إلى لا يرون لأنفسهم فعلاً ولا تركاً ولا حولاً ولا قوة، فهم محمولون بالقدره مصروفون بالمشيئة، فهم أهل إياك نستعين. وقسم قانون عن أنفسهم باقون بربهم، إن ظهرت منهم طاعة فالحمد لله، وإن ظهرت منهم معصية اعتذروا لله أنبا مع الله، لا يزيد فرحهم بالطاعة ولا ينقص بالمعصية لأنهم بالله والله ومن أهل لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه الصفة الأخيرة من الطاعات هي التي أرادها، رحمتنا الله بمعرفة أيساره.

الصلاة: اسم لما ينصرف به عن غير الله ويدل على ذلك أن الصلاة كانت بكل شريعة، ولم تكن بتلك الهيئة وقوله تعالى (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَأْمُونَ) (سورة المعارج: ٢٣) يدل على ما ذكر وغير ذلك. ورد في الخبر أن من الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر. سمعت رسول (ص) يقول: أرحى آية في كتاب الله.

الحنان: يذهبن المنيات (سورة هود: من الآية ١١٤) والذي يعثي بالحق بشيراً ونذيراً إن أحكم وعليه من دنوبه شيء كما ولدته أمه. الرقيقة: مؤنث الرقيق وهو ما سهل وما غلب وما لطف من المعاني والعيش الناعم الرغيد.

على الأشخاص البشرية. وهذه الأسامي مادة الصور كالأرواح النورية الفائضة

الإلهية فيمتنع من الصلاة الباطنة وكما إن استقبال القبلة الظاهرة شرط في صحة الصلاة الظاهرة فكذا استقبال القبلة الباطنة^١ شرط في صحة الصلاة الباطنة وهي عبارة عن الإقبال على الله بالكلية والإدبار عما سواه قلباً ونفساً وروحاً وعقلاً وسراً، فإن من لم يقبل بالكلية على الله عز وجل ويدبر بالكلية عما سواه^٢ لا يتصل بحضرة الله ومؤمن السوى لا يتصل بحضرة الله كما قيل شعر: للمراجعة فلم تهوني^٣ ما لم تكن في فانيا^٤ ولم تفن ما لم تجل^٥ فيك صورتي^٦.

^١ القبلة الباطنة: هي استقبال وجه الله، والوجه ما به ظهور الشيء، وما به توجهه واستقباله، وذات الشيء والحق الأول تعالى بحسب مقام غيبه لا اسم له ولا رسم، وبحسب مقام ظهور فعله لا ظهور لشيء إلا وهو ظهوره، هو معكم أينما كنتم، داخل الأشياء كدخول المقوم في المقوم، لا كدخول شيء في شيء، وحيث لا يحويه مكان دون مكان فلا اختصاص بالعبادة لبقعة دون بقعة والتوجه إلى الله في نفسها، لكن قد يعرض لبعض الامتياز عن الآخر بأمور خارجة، قبلة وجه البدن أشرف بقاع الأرض (مكة) وقبلة وجه النفس القلب، وقبلة وجه القلب الروح، وقبلة الروح الولاية المطلقة، وقبلة الكل خليفة الله:

ووجهت وجهي في اتجاهي لوجهها ومن حيث ما استقبلتها فهي قبلتي

وفي الجوهر (إنهم) كانوا يرون وجه قديم (لزمان من كل الجهات).

كل جهات قصدها واحدة لخاطر فيها بسلطان خطر.

^٢ إن النفس والقلب والروح والعقل والسر عند الصوفيين شيء واحد، وما هي إلا الروح تتطور بحسب التصفية والترقية، فما دامت مشغولة بشهواتها الجسمية فهي نفس، فإذا انزجرت وغفلت بعقل الشرع إلا أنها تعصي مرة وتتوب أخرى فهي عقل، لأنها معقولة بالدليل والبرهان محبوسة في سجن الأكوام؛ فإذا سكنت عن المعاصي، إلا أنها تتقلب بين الغفلة وبين الاهتسام بالطاعة والمعصية، سُميت قلباً وهو أول مطالع الأنوار فتشرق عليها أنوار التوجه، فلا تزال تتوارد عليه الواردات حتى يسكن إلى الله ويطمئن بذكر الله، وتدخل، فإذا تصفت من غيش الحس، وتطهرت من كدر الأغيار سُميت سرّاً، وهو أول أنوار المشاهدة، فإذا نزلت من لوث الأنوار وهو الوقوف مع المقامات، والالتفات إلى الكرامات، سُميت سر السر، وهو أول مطالع أنوار المعانية والمكاملة ثم لا حال ولا مقام (يا أهل يثرب لا مقام لكم).

سواه: غيره، راجع إلى الله.

^٣ الهوى: غرادة النفس، ويكون في الخير والشر، وهو عند الصوفية من صفات الله العليا حقيقته الحق الأول لا يُحاط به، لأنه عين الواقع ذهناً، أي لكان الأمر الكائن في الذهن بالتصور وهو الذهن والواقعي ذهنياً، والهوى المطلق منزلة عن إدراك الحس والخيال والعقل للزوم التشابه في الأصل بين المدرك والمدرك، بل لزوم الاتحاد بينهما ولا سخرية ولا تشابه ولا اتحاد بين المطلق والمقيد. والعشق المقيد من أجل أوصاف الإنسان، وبه تتحقق إنسانيته، ولا يدرك حاله بالحال والقال، ولا بالعقل والخيال، لأنه يقتضي الدهشة والحيرة، ولذلك ظن العقلاء من الحكماء أنه جنون. وترقى بعضهم فقيل إنه جنون إلهي. والهوى كالوجود؛ ليس لأحد الكلام فيه - إذا بلغ الكلام للذات فأمسكوا - ويتنزل كتنزل الوجود - كما مر بك -، واختلف في عشق زليخا ليوسف فقال من لآخرية له إنه عشق حيواني، بدليل تهديدها إياه بالسجن، والعاشق لا يمكنه تهديد المعشوق، وبدليل قولها هبتك وقولها: راوتني فاستعصم. وقال ذوو البصائر: إنه عشق علوي موجب لقرب الحق الأول، لأنه انتهى إلى محبة الله ومشاهدة جماله، فقد ورد أن يوسف افتتن بها وهي استغنت بالله عنه.

فبالجملة إن الطهارة الباطنة هي ترك المرادات الدنيوية والأخروية ظاهراً وباطناً، فمن تعلقت إرادته بشيء سوى الله لم يقدر على الاتصال بحضرة الله تعالى.

المعنى: وبعد أن حضُّ على إقامة الظاهر بما مر بك مدعماً حججه البالغة بآراء الموالى الكرام منهم السلام، شرع يعلمنا باطن هذا الظاهر فقال - نورنا الله بمعارف - إن الصلاة الحقيقية تنهى عن الفحشاء والمنكر بمعانيها في كل نوع من أنواع الصلاة - كما مر بك - وهي الوصلة بين العبد وربّه. فمن أتى بها كما ينبغي

وزال في أحكامه حكمي
كالعرض اللائح في الجسم

فني وجودي في وجود الهوى
وأصبحت ذاتي بذات الهوى

^١ الغائي: اسم فاعل من فني فناء: غم. والمقامات التي يقطعها السالك في الفناء ثلاثة:

- فناء في الأفعال.
- وفناء في الصفات.
- وفناء في الذات.

أو تقول فناء في الأسم، وفناء في الذات، وفناء في الفناء، هو مقام البقاء ثم الترقى الى ما لا نهاية له، فإذا كثف للسالك عن سر توحيد الأفعال، إذ الأفعال كلها لله وزادت حلاوته وأرادت همته أن تغف مع ذلك المقام، نادته هوائف حقيقة المقام الذي فوقه الذي تطلب أمامك، حتى يصل الى مقام البقاء نادته هوائف العلوم الغيبية: وقل ربي زمني علماً:

حتى خفيت به عن الأوهام
لم يدرك أين أنا، وفيه مقامي

ما زال يخفي عنى الفسرام بحكم
وفيت حتى لو تصورني الفنا

^٢ اجتلى الشيء كشفه.

الصورة بالضم الوجه، وشكل الشيء وتمثاله إذا بلغ العبد أوان التكليف القالبي، وتنبه لمعرفة الغيب مترقياً بالتكليف القلبي، ورأى الفعل من الله ولا حول ولا قوة إلا بالله صار باقياً بصفة الله، فإذا ترقى بحيث لا يرى نفسه بآئنة عن الممد الإلهي صار فاتناً بالله، فإن أبقاه الله في هذا المقام صار باقياً وتم له السلوك وصار جامعاً بين الفرق والجمع، والوحدة والكثرة، وحينئذ تجتلي به صورة الله. ورد في الحديث القمسي: لا يزال العبد يتقرب الى بالناظر حتى أحبه فإذا أحبيته كنت له سمعاً وبصراً ويدا وموئداً (أو كنت عينه التي يبصر بها... الخ) وأنتذ يكون العبد منمحقاً في أنوار الله. (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى). وهذا هو سر الاتحاد بالله:

ظهور صفاته الحسنى عليه

صفا جسدي حتى بدا منه قلبه... الخ. وللغرض في هذا ادعاءات عناهم المؤلف بقوله (لا يفرنكم من تجلت له المشاهد)، وكمر ورد عنهم من معاني ذلك الاتحاد: ما في جيبتي هذه إلا الله - أنا النقطة التي تحت الباء - أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدننا. المراتب: جمع مرادة صفة لموصوف محذوف من أراد ولعلها الإرادات يدل عليها ما بعدها من تعلقت إرادته.

فقد تمت دائرة قُمص تأجيله، وصفا وعاد إلى نورانيته التي منها بدا، فهبوط المؤمن من الصفاء، وتكراره في قصص التأجيل، وعوده منها إلى الصفاء بمثابة الدائرة ينتهي خطها المستدير بالنقطة التي بدا منها، وهذه هي دائرته، -لا التي زعمها الصوفية-، وهي أعظم المواهب الإلهية، وكما أن الطهارة الظاهرة بالماء، شرط في صحة الصلاة الظاهرة، فللصلاة الباطنة طهارة هي معرفة أمير المؤمنين عندهم والبراءة من أعدائه، وهي عند المؤلف تجرد المرء من دنياه وما تتطلبه بشريته كخلفه بأخلاق البهائم من شهوة البطن والفرج، وما أشبهه ولو كان حلالاً له، وقطع التكليف في الآخرة هو أن لا يرجو على عمله جزاء ولا شكوراً وأن لا يرجو جنّة ولا يخشى ناراً. والصلاة الباطنة عبارة عن الاتصال بحضرة الله سبحانه بقطع الاتصال مما سواه، لأن من تعلق بغير الله لا يتصل بالله والذي يرى أن ثمة موجوداً غير الله محالٌ عليه الاتصال بالله. واستقبال القبلّة الباطنة هو الإقبال على الله بسائر مقامات الروح والعقل والسر وسر السر، لا تُدبرُ عنه وأنت في مقام من هذه المقامات، بل تُقبلُ على الله مدبراً عما سواه بكل منها. (وفي هذا التشديد ما غيره، وإلا فإن موالى أمير المؤمنين العارف بأن الصورة المرئية هي الغاية الكلية هو مؤمن لا شك في إيمانه، ومع هذا فقد ورد عن الصوفية. لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، وعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود بقطة إلى ذكر مع حضور إلى ذكر مع غيبة عما المذكور)، فليذكر المريد ربه فالغفلة عن الذكر إعراضٌ بالكلية وفي وجود الذكر إقبالٌ بوجه ما) فلم تهو الله سبحانه ما لم تقن به عن الجسمانيات ولذائدها، وعن النفسانية وشهواتها إلى تجردك عنهما، ثم تقطع مراتب السلوك إلى الفناء الذي هو عين البقاء، فهو رتبة الجمع أو رتبة جمع الجمع، فحينئذ تكون مجلى أنوار الله ومظهر أسرارهِ، ومحلاً لتجلي أسمائه وصفاته. وسيمر بك زيادةٌ أيضاً لهذه المعاني عند ذكر الإنسان وجموعاته إن شاء الله.

وأما الزكاة الباطنة فهي عبارة عن تزكية^١ العبد من يقين وجوده بالكلية،
وأما الصوم (٢) الظاهر فهو الإمساك عن الطعام والشراب.

^١التزكية: التنمية والتطهير. يريد نفسه الله أن الزكاة الباطنة أن تطهر نفسك بمعرفة الزكاة التي هي عبارة عن التبري من غير ولي الله بمعرفة شخصها الذي هو المين، أو أراد أن الزكاة أن يطهر

وَأَمَّا الصُّومُ الْبَاطِنُ^١ فَهُوَ الْإِمْسَاكُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ وَأَمَّا الْحَجَّ الظَّاهِرُ فَهُوَ الْمَعْلُومُ.

وَأَمَّا الْحَجَّ الْبَاطِنُ^٢ فَهُوَ مَشَاهِدَةُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، وَبِالْجُمْلَةِ فَمَنْ حَمَلَ عَلَى الظَّاهِرِ الْمَحْضِ فَهُوَ حَشَوِي^٣ وَمَنْ تَمَسَّكَ بِالْبَاطِنِ الصَّرْفِ فَهُوَ مَلْحَدٌ وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مَعَ أَيِّ بِالنَّفَقَةِ وَالتَّقْوَى كَانَ مُؤْمِنًا مُوَحِّدًا عَارِفًا مُحَقِّقًا، إِذَ الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى هُمَا فَتْحُ بَابِ كُلِّ خَيْرٍ وَبِرْكَةٍ وَرِزْقٍ صَوْرِي^٤ وَمَعْنَوِي^٥ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَكُلُوا مِنْ أَهْلِ الْغَرَى آمِنًا وَاتَّقُوا لَفَتْحًا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^٦ (الآية) (الأعراف ٩٦)

وَقَالَ (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا^٧ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ... (الآية) (المائدة ٦٦)

المرء نفسه باتباع ولاية ولي الأمر والتبري من غير ولي الأمر، فيكون زكى نفسه التي بها قيام وجوده (ومن يقيم وجوده) في نسخة من يقين وجوده.

الصوم الباطن عندهم صورة التبري، وبالتبري ترتفع الموانع عن التوجه إلى الله وعظمته وكبريائه، ترتفع الغفلة والنسيان فإنهما ليسا إلا من استتار عظمته. الحج الباطن عندهم حجان: صوري ومعنوي.

الصوري: لقاء الإمام بحسب الصورة.

والحج المعنوي: لقاءه المعنوي، فيكون الحج أمراً بالفكر الذي هو مصطلح السادة الصوفية، وهو عبارة عن المجاهدة في العبادة والأفكار القلبية واللسانية حتى تصفو النفس من الكدورات، فيتمثل الإمام على المجاهد. نسب إلى الباقر (ع): (إن تمام الحج لقاء الإمام) وعن الصادق (إذا حج أحذركم فليختم حجة بزيارتنا لأن ذلك من تمام الحج).

والحج قصد ظاهر لباطن

له معان بالرسوم تُعتبر

الشهرستاني جماعة من غالبية الشيعة وجماعة من أصحاب الحديث، فحشوية أصحاب الحديث صرحوا بالتشبيه. حكى عن أحمد الجهمي أن المسلمين يعاينونه في الدنيا والآخرة. قال بعضهم: أن معبودهم جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وأذنين، ومع ذلك فهو جسم لا كالاجسام الخ. حملهم على ذلك ما بالقرآن من استواء ويد ووجه وجنب وما بالحديث أيضاً.

الصوري نسبة إلى الصورة كناية عن عمل محسوس.

المعنوي: نسبة إلى المعنى، كناية عن القبوضات الإلهية.

إذا آمن الإنسان ونفاد لشكر خيراتهِ الجسمانية الحاصلة من الأرض، وخيراتهِ الروحانية الحاصلة من السماء كثرت خيراتهِ الروحانية والجسمانية، من اعتناق سموات الطبع مع أرض الطبع، ومن اعتناق سموات الأرواح مع أراضي الأشباح النورية والظلمانية، فسموات الطبع كناية عن معرفة وأراضي الأشباح.

لأن الألفاظ موضوعة للحقائق باعتبارها عناوين لها، من غير اعتبار خصوصية من الخصوصيات كلية كانت أو جزئية، فإن زياداً مثلاً في صباه وشيخوخته وتجرده وتجسمه وغير ذلك هو زيد،

أي يحصل لهم العلم الإلهي الوهبي^١ اللدني الباطن.

والعلم الكوني الكسبي^٢ الظاهر جميعاً.

المعنى: يقول أن الزكاة الباطنة تطهير النفس بمعرفة ولي الأمر والتبري من عدوه، والصوم الباطن التبري أيضاً، بحيث ترتفع الموانع عن التوجه إلى الله بالإمساك عما سوى الله، والحج مشاهدة تجلي الله سبحانه للسالك في سائر رتب السلوك (وما ورد عن الإمام هذا معناه) فمن حمل الشريعة على الظاهر المحض فقط هو حشوي مجسم^٣ لأنه جسم المعاني الغيبية والأشخاص النورية، ومن تمسك بالباطن الصرف كان ملحد^٤ (فآه للشيخ حبيب عيد) لأنه بجده الصور الشرعية أحال على عدم، لأن ما غاب فلم يرَ يوشك ألا يكون شيئاً، ومن جدد صور العبادات الشرعية بما استدل على باطنها فهو ملحد^٥، ومن جمع بين الباطن والظاهر كان مؤمناً موحداً عارفاً. فالإيمان وهو ثاني رتبة من رتب السلوك - هو اشتغال القلب بتصفيته بالتخلية والتحلية وتحقيق الإخلاص، والتقوى هي تقوى الله في جميع مراتب السلوك كما مرَّ ويمر، فجمع الباطن والظاهر معرفة وعملاً هو مفتاح باب كل خير وبركة، حسياً كالمال والجاه والرئاسة والعمل الظاهر، ومعنوياً كالفيوضات الإلهية، وبهما تفتَحُ بركات السماوات والأرض بمعانيها ويأكل مقيمها مما فوقه ومما تحت رجليه، والأكل كما مر معنى عمومي لا خصوصي، يعني لو أن الناس أقاموا ما أنزل إليهم من ربهم من المعارف الإلهية الظاهرة والباطنة لأكلوا من فوقهم من الأرزاق السماوية الأخروية الروحية، ومن تحت أرجلهم من الأرزاق الأرضية الدنيوية البدنية، وكلا الأمرين أكل للروح. يعني يحصل لهم العلم الوهبي تجليات وإفاضات بدون واسطة عمل محسوس والعلم الكوني الكسبي الظاهر بالأعمال الشرعية.

فاعلم أن الكل غير معتبر في الأكل الحيواني، بل هو اسم لفعل ما به قوام الفاعل وقوته وازدياده بأي نحو كان وفي أي نشأة وقع.
الوهبي: نسبة إلى الوهب مصدر وهب وهباً وهباً وهباً أعطى من غير عوض، ويعني بالعلم الإلهي الوهبي التجليات الإلهية والإفاضات النورانية.
الكسبي: نسبة للكسب، مصدر كسب الشيء يكسبه كسباً وكسباً جمعه، وكسب مالاً وعلماً وربحه، ويعني به المفترضات الشرعية الحسية.

ومهما تَغَذَّتْ الأنفس من كسب أيديها فإتيا لا تجدُ حلالة الجود، ويكون أكل مما تحت رجله، والكامل من أكل من فوقه ولا يكون معلّمهُ فقيراً ولا مؤنثاً، بل لا يأخذُ علمه إلا من الله تعالى، لا يأخذه من النفس ولا من العقل، ولا يطلب من العلوم إلا ما يكمل به ذاته، وليس إلا العلم بالله من حيث الوهب والمُشاهدة الآخرة وما يقتضيه الواجب من معرفة مقاماتها، حتى يمشي فيها كمشيه في منزله أصلاً فإتيا من أهل العرفان والإيمان لا من أهل الشك والنكران، لقوله تعالى (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (التغابن ١١) لأنه أشهد حقائق أيماته كشفاً وقال تبارك وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ..... الآية) (يونس ٩) وعلامة من اهتدى واستضاء بنور الإيمان هُدي قلبه على طلب الأسباب علويتها وسفليتها، وذلك بما يخصّه الله تعالى من العناية.

المعنى: يقول : إن النفس مهما تغذت من العمل الظاهر بالأوامر الشرعية لا تجدُ حلالة الجود الذي هو الإعطاء بلا عوض (كناية عن المعارف الإلهية)، ويكون ذلك المتغذي بالعمل المحسوس أكل من تحت رجله، أي من ظاهر الشريعة فقط، والكامل من أكل من فوقه أي تلقى العلوم الإلهية كشفاً وتجلياً (وفي السماء رزقكم وما توعدون) (سورة الذاريات: ٢٢) ولا يكون العلم الذي يُلَمه فقراً ولا مؤنثاً، بخلاف الذي يأكل من تحت رجله، وأنت تعلم الذكورة والأنوثة مما في كتب الدين، وسيمر بك أن بكل شيء أنوثة وذكورة، بل يأخذ الكامل الأكل من فوقه علمه من الله فيوضات وإشراقاً بلا واسطة، ولا يطلب من العلوم إلا ما يكمل به ذاته، وليس العلم المكمل للذات إلا العلم بالله من حيث هو وهب من الله، وإشراقاً بدون معاناة درس ولا عمل، ولا يكون إلا بعد درس مع مداومة العمل وبأخذه مشاهدة وكشفاً بخرق الحجب والستور، يسير بها كما تقتضيه مقامات السلوك حتى يكون عارفاً بتلك الأسرار وما يحتويه مضمونها كما تقتضيه مقاماتها، سائراً بتلك التجليات والمشاهدات كسيره في منزله أصلاً (وصاحب البيت أدري بالذي فيه)، فحينئذ يكون هذا السالك من أهل العلم والعرفان لا من أهل الشك والنكران (وقدس الله روحه ما أقسى لهجته وأشد حكمه) ومن يؤمن بالله سبحانه يهد قلبه إلى طلب الأسباب علوية بالكشف والمشاهدات وسفلية بالأوامر الشرعية.

وقال سبحانه (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (الطلاق ٣)، والرزق الصوري كالمال والجاه والحشمة والنعمة. والرزق المعنوي كالعلوم الحقيقية الإلهية والحكمة الربانية، وقال تبارك وتعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) (سورة البقرة: من الآية ٢٨٢) أي بذاته لا بالوسائط مالم تكونوا تعلمون من العلوم الإلهية الدنيوية، ولهذا أضاف التعليم إلى الاسم الأعظم وهو الله تعالى وقال سبحانه تعالى للذين آمنوا: (إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاتًا^١) (الآية ٢٩ من سورة الأنفال)، يعني من اتخذ الله^٢ وقاية في جميع صور الكمالات^٣ العملية^٤ الصادرة^٥ عنه، وجعل نفسه وقاية لله في جميع صور النقائص^٦ الصادرة منه، يجعل له فرقاناً بين مرتبتي العبدانية والربانية.

^١ الفرقان: مصدرٌ بمعنى المفروق المفصل، وقد فُسر بأخبار كثيرة - القرآن بجملة الكتاب، والفرقان بالمحكم الواجب العمل به.
^٢ الوقاية: بالكسر والفتح ما يوقى به.
^٣ الكمالات جمع كمال: مصدر كَمَلَ أي تم.
^٤ العملية: نسبة إلى العمل.

^٥ الصادرة: اسم فاعل من صدر عنه الأمر نتج ونشأ، ومنه برز.

^٦ النقائص جمع نقیصة الخصلة الدنيوية، والعيب. يعني من نسب جميع ما يصدر عنه من النقائص إلى نفسه يجعل الله له نوراً فارقاً بين الحق والباطل، وتعليل ذلك أن الفاعل في موجود هو الله، وليس من الناس إلا الاستعداد القبول والمشيئة والحسنة منسوبتان إلى الخلق نسبة الشيء إلى القابل، ومنسوبتان إلى الله نسبة الشيء إلى الفاعل، لكن السينات أي الأعدام والموجبات للأعدام لما كان الوجود فيها ضعيفاً حيث عُدّها بعضهم أعداماً صرفة تكون نسبتها إلى الفاعل الأول ضعيفة لضعف الوجود فيها، والنسبة إلى الفاعل لا تكون إلا من حيث الوجود، وتكون نسبتها إلى القابل أقوى، فيكون الفاعل أولى بها، ونسبة الفعل إلى الشيطان والقرين ومشیئة الله كذب محض، فإن الشيطان والقرين ليس لهما إلا الإعداد، والمشیئة وإن كانت فاعلة أو سبباً للفعل، لكن الفاعل ما دام يرى نفسه منفصلة عن المدد العاملة به ليس له نسبة الفعل إلى المشیئة أو تعلیقه عليها، ولو نسب لا ينبغي الغفلة عن استعداد القابل، وبهذا يرتفع التناقض، فانحراف المكونات تكويناً عن طريقها المستقيمة التي تكون بالفطرة سالكة عليها إلى كمالاتها الثانية، لا يكون إلا بإرادة الله وانحراف المكلفين عن طريقهم المستقيمة التكليفية لا يكون إلا بإرادة الله ومشیئته أيضاً، لكن ذلك الانحراف لا يكون إلا من نقص مادته وحدود وجوده، فتكون نسبتها إلى نفسه أولى من نسبتها إلى خالفه، ويكون غير مرضي بحسب الرحمة الرحيمية، ويكون مبعوضاً ومسحوطاً، وصاحبه مخذولاً وضالاً وغير قابل للولاية، وسيمر بك شرح الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية أن شاء الله قال الأمير :
وعنه يبدو النفع والضر
العقل في جوهره واحد
مثل شعاع الشمس في بدرها
بردّ ومنه في الشرى حر

أي يجعل له نوراً يفرق به بين الحق والباطل في الأمور كلها، وبين الصدق والكذب في الأقوال والأفعال، وهذه كلها إشارة إلى حفظ التقية. وفي هذا قال أبو الحسين محمد ابن علي الجلي من قصيدة له قدسه الله حيث يقول:

رجعتُ إلى الله مستسلماً
وصمتُ على أنني مفطرٌ
بقلبٍ تقى ونفسٍ زكية
ورأس الديانة حفظ التقية

المعنى: يقول - أنار الله قلوبنا بمعارفه- من يتق الله سبحانه بما ذكر من إقامة الباطن والظاهر يجعل له مخرجاً من كل ضيق، ويرزقه من الرزقين المعنوي والصوري، من حيث لا يحتسب الإرتزاق. والرزق الصوري هو المال والجاه وما يتعلق بكل محسوس، ومنه الأوامر الشرعية.

المعنوي كالعلوم الحقيقية والحكمة الربانية، إفاضات من الله بدون واسطة من الوسائط كما تقدم، وكان التعليم باطناً وظاهراً مأخوذاً عن الإسم العظيم والحجاب الكريم، وهو الذي عليه الموحدون من رجال هذا البيت الشعبي، ولا منافاة بين هذا القول وبين من زعم أن التعليم من الحق الأول، كما عليه الراسخون بالعلم من رجال، هذا البيت أيضاً، ومن ظاهرية الصوفية، رجوعاً بالأشياء الى مبدئها الأول، ومن نسب جميع ما يصدر عنه من أفعال الخير والكمال إلى الله سبحانه، وجميع ما يصدر عنه من الشرور والأعدام إلى نفسه جعل الله فرقاناً يفرق به بين المرتبة العبدانية التي منها الشرور والنقائص، وبين المرتبة الربانية التي منها أفعال الخير والكمال، ويجعل له مع ذلك نوراً يفرق به بين الحق والباطل، وبين الصدق والكذب في الأقوال والأحوال والأفعال، فالصدق نسبة الشرور الى فاعلها، والخير إلى الفاعل الأول وكذلك الحق والباطل:

وكل قبيح إن نسبت لفعله أنتك معاني الحسن فيه تسارع يكمل نقصان القبيح جماله. وكل ما ذكره من بركات السماء والأرض اللذين هما العلم الوهبي اللدني والعلم الكوني الكسبي. وآداب نسبة الأفعال وغير ذلك هونتيجة الآداب الشرعية يفتح

الله على العبد باب الرزقين: المعنوي وهو الفيوضات، والصوري وهو الشرعيات فتأمل هدايا الله وإياك.

ومن شروط الآداب اللازمة المروية عن الأئمة الأطهار والسادة الأبرار علينا منهم السلام كتمان الأسرار.

فقد ورد عن مولانا الصادق منه السلام أنه قال: سر الله تعالى ميثوث^١ بين خلقه لا يعرفه أكثرهم فلو أراد الله عرفهم، فمن أذاع سر الله فقد عاند الله تعالى.

وقال منه السلام: ما لله سر إلا وهو على ألسن خلقه ولا له خزانة هي أحرز من جهلهم به، فمن عرف أعداء الله سر الله فقد حاد عن أمره.

وقال منه السلام: ظهور الله بين ظهرائي^٢ عباد سر، وعلمه فيهم مستسر، كذلك ما عرفكم مستسر^(٣) عن من ليس منكم، فكونوا على طريق الله ومنهاجه، فإنه لو شاء هتك ما ستر، ولكن ليبلى بعضكم ببعض.

وقال منه السلام: من أذاع لنا سرأ ستر الله سرنا وابتلاه الله بالجنون أو بحر الحديد وبرده.

وقال منه السلام: كل سر مستسر بالسر، فمن فهم من ذلك شيئاً وأذاعه وعلمه للجهلة أو أراد به المعاندة فقد هتك سر الله، ومن هتك سر الله أذاقه الله حر الحديد وبرده.

وقال منه السلام: جاحده شاك وقائله عند غير أهله كافر.

وقيل: إفشاء سر الربوبية كفر. والله در القائل شعراً حيث يقول:

صن سرهم إن كنت تطلب وصلهم	فالحاسدون على الوصال كثير
واحفظ وقارك إن وقفت ببابهم	فالباب من آدابه التوقيير

^١ مبعوث: مفعول من بث الخير والشيء بينه بثاً ينشره ويفرقه.
^٢ يقال هو نازل بين ظهريهم وظهرانيهم، ولا تكسر النون وبين أظهرهم: أي وسطهم وفي معظمهم، وكل ما كان في وسطه شيء ومعظمه فهو بين ظهريه وظهرانيه.

فإذا وجدتم أهل قمر فأخوهم لهم موتكم ولا تكتفهم شيئاً مما تظنونهم، فإن الروية عن سيد المصوح منه السلام أنه قال: لا تطولوا الحكمة لقبر أهلها فتضيحوا، ولا تمنعوا عن أهلها فتظلموهم. ولقد أحسن الشافعي حيث يقول شعراً:

أكثر نرا بين ملوحة النعم	كما نظم منشور لراعية الفنم
نعري لئن ضيقت في شر بلدة	قلمت منوعاً بينهم نذر الكلم
فإن وفق الله الكريم بفضلته	وصافيت أهلاً للطوم وللحكم
بثقت مفهوماً واستكثت وداهم	وبلا ففوزون لادي ومكتنم
فمن منع الجهل علماً أضاعه	ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فهذا ما اختصرناه من وجوب استئصال الظاهر وكتمان الباطن وصون الأئمة وسر القصورات عن ذي الجهل والاعتزال وإظهار الصلاة والافتكاح بمقتضى هذه الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار. إذ ليس كل سر يكشف ويخفي

مستوراً صلح في كتمه.

الحق بكون هذا غير ما يقول - ومن جهة أدب التي ورثت عن الأئمة المصومين كتمان السر - وهو غير كل سر من الأسرار في سر الأوقات والأماكن، ومن رجع كتب الأسرار القيمة علم هذا فطقت وصل جمعها، بعد عيه من سرهم، ولطوف بهم، متفكراً بذلهم. فبدأ العلم مع الله عتال سره، وحتف به، ومع الرسول بتداع سته، من قصر غولب حد أو محي، وأرب الحوص مع الله الأكثر من نكره، ومراقبة حضوره، ومع رسوله بإشتر محبته وأهله، بهبه والحق بحلقه، من قصر حد لحواله وحسه وغير ذلك، ومعنى كطبع وأدب الأئمة، وقت حوص الحوص بالمواسم مع الله في كل شيء، ونواله معرفته في تحبب لجمال والجمال، فكل من أظهر لغيره ربه الله بالفقر في العونية، ومن تواضع بول فقره رفعة الله عرف فقره، فكل من لم يلف لا يفتح في الألوفا بفتح في الألوفا، وأصح ليد واحد لا تنصع لك لرفق نصع في لرفق، ومن لا يرفق أدب لا يفتح له قلب، ولا ينطق بالأصاف. وأثبت الشافعي في آواز وفاتني سبه تعريف وقد رتبته في كتم لحواله لمر أربعة هذه هي:

ولا أكثر لمر القبيح عني ليه	لكنه عني سر ذي الجهل ضلتي
وشدت أهلاً تقصوم وتعلمه	فمن قصر الله الكريم ضلتي
والأصغر لادي ومكتنم	سكت معه واستكثت وداهم
ومن منع المستوجبين فقد ظلم	فمن منع الجهل علماً أضاعه

القصورات صلح بقدره: القصبة سبي بها هذا القيد الذي يظهر لإحرف عا الله عا وعيه. الأكثر صلح بغير تعصير نكر عا مذهبه وسعته.

ولا كل حقيقة تعرض وتجلي، ولا كل ما كان موجوداً فهو نصيب لكل أحد، ولا كل ما تنظر رؤيته يطم كنهه، ولا كلما يطم كنهه يجوز قوله، ولا كلما يجوز قوله تجوز كتابته، لأنه إذا كتبت الرؤية بالعين والنظر فللعلم يكون بالخبر والأثر، وإن كان القول بالتصريح بالكتابة بالتعريض والتلويح، فكيف إذا كان بالإيماء والرموز والإشارة، فإن الخطب من الأنبياء والكلم من الأولياء والحكماء مع قومهم كان إما مثلاً وإما رمزاً وإيماءً وإشارة، إذ لا سبيل إلى التصريح مع الأكثرين فلهم التعريض في وقت مع قوم والتصريح في وقت مع قوم آخرين.

وقد ورد خبر عن مولانا الصالح منه السلام أنه قال: كل من لم ينتفع بالتعريض لم ينتفع بالتصريح، ولولا التعريض لما عرف التصريح، ولا جهل الله أحد وبطل الثواب وارتفعت الجنة، ولولا التصريح ما عرف التعريض ولا عرف الله أحد، ثم قال إذا عرفتم الفمى فصرحوا بما شئتم من اللفظ.

المعنى: استعمل المولى الكرام - هذا الله بهيهم - وسائر الحكماء أن يشرحوا الرواية بقدر قوة المستمع، وعلى حسب استعداد، فيروى الشرح عنهم على وجوه متعددة، وفي بعض الأحيان مختلفة أيضاً، وذلك لأنهم أطباء النفوس يعطون النواء بقدر الإمكان، وقد سئل أمير المؤمنين عن ذلك فقال: ذاك ألقى لنا ولكم، وهذا الخبر المروي عن الإمام جعفر بنول قطعي على أن التعريض بل التصريح لا يفيد شيئاً إلا بواسطة الاستعداد، وصفاء القلبية، فإذا صفت القلبية نفع التعريض وأغنى وبر وأغنى، وإذا لم تصف القلبية لم ينفع التصريح بل التلويح، فكم قرأنا عن لوح لهم فاعتقدوا، وعن صرح لهم فازدادوا ضلالاً على ضلال، فلو لا التعريض الذي هو تلميحيات الرسول الأكرم على معنوية معناه، وتعريض المعنى بالدلالة على نفسه لما عُرف التصريح

بعرض الشيء: أظهره وعرض الشيء: أراه به.

الكتابة: بالضم حقيقة الشيء وصوره وقدره.

الرمز: مصدر رمز إليه برمز، وبرز برشيته أو عيه أو فقهه، إلى الأشخاص من الأنبياء والحكماء رمزوا عن أسرارهم بحكيات تدل عليها فتكون أصحاً للزجاج ومعارف للطلقاء مثل حكمة الهاموج (ولهاموج)، وهذا في العالم الصغير جود النفس المتولدة من الحياة التي أوتى بها لآدم، والسيد المبني بينهم وبين بني آدم المتولدين من الحورية وقدس على هذا كل قصص القرآن:

من الحديث بجزر رمبر

يرمى لكسور بجزر حمر

فلما تحسنت بالمصريح

فما أجنبته من علل

الذي هو الكشف بالدعوة، ولا عرف الله أحد، فكان التعريض كان تمهيداً للتصريح فأشربت النفوس الخيرة به شيئاً وأنست منه نوراً، فحين سمعت التصريح اعتقدت وكان التعريض كان مانعاً من قبول التصريح، لأن النفوس الشريرة تخمرت به فلما سمعت التصريح أنكرته، ولولا ذلك لما جهل الله أحد وبطل الثواب والعقاب وارتفعت الجنة والنار، وكذلك لولا التصريح بالمعنوية لما عُرِفَ التعريض بالدعوة، وحينئذ لم يكن ليُعرف الله أحد، وانظر تجد كتب الشيعة ملأى بالتلويح والتصريح، ولم ينتفع بهما رواتهما. ومع وضوح هذا الخبر، ووضوح ألفاظه والدلائل المتضافرة على معناه، وكثرة تكراري إياه لا أراني فهمته بألفاظه وبيت المكزون:

أَكْشَفُ حَالاً سَرَّهُ فِي النَّهْيِ شَرْطَ وَأَسْتَرُ مَا فِي كَشْفِهِ اتَّسَعَ الْخَطَ

يشرحه تماماً. وفي رسالة الشيخ: سئل العالم عن قوله في التعريض والتلويح وهما واحد في اللفظ والخطاب، لأن العالم يقول القول فهو تصريح لأهل المعرفة والإقرار وجميع أهل البصائر والرتب يعرفونه ويعقلونه بتأويله، وهو تعريض لأهل الإرتياب وليس للخلق على الباري حجة بعد التعريض والتصريح.

وبالجملة إنما منعوا إظهار أكثر العلوم وإشياء الأسرار لإختلاف الحقائق والأمزجة^١ والطبائع البشرية وضعف الاستعداد لقبول العلوم الدنيوية الوهية^٢ والأسرار الحقيقية. ومن هاهنا قال السيد الرسول (ص) لا تطرحوا الجواهر تحت أرجل الخنازير. وقال بعضهم ربما أصاب من كتم الحق عن أهله خشية من سطوة الغي وجهله فإبداء الحق في غير أوانه انتهاك لحرمته وتضييع لمصونه^٣ وإهانة لمن صاته، إذ الحق مستودع عند الأحرار استيداع الأصاتة. أي الأمانة. فإبدائه إلى غير أهله تغريظ^٤ وخيانة، وإتما يجب على العاقل اللبيب النطق بالحق إذ صادف أهله وزماته، فلا يتوهم الجاهل لنفسه التارك هذه الأخبار المشروعة والشرائع المتبوعة

^١ الحقائق جمع حقيقة: غاية الشيء وأصله المشتمل عليه، والمراد هنا حقائق الأسرار الإلهية واختلافها باختلاف الأمزجة.

^٢ الأمزجة ما أسس عليه البدن من الطبائع، واحدة مزاج.

^٣ الوهية نسبة إلى الوهب، تقدم أنه ما أخذ من الله هبة أي كشافاً ومشاهدة.

^٤ النصان: اسم مفعول من صان الشيء أي حفظه.

^٥ التغريظ: مصدر من قرط الشيء وفي الشيء ضيعه، وقم العجز فيه، والشيء بده وفرقه.

إنه بتركها أصاب الصواب ودخل بيت المعرفة من الباب، لا والذي عنده علم الكتاب بل ما عرفه من الحق حجة عليه لا له. كما ورد: ويل لمن لا يعلم ألف ويل لمن يعلم ولا يعمل بعلمه أما يعلم المغرور بقلقة^١ اللسان، المتقمص^٢ بثوب الأيمان، المنهمك^٣ في الشهوات البهيمية والذات الجسمانية، إنه قد أشبه بأفعاله الحيوان وترك التشبه بملائكة الرحمن، فإتهم يسبحون الليل والنهار لايفترون^٤ ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ولقد عدل هذا الحيوان عن طريق أهل الأيمان وأضاع الصواب وأتبع الشهوات، ومن عدل عن سنتهم ولم يعمل بها كان مبتدعاً في مقاله غير موافق في أفعاله، لعدوله عن الصواب، ولدخوله البيت من غير الباب.

المعنى: إن الموالي الكرام منعوا إظهار الأسرار لاختلاف حقائقها، باختلاف الأمزجة والطبائع لا بذواتها، كما مر بك من أن كل شريعة لها صلاة وزكاة مختلفة صوراً عن غيرها، وكذلك الحقائق الشريعية والحقائق الطرقية والحقائق الحقيقية مختلفة صوراً وأشكالاً، لا معاني وذوات، بل هن حقيقة واحدة، وأمزجة الناس مختلفة في قبول الحقائق كاختلافها في قبول الأطعمة، فالأطعمة تسعة:

الحلو والمر والحامض والمالح والحريف والعفص والدمس والنته. والجسم إما أن يكون كثيفاً أو لطيفاً أو معتدلاً، والفاعل فيه إما البرودة أو الحرارة أو المعتدل بينهما فينفع الحار بالكثيف مرارة، وفي اللطيف حموضة، والقبض في الحصاص ويسمى بشاعة، والمرارة والملوحة في السبخة ويسمى الزعوقة. وزعم بعضهم أن أصل الطعوم أربعة الحرارة والمرارة والحموضة والملوحة، فباختلاف الطبائع تختلف القابليات، فاختلافها مانع لقبول العلم اللدني الوهبي، فمظهر الأسرار الإلهية - والحالة هذه - لمن يستحقها كطarach الجواهر تحت أرجل الخنازير، وقد يصيب

^١القلقة: شدة الصوت في حركة، واضطراب وتقدم.

^٢المتقمص اسم فاعل من تقمص لبس القميص.

^٣المنهمك: اسم فاعل من انهمك. جد ولج.

^٤لا يفترون لا يضعفون.

وكلا الأمرين ضدان لا يجتمعان: الأحمر زائد وصلأ وقطعاً وأقبلاً وأنباراً حقاً وباطلاً علماً وجهلاً جدّاً وهزلاً.

فأيهما وجد عجم الآخر كالليل والنهار والنور والظلمة لأن الضدان لا تتفق والأشكال لا تتفرق، فمن لا يفهم ذلك وجده فكفاه جهلاً باتباع هواه واسخاط مولاه.

من يكتُم الحقائق عن أهلها حياشةً من أن تقع في يد غير أهلها، وإظهار السر في غير أوان إظهاره، تضييع له واستهانةً به، فإذا صادف العاقل أهل السر، وزمن إلقائه بحيث يكون في أمن، من اطلاع أحد على الخلوة المختصة به فحينئذ يكون وجوب إعطائه، فلا يتوهم الجاهل قدر نفسه، التارك الأنتمار بهذه الأخبار، أنه بتركهما أصاب الصواب، ودخل البيت من الباب، لا والذي عنده علم الكتاب. وكلا الأمرين: العدول عن إقامة الشريعة، وطاعة الله، ضدان لا يجتمعان ومتناقضان لا يتفقان، والأضداد لا تألف والأشكال لا تختلف.

ولقد ورد إن الإيمان شجرةٌ والعلم ورقها والعمل ثمرها، فإذا كانت الشجرة بلا ورق فلا ظل لها، وإذا كانت بلا ثمر فلا انتفاع بها، وإذا كانت حطباً فالنار أولى بها.

فكذلك من يدعي الإيمان ولم يعمل بشروطه من الخصال الحسان المشرقة للإنسان من إقامة المشروع ظاهراً وباطناً والمحافظة على أداء حقوق الأخوان بحسب الإمكان على ما حصل وبأي حبل من الله تعالى أتصل إذا أخذ بالرخص^١ وترك العزائم^٢ وظنَّ أنه مؤمن بما هو فيه من المآثم، فكان كما قال الله تعالى (قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالا للذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) أليس ذلك هو الخسران المبين.

ومن الشروط الواجبة: أن يفضل المؤمن أخاه المؤمن الموافق له في الحل والعقد والإيمان، وأن لا يسلم قياده إلى كل من ادعى الإيمان إلا بعد إثبات أبوته مع العرفان، فلربما يكون سارقاً لكلمة التوحيد أو متلصصاً فيغتر به السامع ويميل إليه، فيشتركان في الإثم، فنعوذ بالله ممن يتقصص بثوب الإيمان وليس له أبوة إيمانية وإتما تصح الأخوة الإيمانية إذا ثبتت الأبوة الإيمانية.

^١ الرخص جمع رخصة بالضم للتخفيف بالأمر (إن الله أحب أن يؤخذ برخصه كما أحب أن يؤخذ بعزائمه).
^٢ عزائم الله: فرائضه التي أوجبها على عباده، وعزائم السجود ما أمر بالسجود فيها (خير الأمور عزائمها) أي فرائضها.

كما قال مولانا الصادق منه السلام: إذا ثبتت الأبوة صحّت الأخوة ونفعت. وروي عن العالم منه السلام أنّه قال: عليك بأخيك السببي فإتّه أولى من أخ النسب فحسب القاطع أخاه قطعاً لنا وانفصاله عنا.

المعنى: ترك ظاهر الشرع والتمسك بباطنه ضدان كما مر، وتارك الشرع ينظرهم قد انسل من الدين انسلال الشعرة من العجين. وهو الأخسر عملاً، لأنه فعل بغير ما انزل الله ففعله ضائع خاسر، ولو اعتقد أن فعله بحكومة الله، وأن له عليه أجراً، فقد أبطل بذلك استعداده لتدارك الطاف الله، بجهله المركب الذي عدّه علماء الأخلاق الداء الذي لا دواء له. ومن شروط التدين أن يفضل المؤمن أخاه المؤمن بعد الوثوق من صحيح أبوته، للبعد ما بين الأرحام الروحانية والجسمانية، فإنه كما أسس الله لصحة النسبة الجسمانية في كل ملة وشريعة ما تبتّي عليه كذلك أسس لصحة النسب الروحانية ما تبتّي عليه، ومن لم تكن كذلك نسبته مبتنية على ما أسسه كانت لغية (أي زنا) في النسبتين الروحانية والجسمانية، وكما أن داخل النسب الجسماني ملعون، كذلك داخل النسب الروحاني ملعون ونسبته اللغية الى اللغية ونسبته داخل النسب الى داخل النسب كنسبة الروح الى الجسد. وعند الصوفيين: من لا شيخ له فالشيطان شيخه. قال الأمير:

ولـه منـي ولاءٌ وبـِـرا
فـي إـيـاء حـبـه من أبـوي

قال الله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالا من

الله)

أعلموا إخواني رحمكم الله إنّ السارق في الباطن هو الذي يأتي إلى باب الموحّد فيسرق علمه ثم يذيعه لنفسه، والسارقة هو المحجوب الذي يأتي إلى أهل الحقيقة ويتسترّ بالتشبه بهم في ظاهر القول دون الباطن والعقد حتّى يسرق علمهم بالاحتيال من غير جهة الباب المنصوب للتعليم، ثم يذيعه إلى المقصرة والمحجوبين، فيجب على من يلقي إلى هؤلاء شيئاً من الأسرار ثم علم إنهم

لصوص أن يتبرأ منهم ومما ألقى إليهم ليدهشهم^١ ويوهمهم إن الذي ألقاه إليهم وعلمهم وسمعتهم وخطبهم ليس له على ذلك بيّنة ولا دليل ولا برهان، ويشكّكهم ويقطع عنهم تلك العلوم والمعارف والكلام جملة، فبأنهم يضلّون ويتحيزون جزاء لما أصرّوا وعاندوا لا يكلمهم بعد ذلك ولا يلقي إليهم شيئاً من العلوم والأسرار، فهذا معنى قطع يد السارق والمارقة عند أهل الحقيقة.

المعنى: كل هذا بين بأن الواجب على من أعطى رجلاً ما من الذين لا يريدون العلم بالله، شيئاً من أسرار الله غلطاً أو توهماً أن يتبرأ مما ألقى إليه ليوهمه أن ما أعطاه باطل لا ظل له من الحقيق، فيتوهم ويقطع عنه المعارف جملة واحدة فيضل ويتحيز. وشرحه السارق والسارقة كما في الحقائق باللفظ.

وأما أخوة المؤمن المحقق فيجب عليه أن لا يردّ عليه كلامه، فقد ورد خبر عن مولانا الصادق (ص) أنه قال: من ردّ على أخيه المؤمن كلامه أو احتشمه^٢ أو اغتمه أو ظنّ إن له شيئاً دونه وأخذ به سيئة كتبت منه، لم أسكنه جوارى ولم أنظر إليه برحمتي.

وعن الفضل بن عمر إليه التسليم إنّه قال: من أراد أن يعلم حبّ الله له فليمتحن نفسه ما لأخيه في قلبه فكذلك حبّ الله له.

وعن مولانا الصادق منه السلام إنّه قال: من أراد الاستمتاع بإخواته فلا يعصم، ومن أراد دوام النعمة عليه من الله فليكرمهم، ومن منع أخاه شيئاً من عرض الدنيا وحطامها لم يمت حتى يسلط الله عليه من يأخذ منه ما منع أخاه ويروح منه بغير طاعة ويرى عمله عليه حصرة يوم القيامة. وقال منه السلام: اغتموا الفرصة في حقوق إخوانكم فبأنها تمرّ مرّ السحاب.

وقال منه السلام: من لم يمشي في حاجة وليّ الله ابتلي بأن يمشي في حاجة عوّا الله.

وعنه منه السلام إنّه قال: يسألني المؤمن حاجة فأسرع في قضائها خوفاً من أن يستغني فلا يجد لها إذ قضيتها موضعاً.

^١ أدعته كدهشة: جطة مدهوشاً، والمدهوش: المتحيز والذاهب العقل من ذهول وولّه. احتشم عنه ومنه: لنقبض عنه واستحيا.

وقال منه السلام: من أعطى مؤمن عند المسألة وبعد الشكوى إليه فقد أثم لأنه يجب عليه أن يفتقده^١ ويرعاه ولا يحوجه إلى إخلال^٢ ديباجة وجهه وإراقة ماء محياه، فإن لم يحوجه إلى ذلك كان ممن قال الله تعالى في حقهم (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سنبل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) (البقرة: ٢٦١)

وقد روي عنه منه السلام إنه قال لإسحاق بن عمار الكوفي رضي الله عنه: كيف برك بباخوانك يا ابن عمار؟

فقال: أحسن برّ يا مولاي إذا جاعوني بررتهم وإذا سألوني أعطيتهم.

فقال منه السلام: ولا تبرهم حتى يجينوك، ولا تعطهم حتى يسألوك، أذللتهم أذلّك الله.

وروي عن المفضل بن عمر إليه التسليم قال: كنت سائراً مع مولاي الصادق منه السلام وهو يريد الكوفة، وإذا اجتزنا ببستان وهو على شاطئ الفرات عليه دواليب عذّة تعرف الماء فجعلت أنظر إليها متعجباً من حسننها. فقال لي مولاي: يا مفضل لقد كان صاحب هذا البستان رجلاً ضعيفاً لا قدر له فاجتاز به ولي من أولياء الله وقد كظّه^٣ العطش فاستسقى ماء واستلذ ببردها فدعا له فرزق هذا البستان، يا مفضل فليخبن الرجل المؤمن جوعته وعطشته إلى أخيه المؤمن فإن المخالف إذا قضى لكم حاجة يصير علويّاً هاشميّاً لأجل خدمته لكم.

وعنه منه السلام إنه قال لجابر: صل رحمك فربّ امرئ بقي من عمره ثلاثة وستون سنة فيقطع رحمه فجعلها الله ثلاثاً وثلاثين سنة، وربّ امرئ بقي من عمره ثلاثة وثلاثون سنة فيصل رحمه فجعلها الله ثلاثاً وستين سنة.

قال جابر فقلت: يا مولاي فمن ليس له قرابة تسمه قال يا جابر ليس هو كما ذهبت إنّما هي رحم الإيمان الذي يساوي بين العبد والمولى والوضيع والشریف والحرّ والعبد. وأشدّ بعضهم شعراً:

^١ افتقده: طلبه عند غيبته.
^٢ إخلال الديباجة: الإطلاع على دخيلة الأمر.
^٣ كظّه الأمر: كظاظاً وكظاظه بهظه وكربه.

وإن لربّي صفوةً من عباده
وأيدّاهم في الأرض سكرى بحبه
فما عرسوا^١ إلا بذكر حبيبهم
تصافوا فدانوا واستقرت قلوبهم
نفوس قلوبهم^٢ في بحر حكمته تجري
وأرواحهم في العزّ نحو العلا تسري
ولا عرجوا^٣ من مسّ يؤسّ ولا عسر
بحيث يرون الغيب في الغيب كالجهر

وروي عن مولانا الصادق منه السلام: إنّه قال: إذا تواخا المؤمنان على معرفة منهما بأبويهما ظاهراً وباطناً لزم كل واحد منهما لأخيه المؤمن من الاعتراف بحقه أن لا يبخل^٤ أحدهما على صاحبه بما عنده من دين ودنيا فمن كان بخلاف هذه العادة فلا ولاية بيننا وبينه، وكنت خصمه يوم القيامة وهو في الآخرة من الخاسرين.

المعنى: إن ما ذكر من تعظيم المؤمن وما للأخ على أخيه كله لا يحتاج الى تفسير، غير أن التفاضل في الإنفاق وأجره إنما هو بالتفاوت في حال المنفق، وحال

^١ التعريس: نزول المسافر ليلاً.

^٢ القلوب جمع قلب، قال المكاشفون: إن للقلب سبعة أطوار. أولها وهو نور الإسلام وظلمة الكفر. ثانيها: القلب وهو محل الإيمان (كتب في قلوبهم الإيمان).

ثالثها: الشعاف وهو محل المحبة الإلهية.

رابعها: الفؤاد وهو محل المشاهدة للأتوار الغيبية (ما كذب الفؤاد ما رأى).

خامسها: حبة القلب وهي محل المحبة الإلهية.

سادسها: سويداء القلب وهي محل المكاشفة والعلوم للذنية.

سابعها: مهجة القلب وهي محل تجلي الله بأسمائه وصفاته وأفعاله.

عرج الرجل: دخل في وقت الغيبوبة ومال، عن الشيء انصرف.

^٤ البخل: معلوم ولكنه عند رسول الله (ص) هو عدم تأدية الزكاة المفروضة، وعدم إعطاء البائنة، ولو كان صاحبه يبذر فيما سوى ذلك، وقد يسمى المال المنفق بالبائنة لأنه كل ما ينسب إلى الإنسان حتى وجوده من شأنه البينونة والمفارقة عنه إلا وجه الله:

فإن تكن الأموال للترك كلها

فما بال متروك به الحرّ يبخل

والسقاء فريضة متوسطة بين طرفي الإفراط والتقريط اللذين هما التبذير والتقتير، وللتقتير مراتب عديدة كما في كتب اللغة، وعندهم أنه لما كان ظاهر الإنسان من أقواله وأفعاله وأخلاقه وأحواله من المتشابهات التي لا يعلم تأريخها إلا الله والراسخون في العلم، كان التمييز بين السقاء والتبذير والتقتير وبين مراتبها بحسب المعرفة في غاية الخفاء حتى على نفس الفاعل. فإن الإنفاق خير من الإمساك الحسن، ورب إنفاق كان وبالاً على المنفق، ولما كان أصل ما ينسب إلى الإنسان أنانيته، وعلة الإنفاقات وغايتها الإنفاق من الأنانية، وأصل جميع ما ينفق عليه الولاية بالتسليم لولي الأمر بقبول الدعوة الباطنة والظاهرة، فإن من أنفق من هذه الجهة ولو كان على غير طريق الفبرض والتبذير والإباحة كان إنفاقه سخاءً، ومن تمسك كان إمساكه بخلاً، وإن أنفق كان إنفاقه تبذيراً، وإلا إذا كان في طلب الولاية فحينئذ لم يكن بخلاً ولا تبذيراً.

المنفق عليه بالولاية. ففي الخبر (إذا أحسن العبد عمله ضاعف الله له عمله في كل حسنة سبعمائة ضعف) وفي هذا الخبر دلالة على أن المراد في قوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم) في أعم من الأعراض الدينية والقوى والأعضاء البدنية، حيث أشهد فيها تضعيف الأجر إلى سبعمائة في الله لا تكثير الضعف فوق السبعمائة ولا تقييد الضعف بمن يشاء. ورب محسن يجازيه الله بالإحسان إلى عشرة إلى سبعين إلى سبعمائة إلى سبعة آلاف إلى سبعين ألفاً إلى ما لا نهاية. ومعنى الأبيات: أن الله ضفوة مختارة من عبده قلوبهم جارية في بحر معرفة دقائق صنعه من الأنوار المجردات إلى الماديات المحسوسات، وهو الانتهاء إلى أشرف الغايات، فما ضممهم ليل إلا وأنهم ذكر حبيبهم، ولم يتجانفوا عن صفاء محبتهم لمس بؤس أصابهم، ولا لعسر ألم بهم، فلذت بهم بالله وحده، صفا بعضهم لبعض، وصفت قلوبهم لله، فأصبحوا مكشوفاً عن بصائرهم، بحيث يرون عالم الغيب كرويتهم عالم الشهادة. غير أنني رأيت هذه الأبيات في (منهاج الراغبين) من قصيدة مطلعها:

حنين قلوب العاشقين إلى الذكر وتذكّارهم عند المناجاة بالعسر
وأجسامهم في الأرض سكرى بحبه وأرواحهم في نيل حجب العلا تسري
وبعد أربعة أبيات
فما غرسوا إلا بقرب حبيبهم وما ضجروا من مس بؤس ولا ضير

اعلموا إخواني: إن الأنبياء والأوصياء^١ والأولياء هم أنوار الله في عالمه وأمناء الله في خلقه، وإن إخوانكم القائلين بمقاتلتكم بإيمانتكم محل إشراق أنوار الله في خلقه.

^١الأوصياء لغة جمع وصي وشرعاً من يقام لأجل الحفظ والتصرف في مال الرجل وأطفاله بعد الموت، والفرق بين الوصي والقيم، أن الوصي يفوض إليه الحفظ والتصرف، والقيم يفوض إليه الحفظ دون التصرف، والمراد هنا أوصياء الأنبياء كالائمة المعصومين، وبين الشيعة والسنة خلاف كبير في استحقاق الخلافة. يورد أهل السنة أحاديث تثبت خلافة أبي بكر على زعمهم مثل (لا تجتمع أمتي على ضلال)، وهذا يدفعه حديث الغدير الذي ما أمكن إنكاره وأية الخيرة، وتوسلهم بصلاته بالامة في حال حياته (ص) حجة عليهم لأنه (ص) أزاله عن مقامه بعد ما أفاق قبل إتمام صلاته وحديث (سيد كهول أهل الجنة) مدفوع عقلاً ونقل، لأن أهل الجنة لا كهول بهم، فكلهم شباب. وحديث (لو لم أبعث فيكم لبعث عمر) يكذبه قوله (ص) في حق من تخلف عن جيش أسامة، وقول عمر إنه ليهجر، وموأخاته لعلي ووصايته إليه بإنجاز عداته وأداء ديونه. وأنت مني بمنزلة هارون من موسى وغير ذلك، وفرار الشيطان من عمر يُكنّبه فرار عمر من الزحف وأية (إنما

والشاهد بذلك قول السيد الرسول منه السلام حكاية عن ربه (ﷻ) إنه قال:
 أنا الله لا إله إلا أنا لا يسعني شيء ووسعني قلب عبي المؤمنين^١. والله در القائل
 شعراً:

اسْتَرْكَلَهُمُ الشَّيْطَانُ (سورة آل عمران: ١٥٥) في الفارين، والحال أن مقدماتهم التي نظموها مختلة،
 فإنما يقولون إن أنا بكر لم يكن معصوماً وكل من لم يكن معصوماً يمكن أن يكون خليفة، وكل من
 يمكن أن يكون خليفة، وأجمعت الأمة على خلافته فهو خليفة. فأبو بكر خليفة. فنقول إن هذا الزعم
 باطل وقاسد، لأن الرسول (ص) كانت له الرسالة والخلافة والإلهية وخلافته (ص) تقتضي أن يكون
 صاحبا كإله معصوماً من الخطأ حتى يكون خليفة بالمعنى الصحيح نظاراً في كل إلى مقامه وإلا
 لم يكن خليفة شر ولا لرسول الله (ص) وإن كان المراد بالخليفة السلطنة مع عدم العصمة فمسلم،
 لكن الخلافة لا تسمى خلافة الله ولا خلافة رسوله لأن صاحبها ليس كالرسول واسطة بين الحق
 والخلق موصلاً كلاً إلى غايته، فهو والحال هذه مهلك للحرث والنسل، وهذا الذي اقتضى أمر
 النص، لأن العصمة ليست في ظاهر البشر. فمن لم يكن عليه نص لا يمكن أن يكون خليفة ولذلك
 قالت الصوفية، وكانت سلسلة إجازتهم منضبطة يدا بيد ونفساً بنفس إلى العصور، وإلا لم يجز له أن
 يروي حديثاً من أحاديث المعصومين، ولما كان (ص) مؤسساً للأحكام الشرعية جميعها أخذ للبيعة
 من الناس من هذه الجهة، وهو الإسلام، وكان مصلحاً لأحوال الباطن أخذاً للبيعة من هذه الجهة
 وهو الإيمان كان الخليفة له من هاتين الجهتين لعلّي وأولاده، وإما خليفة له من هذه الجهة الأولى
 كالفقهاء بالأحكام الظاهرة، وإما خليفة له من الأخرى كالصوفية من الشيعة، والنزاع بين فقهاء
 الفريقين بالشرع وعلماء الباطن ناشئ عن الجهل بحقيقة الرسالة والغفلة عن كيفية النبوة.

القلب قوتان بإحدهما يتصرف في كثرات عالمه الصغير على وفق حكم العقل، وبالأخرى يتوجه
 إلى العقل ويأخذ منه ما هو صلاحه بحسب نفسه ومقامه، فهو بهاتين القوتين كالمرأة له وجهان
 وجه مضيئ ووجه مظلم، فيوجهه المظلم لا يرى إلا الماديات المظلمات، فإذا صقل وجهه المضيئ
 بالأنوار الإلهية انطبع فيه ما يقابله من عوالم الغيبة فيرى الآخرة أقرب من أن يرحل إليها، إذ هي
 الرحلة إليه، ورأى محاسن الدنيا متجلية بظهور ظلمة فئانها، فصار ما كان ظاهراً من الماديات
 باطناً لأنها رجعت بعينه إلى ظلمة فئانها، وما كان باطناً من العوالم النورية الغيبية ظاهراً، وهكذا
 ما كان كثيفاً صار لطيفاً، وما كان لطيفاً صار كثيفاً، وما كان غيباً صار شهادة وما كان شهادة
 صار غيباً، فعند ذلك يكون القلب وسع حضرة الحق لأنه وسع كل شيء، والأشياء مظاهر صفات
 الله وأسمائه وليست أسماؤه وصفاته غيره ثبتنا الله.

إذا وفق الإنسان لطلب النجاة عن طريق الهادي دله المنذر إلى الهادي، بقوله مثلاً (من كنت مولاه
 فعلى مولاه) فيؤخذ عليه العهد بالمبايعة القلبية بعد المبايعة القلبية بعقد اليد باليد، ثم يسير على
 الطريق فهو من ميوله وأهوانه بين غيلان وقطاع طريق، فيدافع بسلح المنذر والهادي فينجو،
 فيصل إلى الطريق الذي هو عليّ مثلاً ويكون قد فني عن نسبة الأفعال من علي، ويسمى هذا الفناء
 بالفناء الفعلي، فإذا ارتفع حتى يرى الصفات جميعها من علي صارت الأئنيية بينه وبين علي
 ضعيفة، ويسمى (إذا وصلوا اتصلوا)، فلا يكون فرق بينه وبين حبيبه ويسمى بالفناء الذاتي، وتسمى
 هذه الفناءات بالمحو والمحق والطمس، وهذا هو معنى قولهم (إن السالك في أول سيره يسمى سائراً
 إلى الطريق لا إلى الله)، وإذا كان سيرا إلى الله يسمى سفراً من الخلق إلى الحق، يعني الاستدلال
 من المكونات على المكون، وإذا وصل إلى الطريق يصير سالكا إلى الله، ويسمى هذا السفر من
 الحق بالحق إلى الحق، وهو السير بالفيوضات والإشراقات، وإذا فني عن أفعاله وصفاته يسمى هذا
 السفر بالحق في الحق، وبهذا السير تتم له العبودية والفناء، ولا يبقى منه ذات ولا أثر ويصير
 وصاله اتصالاً وينقل بعد ذلك من عبوديته إلى الربوبية. قال الأمير:

لا غير من غيره لـي إليه إذ ما لموجود وجوده سواء

فعين ذاتك^١ عين الله فيك ترى نموذج الأمر فافهم أيها اللاهبي
ونور عقلك عين العين تَظْهَرُ ما حملته عجباً من قدرة الله

فأنتم أيها المؤمنون القائمون مقام أنوار الله وإن ضعفت قواكم عن ذلك
ونزلت درجاتكم عن درجاتهم.

المعنى: يقول إن الأنبياء دعاة الله وسفراؤه في خلقه، وأوصيائهم المبينون
أسرار دعوتهم والأولياء - (وهم الذين ظهروا مع الرسول من عالم النور) هم أنوار
الله المشرقة في خلقه، ومحل إشراق هذه الأنوار المؤمنون المهتدون بهم، وقلوب
المؤمنين محل لتجلي الله سبحانه مع أنه ضاق عنه السماوات والأرض، وذلك أن الله
جعل الإنسان بين ملك وملكوت ليُعْرِفَهُ جلالته قدره، قال سبحانه (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)
(الآية ٧٠ من سورة الإسراء) فالإنسان جوهرة نفيسة مصونة في صدف نفيس،
وهو الكون بأسره، وعلى هذه الجوهرة تطوى أصداف مكوناته من عرشه إلى فرش
تقله الأرض وتظله السماء، والجهات تكتنفه والحيوانات تخدمه، والأفلاك دائرة به
والشمس والقمر ميزان لما هو فيه، فهو جوهرة الصدف ولياب الكون، وسعه الكون
من حيث جسمانيته، ولم يسعه من حيث روحانيته، لأن روحه متصلة بعالم الجبروت
المحيط، فلما انحصرت في الهيكل لزمته القهرية فانحجبت بالحكمة، وتقيدت
بالقدرة، فما دامت مقيدة بالشهوات والعوائد فهي محجوبة، فإذا تلطفت بالإقبال على
الله، انخرق عنها الجهات، واتصلت ببحرها الذي هو عالم الجبروت، فصار الملك
والملكوت في طي قبضتها فلم يسعها حينئذ أرض ولا سماء، ولا يحصرها عرش
ولا فرش، ولذلك قيل (الصوفي لا تقله الأرض ولا تظله السماء)، فمتى كان العبد
المؤمن هكذا فقد وسع قلبه الله، فهو عين الله بفنائه التام الذي هو البقاء بالله، وهذه
هي الوحدة الجامعة، وإذا رجع المؤمن إلى نفسه متعرفاً على ما فيها من مخزونات
الأسرار ومؤهلات الترقى، أعطته الأنموذج الصادق عن كل شيء، ونور عقل
المؤمن الفاني في الله من قدرة الله، وحيث تكون القدرة فهناك القادر، والقدرة لا

^١ عين الذات ذات العين.

تفارق القادر، قال بعضهم: إن العرش هو العالم الكبير وهو محل استواء الرحمن، والإنسان هو العالم الصغير وهو محل استواء الكبير، وتأمل كيف صغر الكبير وكبر الصغير، وكل في مرتبته، إذا عرفت هذا عرفت قوله: وسعني قلب عبدي المؤمن، ومتى كان المؤمن هكذا قام مقام أنوار الله، وإن ضعفت قوته عن ذلك وأظن أن أبيات الأمير:

دورُ الوجود لعيني	بكوره قد تسلسل
كما لآخر أن	تاليه يصبح أول
وذا مثـال قريب	عنه البعيد مغفل

لا تضيق عن هذا المعنى مع احتمالها ما شرحت به، لا بل هذا أرفع وأبلغ ويجمع كل هذه المعني قوله:

وأصبح السائب عن كل محروزي من الأكوان في حرزي

ومما يجب للمؤمن من الحقوق على أخيه المؤمن أن لا ينظر إلى حرمة بعين الخيانة، فإن العمى مكتسب من عقابه، ولا يغتابه^(١) ولا يذكره بسوء ولا يعيبه بما يشينه، فإن الخرس من عقابه والبرص^(٢) من إظهار معانبه.

^(١) اغتابه اغتتاباً عابه ونكره بما يكره من العيوب وهو حق. وعندهم أن الغيبة أن تظهر بلسانك أو بسائر جوارحك بالتصريح أو بالكتاباة والتلويع عيباً للمؤمن قد ستره الله. وأما العيوب التي لم تكن به، فنسبها إليه بهتاناً أو أشد من الغيبة عن الصادق (ع) (الغيبة أن يقول لأخيك في دينه ما لم يفعل، وثبت عليه أمراً قد ستره الله لم يبق عليه فيه حد)، وفي خبر (قولوا بالفاسق بما فيه كسي يحذره الناس)، وقالوا عن الغيبة أنها أشد من الزنا، لأن الزاني يتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له إلا أن يغفر صاحبه. وقال بعض أهل المعرفة: غير المؤمن حكمه حكم الأنعام، فإن منبتل الإسلام كمنبتل اليهود والتتصر وتمثيل الغيبة بأكل لحم الميتة بقوله تعالى (أُحْذَرُ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) (الآية ١٢ من سورة الحجرات) هو أن الأسماء قوالب للمسميات لا تنحصر بشكل من الأشكال، فمن ذكر مؤمناً بسوء لا يكون ذلك منه إلا بتخلية لطيفة إيمانه، فذكر المؤمن على لسانه وسماعه بسمعه بمنزلة لحمه الخالي من الروح الممضوغ بقمه والداخل بجوفه من طريق سمعه كدخوله بجوفه من طريق حلقه، ولذلك ورد أن السامع الغيبة شريك المغتاب.

^(٢) البرص: بياض يظهر في الجسد لفساد مزاج، والذي قد ابيض من الدابة من أثر العض.

وينبغي لكم إخواني وفقكم الله أن تعتمدوا ذلك مع غير المؤمن أيضاً، خشية من مؤمن مستور ومحجوب بالتقية، فإن وجد الخطأ لزم العقاب، فاما الخطأ فهو من التعرض إلى حرم^(٣) المؤمنين، واحذروا من التحيف في معاملتهم والظلم والاعتنام والاحتشام.

وقد روي عن علي بن يقطين إنه قال: دخلت على مولاي الحسن بن علي العسكري منه السلام فقال: يا علي أبشرك بشارةً تهنا بها.

فقلت: حسنت بشارتك.

فقال: يا علي محافظة الإخوان كفارة من عمل الشيطان^(٤)، يا علي إضمن لي خصلة أضمن لك أربع خصال.

فقلت: يا مولاي وما هي الخصلة^(٥) التي أضمنها لك وما الأربع التي تضمنها لي؟

فقال: يا علي لا تتعدى على ولي من أوليائي أكفيك حرّ الحديد وبرده ومرارة الفقر وضيق السجن^٦ وأمنحك بعد ذلك الجنة.

فقلت: يا مولاي من وليك.

الحرم محرمة ما لا يحل انتهاكه.

الشيطان: روح خبيث متمرّد وهو لا يرى، ولكنه يدرك بأنه أفيح المخلوقات، ويضرب به المثل في الخبيث والعدوان، وكل عات متمرّد من أنس وجن ودابة، وفعل المرء وقوله إذا لم يكن تحت تصرف الرحمن كان تحت تصرف الشيطان ولسانه لسان الشيطان، وكلامه كلام الشيطان. وإذا خرج من تحت تصرف الشيطان كان كلامه كلام الرحمن ولسانه لسان الرحمن، والإنسان ما لم يخرج من دار الكثرة ويرى الأفعال من العباد دون الله كالمعتزلة، فحكمه الفرار من الشيطان وإضلاله، وإذا خرج من دار الكثرة ودخل في دار توحيد الأفعال لا يرى الأفعال إلا من الله، وإذا دخل دار توحيد الصفات لا يرى صفة إلا من الله في صفاته القهرية التي تظهر في مظاهر لطفه. وإذا دخل دار توحيد الذات لا يرى في الوجود ذاتاً سوى ذات الله، وهو مقام الفناء الذاتي كما كان المقامان السابقان مقام الفناء الفعلي والصفاتي.

الخصلة الفضيلة. والفرق بينها وبين الخلّة أنها لا تكون إلا بالخير والخلّة في الخير والشر. الفقر تقيض الغنى، وعندهم هو الاستغناء عما سواه، فإذا غلب على السالك أوصاف نفسه فهو الفقير إلى الله وإذا غلب عليه أوصاف الله فهو الغني بالله وهما يتعاقبان على العارف فإذا ظهر عليه الغنى بالله ظهرت عليه آثار العناية، وإذا ظهر عليه الفقر إلى الله التزم الرعاية؛ فحين غلب عليه (ص) الغنى أطعم ألفاً من صاع وحين غلب عليه الفقر شدّ الحجر على بطنه من الجوع. السجن: الحبس وعندهم هو انحباس الروح في قفص البدن، والإخراج من السجن هو تغلب الروحانية على البشرية بمجاهدة النفس.

فقال: أخ من إخوانكم متحقق ببولماتكم.

فقلت: يا مولاي وإن نقص من هذه الخصال شيئا ورأيت قللاً بهذا المقال ما يجب له علي.

قال: يجب عليك أن لا توجه إلى عوّه وأن تحفظ حرمة وتستر عورته^١ وتسد جوعته وتظفر نلته وتعود مرضته وتشيع جنازته وتركه على حالته فننوبه لو بفته^٢ فإن كان حرم التوفيق في نيب قد تقدم فلن تحرم أنت الثواب من معاملته بحسب نيتك وإن كان ما عرفه حجة عليه فانت ملجور^٣ بلحمتك إليه.

قلت: فتكون معرفته حجة عليه وقد لقر بالتوحيد.

قال نعم بإقراره ثبتت عليه الحجة.

قلت: فما الدليل على وجوده^٤ بعد إقراره بالمعرفة قال قوله تعالى (اليهلك من هلك عن بينة ويخفى من حي عن بينة) (الأنفال: من الآية ٤٢)، فإذا علم الطالب ما نكرناه من الآداب وعمل به، ودرسه، وحفظه، ووعاه قلبه، وفكر في معانيه بلبه، صار طبعاً نك وصار مستعداً لإشراق نور الله في سره، مستحقاً لمعرفة ربه، ووجب عليه أن يجاهد نفسه ويلزم درسه، فقد قيل: من طلب وجد وجد ومن قرع الباب ولج ولج، ولم يبق عليه إلا الكتمان وستر سره وأمره.

وقال أبو الخطب في تلبيته: يا مظهر جواهر الأتوار البسيطة المستضئنة بضياء نورك الشمعيني^٥ الذي لملت في الحدث^٦ ظهورها، فاستضاء جميع خلقك

^١ العورة: كل ما يستحي منه.

^٢ لو بفته: أهلكته.

^٣ الحجود: الإنكار مع الظن.

^٤ الشمعيني: الطويل، والشمعان: الحسن.

^٥ الحدث: منذ القدم. ومعرفة الحدث والقدم أن تعلم أن العوالم لم ينحصر عدد مراتبها، وقد فصلها بعضهم إلى أربعة عوالم، وعبر عنها بالجبروت، وهو الذات المفضة، وبالملكوت وهو صفات الذات الجسمية، وبالعقب وهو المحتللات النورية المثبتة عن الحسن، وبالشفادة وهو علم القرينيات. فالملك الجبار منفرد بالجبروت لأنه يجري الأمور مجاري أحكامه، وبالملكوت لأنه يتصرف بالحق على سبيل الاستعلاء، وله على كل شيء جبروت، لترفعه بالذات على كل شيء، وبالملكوت لتصرفه بصمته في كل حي وميت، وصفاته وسائط التصرف، وروابط التكلف بين أفعاله وأفعاله: كالنصف والقهر المتوسمين بين اللطيف والمطوف به، والقهر والمقهور. وبين كل مريبوب وربه سعة محصورة هي ملكوته الذي بيد الملك الجبار، ولما كان الاسم في الحقيقة هو الذات المتسمة

بنورها، ونجى المتألمين بأدبها التابع لأسبابها، وهلك الجاحد لها باجترائه عليها،
فأعلموا أخواني رحمكم الله أن معرفة الآداب هي حبل الاتصال.

وفقنا الله وأتاكم لمرضاته إنه هو الموفق لحسن الآداب والملمهم لمن عرف
الصواب.

خلاصة (المقرة الأولى)

المبايعون ليكونوا خلفاء الله بتأدية أوامره ونواهيه أربعة:

الرسول والأئمة والمشايخ والسلطين، من لحق منهم بالمشايخ لا غير والمبايع
على الحقيقة الله رب العالمين. لأن كل داع إلى البيعة إذا خرج من أنانيته وبقي
بانانية الله سبحانه كان الداعي للبيعة هو الله. فالرسول والأئمة معصومون والمشايخ

بصفة ما كان موقع الأسماء ومستقرها عالم الجبروت. ووجود هذا العالم فيما تحته من العوالم ليس
إلا بطريق التيزلات؛

- فتتوزل لولا إلى عالم الملكوت من جهة انصافه بالصفات،
- وثانيا إلى عالم الغيب من جهة إيداعه الروحانيات،
- وثالثا إلى عالم الشهادة من جهة تكوينها الجسمانيات وتكوينها.

وعندما ترجع إلى سلسلة التكوين بفصوصات النور كما ذكره السيد أبي عبد الله تعلم ما ذكر هنا. إلا
أن هنا رأيا صوفيا يرمي إلى الجمع والفرق، فالأنوار أشعة النور الأول وليس النور غير المنير من
جهة وهو غيره من جهة. ويسمون تلك المراتب أسماء لله وصفات وأفعالا له. ولعلك عرفت بعد
هذا التمهيد أن جواهر النوار البسيطة هم عالم العقول والنفوس اللذين كَوْنُ منهما عالم النور
البسيط، وإن كمالها بظهورها في المحدث وهو أنه لولا ظهورها بالمحدث المحسوس لما رُئيت ولا
عُرفت ولم ينتفع بها، كما قالوا عن الوجود: لو لم يُخلق غيبا وشهادة ومحسوسا ومعقولا لما كُملت
تقسيم الوجود، ولولا ظهور القديم بالمحدث لما استضاء المحدث بالنور ونجا المتألمين بادابه الخ...
كل ما ذكره نفسه الله من احترام المؤمنين وتعظيمه وحرقة اغتيابه والنظر إلى خرمه وغير ذلك؛
مفهوم واضح. وقد تعلم معنى دعاء أبي الخطاب من قول المؤلف نفسه الله (إن الأنبياء والأوصياء
والأولياء هم أنوار الله في خلقه ومحل إشراق هذا النور المؤمنون)، ومما تقدم من تتسزل الوجود
وتقسيم العوالم فيكون معنى قول أبي الخطاب: يا مظهر جواهر الأنوار البسيطة (العقول والنفوس)
بإمداد نورك المستطيل منزلة في مراتب الوجود إلى أن كَمَلْ طهورها بالموجود المحسوس من
مظاهر الأوصياء والأنبياء، ظاهرة بعقول المؤمنين التي هي محل لتجلي أنوار الله جل جلاله. أو
ظاهرة للبشر كالنور فاستضاء جميع خلقك المؤمنين والكافرين والحي والاموات بنورها، ونجا منهم
المتألمين بأدبها الشرعي التابع لأسبابها اللاهوتية. وهلك الجاحد لها باجترائه على تركها، فمعرفة
الآداب هي حبل الاتصال بالله وفقنا الله لحسن الآداب والتعلق بأكمل الأسباب وأحسن من تكلم عن
تصوير المجرد جلال الدين. قال الأمير:

لنظري مغيب عن الفكر
والعين أغتشي به عن الأثر

معنى القديم بالحديث مشهَدٌ
فمنه ما عنه غدوت سامعا

محفوظون. والسلطين من لحق منهم بالمشايخ كان محفوظاً. وإلا كان مخذولاً ولا يبايع، والفرق بين المعصوم والمحفوظ أن المعصوم لا ينوي الشر ولا يصدر عنه، والمحفوظ ينوي فعل الشر ولا يُيسرُ لفعله ومن نكث من الأتباع المبايعين حسيه جهنم ولا ينظر الله إليه يوم القيامة، وحظه في الدنيا السلوك في مراتب المسخ، فالسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه حتى وعظه بغيره. فالسباق السباق الى النهج القويم والصراط المستقيم، ولا يغرنكم من تجلت له المشاهد الغيبية مع مناواته لأمر الله لاتصاله بعالم الأرواح الخبيثة، فهو مكرّ به واستدراج كالمتصوفة الظاهرية، ونعوذ بالله من مرض الغرور، وهو الحُمق الذي أعيا الجميع علاجه إلا نادراً، وقد يرى المغتر بنعيم الدنيا أنه يموت له عدو فيظن أنه من كرامته على الله، أو لا يعلم هذا المسكين أن الله يزوي الدنيا عن محبه رافة به، وأيضاً يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا لمن أحب، فمن زاد وجهه وشكره على نعم الله عند حصولها فهو حبيب الله، وإلا فهو بغيضه، وإذا أملى الله لهذا البغيض فمكرّ به واستدراج ولا يكون الاستدراج إلا بالآيات البيّنات، فلندع تفصيل طبقات العالم وأصنافهم، فكل من اعتز بغير الله صد عن الدخول الى حضرة الله إذ ما سوى الله باطل، فالاعتزاز بما سوى الله خسران، وما أحدثه المتقصدون بثوب الإيمان المتشبهون بأهل العرفان لا يليق إلا بالملاحدة وإلا لكانت أمورهم جملة وتفصيلاً تشبه أمور المؤمنين لا أمور الملاحدة الذين لا يعتقدون أنهم يجمعون بيوم الجمع والفصل وما هو بالهزل، فبالله أنصفوني بالكلام وأعينوني بالأفهام، أليس نحن على النهج الواضح، ورائدنا الى الله ناصح، فحتام غفلتنا، وعلام سكرتنا، ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق.

فنحن معاشر المؤمنين أحق بالانقياد وأولى بالطلعة يستودع أحدكم الطالب سر الله وأمانته بلا رياضة ولا إيناس استخفافاً بسر الله وتهاوناً به، ظناً من حضرة هذا المستودع أنه أحيأ طالبه بعد الممات، وخلصه من الآفات، وليس - الله - الأمر كذلك بل ألقاه في شبكة الشك وقربه من الإفك، فلقد ضل بذلك وأضل إن لم يفقهه في الدين ويستدرك أمره ليكون من الموقنين، فالواجب على من نصب نفسه للتفقيه أن يعتبر هدى الطالبين وصفاتهم بما في (مجموع أبي سعيد)، فإن رآهم سالمين مما يمنع من تقريبهم، وإلا فلا فسخة له في ذلك أباً كان الطالب، فإن فعل فقد عاند الله

وخالفه ونذ به، فيستوجب النكال حتى يُردد في قوالب المسوخية، وإن وجده أهلاً لإيداع سر الله علمه أولاً آداب الشريعة التي هي الطريق إلى معرفة الله وأهل العصمة، فهذا الطريق أجل الطرق، والدال عليه أفضل الأدلة، والسالك إليه أسعد السالكين، وعلى الطالب تعظيم سيده لأنه مخلصه من رق عبوديته وذنس مسوخيته فلا يخالف له أمراً ولا يفشي له سراً الخ. وعليه لبس النقية عند الجاحدين وإطاعة المؤمنين وأن يصون السر ويؤمن الذكر وألا يهتك للمؤمنين حرماً ولا يستحل محرماً، وأن يجعل صدقته لسؤالهم ورأفته لأطفالهم، وأن يرى حُرْمهم حرمة، فالعَمى مكتسب من النظر إلى محارمهم، والفقر من الشح عليهم، فمن أخذ هذا العلم بالقبول فتح الله عليه حتى يعود فقيهاً ويتضح حينئذ له دليل البرهان ونور الإيمان، ويصبح من الذين جاهدوا في الله فهداهم الله، ومن أنكره صرفه الله عنه، وأبعد منه، والآباء ثلاثة: أبٌ ولدك، وأبٌ رباك، وأبٌ علمك. وخيرهم من علمك وأفاض عليك معرفة الله، فمن لا يولد ولادتين لا يلج ملكوت السماء.

ومن جملة الآداب، رفض القياس فهو الذي أوجب تشعب الآراء وتفرق الأهواء، وأول من قاس إبليس اللعين فطرد من جنة الله. ولبعد المعرفة عن طريق القياس حصل التعجب من سالكها ولوضوح أمرها حصل التعجب من تاركها. فإن من الله على الطالب وتلقى ما ألقى إليه بالقبول وستره عن الإذاعة لغير أهله، كان صائماً أبداً - أي صامتاً -، ومن جملة الآداب التخلق بأخلاق المؤمنين من الصمت وترك الهوى، والتقصص بالنقية والنقوى، وحسن الأخلاق، ومحافظة الإخوان، وصدق اللسان، والتحصن بدرع الشريعة والإقبال على الدين بالقلب والفكر والعقل وكنتم أسرارهم والمواظبة على شروطه وأوضاعه وتدقيق السؤال وتحسين المقال ويعلم أن تحت ما علمه دقائق في ضمنها حقائق، فتفتح له أبواب السعادات وليحذر من رد ما لم يفهمه بل يرده إلى ولي أمره وليتجنب المرء والرئاء والحسد والكبرياء، فإنه فعل إبليس وإياه والخداع والكذب فهو حيز الرجال.

ومن الآداب حفظ النقية وصيانة الدين فهو الجهاد الحقيقي، وقد فرضها الله من يوم قتل قابيل هابيل، وحيث عرفت هذه الأعمال الظاهرة فلنمل عليك معرفة باطنها. فالصلاة الباطنة عماد الدين ومعراج المؤمن، فمن أتى بها كما ينبغي فقد خلاص من قمص بشريته ورجع إلى نورانيته التي منها بدا. والطهارة الباطنة عبارة

عن ترك الدنيا بمحسوساتها، والآخرة بمجرداتها، والإقبال على الله لا لأجلهما، لأن الصلاة الباطنة عبارة عن تعلق الروح بالحضرة الإلهية، فمن تعلق بغير الله ولو كان مؤمناً بالله لم يقدر على الإتصال بالله، والقبلة الباطنة الإقبال على الله في سائر مراتب السلوك وفي تدرج الروح والعقل والسر، فمن لم يُقبل على الله بالكلية ويدبر عما سواه بالكلية لا يتصل بالله والمؤمن بشيء سوى الله لا يتصل بحضرة الله، فلم تهو الله سبحانه ما لم تفن عن فعلك وصفتك وذاتك، وتعلم أنها لله سبحانه لا لك، فتصبح في دار توحيد الأفعال والصفات والذوات، ولم تفن هذا الفناء ما لم تظهر فيك صورة الله جل جلاله بتقربك إليه حتى يحبك فيكون سمعك وبصرك، ويدك ومؤيدك. والزكاة الباطنة أن تركي نفسك بالبراءة من غير ولي الله. والصوم الباطن الإمساك عما سوى الله. والحج مشاهدة تجليه سبحانه، فمن اعتقد الظاهر فقط فهو حشويّ لأنه جسم المعاني الغيبية المجردات، ومن تمسك بالباطن الصرف فهو ملحد لأنه أحال على عدم، ومن جمع بينهما كان الموحد العارف، فتفتح له بركات السماء والأرض فيأكل من فوقه إفاضات العلوم الإلهية ومن تحت رجليه الأوامر الشرعية، وهما العلم الدني الباطن والعلم الكوني الكسبي الظاهر، والكامل من أكل من فوقه تجليات وإشراقات لا من النفس ولا من العقل قال تعالى (فاتقوا الله ويعلمكم الله)، أي بذاته لا بالوسائط. فمن نسب صور الكمال الصادرة عنه لله سبحانه وصور النقص لنفسه يجعل له فرقاناً يفرق به بين الحق والباطل، وهذا كله عبارة عن حفظ التقية.

ومن الآداب اللازمة كتم الأسرار لأن إفشاء سر الربوبية كفر (لا تعطوا الحكمة لغير أهلها فتضيعوها ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم) فليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلي، ولا كل ما كان موجوداً فهو نصيب لكل أحد، ولا كل ما يقدر على رؤيته يُعلم كنهه، ولا كل ما يعلم كنهه يجوز قوله، ولا كل ما يجوز قوله تجوز كتابته. لأنه إذا كانت الرؤية بالعين والنظر فالعلم يكون بالخبر والأثر، وإن كان القول بالتصريح بالكتابة بالتعريض والتلويع، فللحكمة التعريض مع قوم والتصريح مع آخرين، وقد منعوا إفشاء الأسرار لاختلاف الحقائق بمظاهرها واختلاف الأمزجة بقبولها، وربما أصاب من كتم الحق عن أهله خشية سطوة الغي والجهل، فلا يتوهم القارئ هذه الأخبار المشروعة المتبوعة، أنه بتركها أصاب الصواب ودخل بيت الحكمة من الباب، لا والذي عنده علم الكتاب لا بل أشبه

بفعله الحيوان وترك التشبه بملائكة الرحمن، ومن عدل عن سنن الموالى ولم يعمل بها عدل عن الصواب ودخل بيت من غير الباب، وكذلك من يدعي الإيمان ولم يعمل بشروطه المشرفة للإنسان من إقامة الشرع ظاهراً والمحافظة على حقوق الإخوان بحسب الإمكان على أي شيء حصل، وبأي حيل من الله اتصل، إذ من الشروط الواجبة أن يفضل المؤمن أخاه المؤمن، ولا يُسلم قياده لكل مدع إلا بعد ثبوت الأبوة، فربما كان سارقاً فيشتركان في الإثم، وإنما تصح الأخوة إذ ثبتت الأبوة، وشرط الأخوة أن لا ترد على أخيك كلامه ولا تحتشمه ولا تغتمه، ولا تظن أن لك شيئاً دونه، ولا تأخذه بسيئة كانت منه أو معنى جهله، وإلا لم تسكن بجوار الله ولم ينظر إليك برحمته، فله سبحانه صفوة مختارة من عباده قلوبهم جارية في بحر حكمته من الأنوار المجردات إلى الماديات المحسوسات إن هم ذكر حبيبهم، لم ينشهم عن صفاء محبته مس بؤس، ولا ألم عسر، فلذت بهم بالله وحده صفاء بعضهم لبعض وصفت قلوبهم فكشف عن بصائرهم فأروا عالم الغيب عياناً كعالم الشهادة. والأنبياء والأوصياء والأولياء أنوار الله في عالمه وأمانؤه في خلقه والمؤمنون محل إشراق هذه الأنوار (لا يسعني شيءٌ ووسعني قلب عبدي المؤمن)، فإذا تبصرت أيها العبد الفاني بالله، ترى أنك بتجردك عن أعراضك وغلبة وجوبك عليها أنه لا وجود لك فوجودك وجود الله سبحانه ونور عقلك الذي تمتد منه هو ذات الذات التي أظهرت لك ما أودع فيك من عجائب صنع الله. فإذا علم الطالب ما ذكر من الآداب وعمل به ودرسه وفكر في معانيه صار مستعداً لإشراق أنوار الله (فمن جد وجد ومن قرع الباب ولجّ ولج) قال أبو الخطاب (يا مظهر الأنوار المجردة المستضيئة بما استمدته من نورك بالمحدث المحسوس فأكمل به ظهورها لأنها لو لم تظهر محسوسة لما عُرِفَتْ واستضاء جميع الخلق بنورها في المظاهر النبوية ونجا المتأدب بآدابها الشرعية وهلك الجاحد لها باجترانه عليها. تمت المقدمة الأولى وخلاصتها.

توابع البيت (الإلهي) الأربع

في بيان سرّ حصر هذه القواعد الأربع في عداد الأربع بين سائر الأعداد لائق ولا أكثر أعلموا أخواني حباكم الله فنون المعارف وجزيل العوارف في

مطالع الأنوار لما كانت قواعد البيت الإلهي الكوني مبنية على أركان أربع صارت قواعد^١ هذا البيت المكرّم والحرم المعظم مؤسسة على معارف أربع:

• أولها معرفة إثبات وجود المعنى القديم وظهوره بذاته لخلقه كخلقه.

• وثانيها سبب وجوب معرفة الاسم القديم على خلقه.

• وثالثها معرفة السبب الموصل إلى معرفة المعنى القديم.

• ورابعها معرفة حقيقة الإيمان وصورته وروحه ومقاماته ودرجاته

ومراتبه وشروطه وما يجب على المؤمنين من أداء حقوق بعضهم

بعضاً وإما قلنا إنّ البيت الإلهي وهو اليقين^٢ الثاني الذي هو

^١القواعد: جمع قاعدة: ركن البيت وأساسه وزواياه، فقواعد البيت الإلهي الكوني هي:

الحياة والعلم والإرادة والقدرة التي بها التكوين كما سيأتي، وقواعد البيت الشعبي فصلها المؤلف وسيأتي الكلام عنها مفصلاً وهي كل الكتاب، ولهم في البيت المحجوج وأسراره كلامٌ نحسب أن نجمله لك وهو أن البيت الحقيقي لله وهو القلب في العالم الصغير (وهو الإنسان) وصاحب القلب في العالم الكبير (عالم الغيب) والبيت الذي بناه إبراهيم صورة هذا البيت، ولذا سُمي بيت الله. ويجمع هذا البيت من مناسك ومواقف وشهر حرام وحرم وغير ذلك من جميع المناسك المخصوصة بالبيت الحرام، وهو أول بيت وُضع للناس وأنت تعلم أن الإنسان جامع الجموعات من العرش إلى الفرش كما سيجيء، ولا يبعد حينئذ أن يكون القلب هو البيت المعمور والسقف المرفوع.

^٢اليقين الثاني هو عين اليقين فمراتب اليقين أربعة:

علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، وحقيقة حق اليقين. وهذه المراتب الأربع عبارة عن تجلّي الله سبحانه للسالك. فالسالك الذي استشعر بالنور وأدرك الشعاع ولم يدرك النور وهذا هو مقام الإيمان هو في رتبة علم اليقين. فإذا صحت بصيرته ورأى النور محيطاً به فهو في رتبة عين اليقين وهو مقام الإحسان. وإذا أدرك بصيرته الحق وغابت عن نور الفروع بنور الأصول فهو في رتبة حق اليقين. وحقيقة حق اليقين قل من ذكرها غير المؤلف والمكزون والفارص؛ غير أنني رأيت في كتاب (جامع السعادات) بعد شرحه مراتب اليقين الثلاث قال: ثم فوق ذلك مرتبة يثبتها بعض أهل السلوك يعبرون عنها: بحقيقة حق اليقين. والفناء في الله وهو أن يرى السالك ذاته محترقاً في أنوار الله. وقال بعضهم: علم اليقين جال التفرقة، وعين اليقين حال الجمع، وحق اليقين جمع الجمع فعلى هذا يكون علم اليقين عقداً ذهنياً موافقاً بلا اضطراب وعين اليقين مشاهدة بلا حجاب وحق اليقين اتحاداً بلا اقتراب. وقيل مراتب اليقين: اسمٌ ورسمٌ وعينٌ وحقٌ وحقيقة؛ فالاسم والرسم للعوام وعين اليقين للولياء، وعين اليقين للأنبياء، وحقيقة حق اليقين لنبيّنا (ص) فتكون هذه المراتب هي الأسماء الذاتية الأربعة: الحياة والعلم والإرادة والقدرة، ولم تجتمع مرتبة من رآه بعينه متجلياً له، فلذلك كان اليقين الثاني هو المرتبة الإلهية أي تجلي الاسم الخالق بعينه، كما سيأتي من أن الأسماء هي الفاعلة للمكونات.

مرتبة الإلهية^١ التي هي الحياة والعلم والإرادة والقدرة ولها ثلاث لوازم وهي تتمات وشروط في ظهور تمام أحكامه^٢ وآثاره^٣ وهي القول والجود والأنساق^٤

فإن التأثير إنما يصدر عن حي يعلم شيئاً في نفسه وأراد ظهوره وكان قادراً على ذلك فحينئذ يكون بعلمه وإرادته كالآمر نفسه بأن يظهره فإظهاره فيكون القول صورة الأمر لشيء يعلم فيراد إيجاداه ففي إيجاد الأرواح الكلية^٥ (٤) كان القول

^١ الإلهية نسبة إلى الإله والإله مأخوذ من أله إلهة وألوهة:

عبد، وقيل من لاه الله الخلق يلوه بمعنى خلقهم. وقيل من لاه يليه بمعنى تستر، وقيل... وقيل، وإنما سمي اليقين الثاني الذي هو عين اليقين بالمرتبة الإلهية لأن الحق الأول مسمى بالله باعتبار احتواء هذا الاسم على جميع الأسماء التي تحتوي جميع المفاعيل كالخالق والرازق وما أشبه، ومسمى بالرحمن باعتبار إظهاره للكثرات من الأسماء والصفات اللواتي هن الفاعلات في المكونات. ومشيئته سبحانه التي هي فعله مظهر لله باعتبار انطواء كثرات الأسماء فيه كما ذكر ومظهر للأسم الرحمن من حيث ظهور الأسماء به وانسياطه عليها. والمشيئة بالاعتبار الأول تسمى عرشاً (الرحمن على العرش استوى) وبالاختبار الثاني تسمى كرسيًا. (وسع كرسية السموات والأرض) وكل من مراتب الجبروت والملوك مظهر لله وللرحمن بالاعتبارين المذكورين فالجبروت مظهر لله باعتبار أن هذا الاسم مظهر للأسماء والصفات. والمراتب النورية مظهر لله من حيث إجمال الأسماء فيه بالنسبة إلى دانيتها ودانيتها مظهر للرحمن من حيث التجزئة والتفصيل بالنسبة إلى العالي وحيث عرفت أن مراتب اليقين تجليات الله بحسب السالكين فالمتيقن الذي اعتقده صاحب اليقين له ثلاث أحوال: أولاً: رتبة المدرك المتيقن، فذاك هو علم اليقين.

ثانياً: رتبة الواصل إلى مقام مشهود بمعنى أن المدرك صار مشهوداً له ببصره أو بصيرته وذاك عين اليقين.

ثالثاً: رتبة الواصل إلى التحقق بمعنى أن المدرك صار متحققاً بالمدرك وصار ذاته فذاك حق اليقين مثال ذلك المتيقن بالنار بإدراك الدخان الذي هم من آثارها أو بشهودها أو بصيرورته عين النار. فأسماء الله سبحانه تختلف باختلاف صفاته وأفعاله وكثرته ووجدته وهو وحداني الذات وقد أظهر سر ذاته في مظاهر أفعاله وأسمائه وصفاته وأفعاله عكوس تجلياته على السالك بحسب مراتبهم فعين اليقين من مراتب اليقين هو مظهر الخالق المكون، فلذلك كانت مرتبة عين اليقين هي المرتبة الإلهية يعني مظهر الاسم الخالق وسيأتي مزيد إيضاح عن أسماء الله ومفعولاتها. الأحكام: جمع حكم: القضاء في العدل. ومنه الحديث (الخلافه في قريش، والحكم في الأنصار) لأن أكثرهم فقهاء.

الآثار جمع أثر ما يبقى من رسم الشيء ومقابل العين (لا تطلب أثراً بعد عين) الأقسام: جمع قسط: الحصة والنصيب كما رأيت في كتاب (مصباح الأنس) أو مصدر أقسط الولي كان مقسماً أي عادلاً كما عليه أكثرهم. الأرواح الكلية عبارة عن عوالم الأرواح المجردة عن المادة وعن التقدر ولعلها سميت كلية لأنها كل لما انبثق عنها من الأرواح الجزئية.

ركناً والقدرة تتمتع له وشرطاً وفي إيجاد الأجسام^(٥) الكلية بالعكس تكون القدرة
ركناً والقول تتمتع له وشرطاً ولهذا كان عالم الأرواح يسمى بعالم الأمر^(٦) وأما
الجود فبأنه شرط ظهور أثر القول عنه إرادة الإيجاد فإن إفاضة الجود بالاختيار
بالحكم والأمر الإيجادي المعين صدوره من اليقين الثاني الذي هو مرتبة الإلهية
سرية^(٧) المفاتيح^(٨) وهي الأسماء^(٩) الذاتية^(١٠) في الأسماء الإلهية
فظهره منها بصورة الفاعلين وأما الإقساط فهو شرط في ذلك ولكن سرية
المفاتيح في قوابل^(١١) ظهورها من ورائها بصورة قبول الحكم والأمر الإيجادي

الأجسام الكلية عبارة عن عوالم الأشياء مادية كانت أو مجردة كعالم المثال. ولعلها سميت كلية
أيضاً لأنها كل لما تترع عنها من الأجسام الجزئية، وسيأتيك أن الأجسام عندهم هي عالم النور وأن
الجسمانيات العالم المحسوس.

الأمر: طلب إحداث شيء، وعالم الأمر هو عالم النور المجرد الذي كَوْن (يكن) الأمرية).

سرية: مصدر سرى الرجل يسري سراً وسرية وسرياً وسريانا (يأني) سار.

المفتاح جمع مفتاح مفتحة وهي الخزانة، وعندهم هي الصفات الأربع المذكورة التي هي مفاتيح
أسرار الغيب.

الأسماء جمع اسم بالكسر والضم اللفظ الموضوع على شيء يتميز به. قال ابن عربي في
الفتوحات المكية. أسماء الله تعالى هي المؤثرة في هذا العالم وهي الفاتح الأول التي لا يعلمها إلا
هو وإن لكل حقيقة اسماً مما يخصها من الأسماء وأعني بالحقيقة حقيقة تجمع جنساً من الحقائق،
ورب تلك الحقيقة ذلك الاسم، وتلك الحقيقة عابدية وتحت تكليفه، وإن جمع لك شيء ما أشياء، فليس
الأمر على ما توهمت فإنك إذا نظرت إلى ذلك الشيء وجدت له من الوجوه ما يقابل تلك الأسماء؛
مثل الجوهر الفرد فإن فيه حقائق متعددة تطلب أسماء إلهية على عددها فحقيقة إيجاد تطلب اسم
القادر، ووجه أحكامه تطلب اسم العالم ووجه اختصاصه تطلب اسم المريد ووجه ظهوره تطلب اسم
المريد والراني إلى غير ذلك، وهذا وإن كان فرداً فله هذه الوجوه وغيرها مما لم نذكرها، ولكل
وجه وجوه متعددة تطلب من الأسماء بحسبها والوقوف عليها عسير، وتحصيلها من طريق الكشف
أعسر. فلنذكر أمهات الأسماء كلها المعلومة في العالم العلوي والسفلي المعبر عنه بالصفات عند
أصحاب. علم الكلام وهي الحي العالم المريد القادر فإنا نحتاج في دلائل العقول في معرفة الحق إلا
كونه حياً عالماً مريداً إلا أن الشيخ محمد الحسين آل الكاشغرى الغطاء بكتابه (الدين والإسلام) جعل
القدم من الصفات الأربع وحذف الإرادة، والذي رآه المؤلف هو الأحق لما نراه من أن هذه الأربع
هي الإرادة الجامعة في كل حي فإذا بطلت صفة منها بطلت حركة الأربع وقد أفاضها سبحانه على
مكوناته جميعاً، كما أفاض الوحدة التي تفرد بها على جميع المكونات فتكثر مع المتكررات في حال
احتفاظها بالوحدة.

الذاتية نسبة إلى الذات وهو ما يصلح لأن يُعلم ويُخبر عنه، ويُراد به الحقائق الأربعة: الحياة
والعلم والإرادة والقدرة. وعندهم أن الحقائق أربعة أنواع: حقائق ترجع إلى الذات المقدسة، وهي
كل مشهد يقينك فيه الحق على معرفة كونه: عالماً قادراً مريداً حياً؛ وحقائق ترجع إلى الصفات
المنزلة وهي النسب وحقائق ترجع إلى الأفعال وهي كن وأخواتها وحقائق ترجع إلى المفعولات
وهي الأكوان والمكونات. وهذه الحقائق الكونية على ثلاث مراتب: علوية وهي المعقولات، وسفلية
وهي المحسوسات، وبرزخية وهي المخيلات.

القوابل: جمع قابلة من قبل الشيء قبولاً لزمه وأخذ فيه. والقول صدقة.

ليكون فلا جرم عين الحق سبحانه من حيث أسمه الباري في اللوح^(١٢) المحفوظ.

والقمرية الثانية الأركان الأربعة

لكل واحد من هذه الأركان الأربعة الإلهية مظهراً خاصاً وصورة روحانية مع حكم احتمال كل واحد على آثار الباقي وسميت هذه المظاهر في اصطلاح الشرع بإسرافيل وجبريل وميكائيل وعزرائيل فكان إسرافيل مظهر ركن الحياة الكلية الجمالية الأصلية المشتملة على جميع الكمال والإحساس بكليتها وجمالها ولهذا كانت الحياة الأدبية الآخروية متعلقة في النفخة الثانية في الصور^١ الذي هو مجمل الصورة الطبيعية وأصلها وجمعها علوي وسفلي وتلك النفخة المرسلة الموجبة حياة الخلق وقيامهم ناظرين فيما يبدو من إشراق نور الحضرة الربانية بلا وسائط ولا أسباب يوم القيامة لقوله تعالى (وَنَفْخُ فِي الصُّورِ فَصُوقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ لَأَمَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (٦٨) (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) (الزمر: من الآية ٦٩)

^١ اللوح المحفوظ النفوس الكلية أو العقول الكلية، فإنها بوجه كُتِبَ وألواح. واللوح المحفوظ أم الكتاب أيضاً (وله معان غير هذه) وأم الكتاب الفاتحة لافتتاح الكتاب التكويني بها الذي هو جملة ما سوى الله، وافتتاح الكتاب التدويني (القرآن) بها. وسميت أم الكتاب لكونها بحقيقتها التي هي المشيئة أصلاً وعماداً ومجموعاً فيها جميع أجزاء الكتاب التكويني، والعرب تسمي كل مجتمع وكل أصل أم، ولأن صورته التدوينية مشتملة على جميع النسب والإضافات الخلقية التي ليس الكتاب التدويني إلا لبانها، ومن هنا تعلم كيف كتب بالقلم باللوح المحفوظ جميع ما كان ويكون إلى يوم القيامة فاللوح لوح من نور والقلم قلم من نور، والمداد مداد من نور. وسيتك أن القرآن الكريم تنزل على المراتب الثورية بحسب المراتب النورية إلى أن كان عندنا بالأصوات والحروف بحسبنا. . . .
الصور: القرن الذي ينفخ فيه. ورد في الأخبار أنه قرن من نور، وله رأسان وطرفان ينفخ فيه إسرافيل فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض ومن الطرف الذي يلي السماوات فيموت أهل السماء والأرض، فتمكثان خليتين ما شاء الله ثم ينفخ فيه إسرافيل مرة أخرى وله ألقاب بعدد الخلائق فيحيون ويحشرون. قال ابن عربي: نفخ الحقيقة الإسرائيلية من المحمدية المضافة إلى الحق. نفخها كما قال الله تعالى (فينفخ في الصور) يفتح الواو وقرئ بالياء وضمها وفتح الفاء، والنافخ هو إسرافيل والقبول من الصور وسر الحق بينهما هو المعنى بين النافخ والقابل، كالربط من الحروف بين الكلمتين وذلك هو سر الفعل الأقدس الذي لا يطلع عليه القابل ولا النافخ، فعلى النافخ أن ينفخ وعلى النار أن تنقد وعلي السراج أن ينطفئ، والانطفاء والانتفاء بالسر الإلهي (فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) وفي حقائق أسرار الدين فإذا نفخ في الصور بفتح السواو تنفخ الحياة الإلهية بالمدد الإلهي بالصور.

فأما الأولى منه فيه فإتاما تكون بإصعاد النفخ وإرجاعه من الظاهر إلى الباطن يشتبه حكم الحياة الدينونية ويرجع إلى أصلها ثم يبتدي حكم ظهورها وتصلبها في النشأة الأخروية فلهذا المعنى كان إسرأفيل مظهراً للحياة كما قلنا والأقساط مندرج فيها كحكم جميعها للجميع أصلاً وفرعاً.

المعنى: يقول : إن البيت الإلهي وهو الاسم الخالق من أسماء الله سبحانه وهو التجلي لأهل مرتبة اليقين الثاني الذين هم أهل الشهود؛ مبني على أركان أربعة كبناء البيوت العادية، وأركانه الحياة والعلم والقدرة لا يقوم إلا بها ولهذه الأركان لوازم وتتمات وشروط يتم بها الفعل كاملاً وهي القول والجود والأقساط. فالفعل من كل فاعل لا يكون إلا عن ذي حياة عالم بما يريد أن يفعل قادر على ذلك الفعل أمر نفسه بالتحدث إليها سراً أو جهراً بما يريد أن يفعل وبذلك يكون الفاعل جمع الفات الأربع المذكورات ولوازمها وتتماتها وبهذا تعلم أن الصفات الإلهية الأربع أفاضها على مخلوقاته كإضافة وحدته ن فيإيجاده الرواح الكلية (العوالم المجردة عن المادة والتقدير) يكون قوله (كن) ركناً يستند عليه الإيجاد والقدرة تنمّة لذلك الفعل وشرطاً؛ وكلامه سبحانه ليس بصوت يقرع ولا نداء يسمع. وكن الوجودية هي مشيئة الله وفعل وكلمته وأمره وغير ذلك من الأسماء المختصة بها، وبإيجاده الأجسام الكلية الذين هم عوالم الأشباح النورية تكون القدرة التي يستند عليها الإيجاد ركناً والقول الذي هو كن الأمرية تنمّة له وشرطاً، وكون القدرة ركناً لإيجاد الجسام، هو لأن الأجسام مركبة من أجزاء بالنسبة لما فوقها، فتحتاج في تكوينها الى مادة تكون منها، والى مدة من الزمن لإنجاز العمل بخلاف عالم الأرواح فإنها لا تحتاج في تكوينها إلا كن فيكون، ولذلك كانت القدرة ركناً يستند عليه إيجاد الأجسام فكلمة الخلق تستعمل في المكونات الماديات، والإبداع الذي هو كن يستعمل بالمجردات، وقد يخص الخلق ما يحتاج الى مادة ومدة كالمواليد والأختراع بما يحتاج الى مادة دون مدة كالسماوات والعناصر والإنشاء بالمتغيرات المتجردة عن المادة والمدة وإبداع بالمجردات عن الكل قال الأمير:

عرفت الخلق والأمر
ومعنى الكل في الكل
فجمعت بلا وصل
وفرقت بلا فصل

فإفاضة الوجود على الموجودات علويةً وسفليةً باختيار الله سبحانه وإرادته وأمره الصادر عن الاسم الخالق وهو التجلي لأهل اليقين الثاني بشرط المدد من مفاتيح الغيب التي هي الأسماء الذاتية لله سبحانه: الحياة والعلم والإرادة والقدرة. فظهور الوجود جميعه من الأسماء الإلهية التي لا عداد لها وكل اسم له فعلٌ خاصٌ به كالرحيم لإفاضة الرحمة، والحي لإفاضة الحياة والعالم لإفاضة العلم وما أشبهه والفعل في ذلك كله للسر الساري بها من هذه الأسماء المذكورة: الحياة والعلم والإرادة والقدرة. والأقسط التي هي جمع قسط (النصيب أو العدل) شرطٌ في صحة الإيجاد مصحوباً بسراية المفاتيح المذكورة مع وجوب الاستعداد والقبول للذات هما القسط المذكور لظهور الغلب بصورة تقبل حكم الله وأمره الإيجادي ليكون هذا الاسم الظاهر في مظهر الفاعل أي كان ذات الحق سبحانه من حيث اسمه الباري في اللوح المحفوظ الذي هو المشيئة ن ولكل واحد من هذه الأركان مظهر خاصٌ مشتمل على خواص البواقي؛ يعني أن مظهر الحياة الذي هو إسرافيل مشتمل على أحكام العلم والإرادة والقدرة، وهكذا بقية المظاهر الأربعة: إسرافيل وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل. وغنما قال سميت باصطلاح الشرع لأنها مسميات لله وليست أسماؤه غيره. ثم يقول: متعنا الله بمعارفه. إن إسرافيل من هذه الأركان الأربعة ركن الحياة الكلية المادية والمعنوية المشتملة على جميع القوى الروحانية والمادية من العقل الأول إلى آخر مخلوق ولذلك تعلقت الحياة الكلية الأخروية التي لا فناء لها بالنفخة الثانية بالصور الذي هو مجمل الطبيعتين المطلقة (وهي هيولي عالم الأنوار) والمقيدة (وهي الطبائع الأربع) فأما الأولى من النفختين تكون بإصعاد النفس وإرجاعه من ظاهر المحسوس إلى باطن المعقول بالمدد من الأنوار الإلهية (أي يمدد الحياة منه إلى سائر الأحياء مادياً، ثم بإرجاع النفس بعد النفخ يحييها بأماتتها عن الماديات وإرجاعها إلى أصلها النوراني وذلك تشبيهاً بالنفس الإنسانية يمدد ثم يرجع إلى فم صاحبه من حيث أتى ولكن المرتبط بالمحسوس يشتهي حكم الحياة الدنيوية، فحينما يرجع إلى أصلها يظهر له سرها مفصلاً بالنشأة الأخروية الباطنة، بانكشاف أسرارها يعني أن مظهر الحياة الكلية الذي هو إسرافيل بامتداد نفسه الإلهي (وهو فيض النور) تحيا الأنفس بأماتتها عن الطبيعيات وإحيائها

بنور الله بالنفخة الأولى، وبالأحرى تشرق الأرض بنور ربها وذلك هو الكشف والصفاء التام فترجع الفروع الى أصولها والأسباب الى مبادئها، ولهذا كان اسرافيل مظهراً لركن الحياة مع إندراج الأقسام بهذا النفخ، كما أنه مشتمل على خواص وآثار الحقائق الإلهية وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة. وبها شرحوا قوله تعالى (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ) (سورة فاطر: من الآية ١)

وقال الحسن منه السلام (لم تجتمع رباع إلا في جدي رسول الله (ص) قال

الأمير:

وَسَائِلُ أَجِبَتُهُ إِنْ كُنْتُ مَنْ يَعْرِفُ مَا أَحْنَحَةُ الرِّسْلِ فَطَرُ

وأما جبريل فكان من اللوح المحفوظ مظهراً لركن العلم، ولهذا كان حاملاً للوحي المشتمل على أنواع العلوم ودرجاتها ومعطاً حيث قال الله تعالى (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) (سورة النجم: ٥) عنى به قولاً بلا واسطة كتكويين عيسى من حيث

'العلم يطلق على مطلق الإدراك الإنساني بالمدارك الظاهرة أو الباطنة جزئياً أو كلياً، تصوراً أو تصديقاً، ويطلق على الإدراك الكلي أو المركب أو البسيط، وعلى التصديق ظنياً أو علمياً تقليدياً أو عادياً أو برهانياً، وعلى الفنون والصناعات وعلى الملكة الحاصلة للإنسان من المدارس والممارسة، ولا يطلق على إدراك الحيوان الصبامت لأنه لا شعور له بشعوره. ولما كانت العلوم والإدراكات متخالفة والعلوم والجهالات متشابهة، يضل بها كثيرٌ عن طريق الحق، ويحسب أن العلم في الجهل؛ كان التعرض لتحقيق العلم وأقسامه من المهمات فنقول إن العلم في المراتب النورية يسمى علماً وعقلاً كما يسمى وجوداً ونوراً لأنه ليس لها استعدادٌ وقبولٌ لأن تتعلم فتتبرر العلم من القوة الى الفعل كما هو الحال عندنا بل استعدادها وقوتها عين فعلها، والمرتبات الأرضيات كالعناصر والمولدات لا يسمى شعورها الضعيف علماً، لغلبة الأعدام عليها ولا شعور لها من قبل أنفسها في فناء ومن قبل موجدتها في بقاء، وإذا بلغ الإنسان سُمي شعوره علماً لحصول الشعور بالشعور وعدمه

والعلم يقتضي العمل بمقتضاه لأن العطشان إذا علم أن وراء الجدار ماءً عمل للوصول إليه، واعلم يورث العمل بنصوص الأخبار والآيات (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) قال الله (وانقوا الله ويعلمكم الله) فجعل التعليم المورث للعلم ميراث التقوى فمن تعلم السحر لإبطال السحر، والشطرنج للنتبه على السير في البيوت للغلبة على الخصم الذي هو الشيطان كان إدراكه علماً، وتعلم الفقه ولم يقصد به العمل لله جهل. فمدار عملية الإدراك وجهاليتة شاكلة الإنسان لا صورة الصناعات والمدارك فرب متعلم للفقه كان عبداً للشيطان. والحاصل ما كان سبباً للإبهار عن الدنيا، والإقبال على الآخرة فهو علم وإلا فهو جهل قال (ص) إنما العلم ثلاثة:

أية محكمة. وفريضة عادلة. وسنة قائمة.

وهي العلم القلبي الذي هو معرفة ما وراء المادة والعلم النفساني الذي هو التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، والعلم الجسماني الذي هو العلوم الشرعية. وما خلاهن فضل.

إِنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ حِينَ تَعْمَلُ تَعْمَلُ لِمَرْيَمَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) (سورة مريم: من الآية ١٧)

وعلمه علم الساعة^١ أي بيان لقيام الساعة فكان مظهراً للعلم والقول أيضاً فكان من حيث مظهريته للعلم يسمى بروح القدس^٢ ومن حيث مظهريته للقول يسمى بالروح الأمين فكان له جهتان وحكمان كإسرافيل فهو أي جبرائيل الذي هو عين الوجود من حيث ظاهره الغالب عليه حكم القول صار مظهراً للقول ومن حيث باطنه الغالب عليه حكم العلم صار مظهراً للعلم فتنبّه لهذا السرّ السرير بخزائن المعرفة وأما ميكانيل فكان مظهراً لركن الإرادة^٣.

^١ علم الساعة من العلوم الخفية التي لا يطلع عليها إلا المعصومون قال أمير المؤمنين (خُصِّصَتْ بِلَعْمِ الْمَنَائِيَا. وَهِيَ مَوَاتَاتُ الْإِنْسَانِ فِي السُّلُوكِ، وَالْمَوْتَ الطَّبِيعِيِّ، وَأَنَوَاعُ ظُهُورَاتِ السَّاعَةِ وَالْقَائِمَةِ وَالْبَالِيَا) وهي الامتحانات للخلاص من حُجُبِ السَّاعَةِ). وأشرط الساعة كثيرٌ وهي تنطبق على الحال الواقعة الآن بما أتى عنه (ص).

^٢ روح القدس عند الصوفيين، جوهر نوراني، وجوهريته مظهرٌ للذات المتجلية في عالم الظهور ونورانيته مظهر علمه الأزلي ويسمى باعتبار الجوهرية النفس الواحة (خلقكم من نفس واحدة) وباعتبار النورانية العقل (أول ما خلق الله العقل) وله باعتبار التوسط بين الحدث والقَدَمِ جنبان، فخلق من جنبه الأيسر النفس الكلية ووقع بينهما تجاذبٌ من ميل الجنس إلى جنسه كما جرى لأدم وحواء، وتولد منها الكائنات نتيجة بعد نتيجة حتى انتهى حتى انتهى الأمر إلى آخر مولود وهو الإنسان فظهر نتيجة انطباق الوجود على بدايتها ولظهور صورة النفس والروح في الإنسان صيرت فيه أنوثة وذكرورة كالذكورة والأنوثة الحيوانيين، وأول شخص ظهر فيه الروح آدم وحواء وتوكل من ازدواجهما الذكرية مثل تولد الكائنات من الروح والنفس، والطبيعة برزخ بين النفس والجسم ورابطة التعلق بينهما، ولها وجهٌ صافٍ إلى النفس تتعكس فيه صورة النفس بأسمائها وصفاتها، وهو الروح الحيواني تستمد منه أرواح الحيوانات ووجهٌ كدرٌ إلى الجسم وهو الروح الطبيعي الذي تستمد منه طباع الأجسام علويها وسفليها، وما بين الوجهين الروح النباتي.

^٣ الإرادة: مصدر أراد الشيء شاءه، وكل شيء من أفعال العباد وصفاتهم وغيرها مما له سمة الإمكان، فهو مراده تعالى لتسليم كل من أقر بالمبدأ الأول أن لا شيء في عالم الإمكان إلا بعلمه وشيئته وإرادته، وكل مراده فهو مفعول له لا لغيره فعلى هذا تكون أفعال العباد فعل الله جبرٌ ولا تفويضٌ فليس العباد مجبورون في الفعل لأن الجبر يقتضي جابراً مغايراً للجبر، ومجبوراً مستقلاً في الوجود مريداً مختاراً مسلوباً عنه الاختيار متحركاً على حسب إرادة الجابر، المخالفة لإرادة الجبر، ولا إرادة مستقلة مغايرة لإرادة الجابر فالجبر يقتضي مفاسد التفويض مع شيء آخر من المفاسد علاوة على نسبة الاستقلال للعباد، وليس الأفعال بتخير الله أيضاً لما ذكر فإنه لا فرق بين التسخير والجبر إلا بسلب الإرادة وعدمه، فإن المسخر إرادته باقية تابعة لإرادة المُسَخَّر بخلاف المجبور فإن إرادته تكون مسلووبة وحركته تكون لإرادة المجبور بل الأمر أدق وألطف من الجبر والتسخير.

أرواح الميولات

فبانه مرتب لما فيه بقاء الخلق من الرزق المعنوي^(١) والصوري علماً وفهماً وغذاءً كالجاه والحشمة^(٢) وحساً كالجمال والنعمة فكان مظهر الإرادة والجود مندرج فيه لتوقف نفاذ حكم إرادته عليه.

المعنى: يقول: أخذ الله بيدنا لفهم أسرارهِ. إن جبريل مظهر لركن العلم من الأركان الأربعة الكائنة باللوح المحفوظ. المكتوبة به المكونات كما مر، ولذا كان حاملاً للوحي الإلهي المشتغل على جميع العلوم ومعلماً لجميع الأنبياء

(علمه شديد القوى) وهو المتمثل لمريم والملقى إليها كلمة الله (عيسى) والمعلم علم الساعة وهو العلم بكل شيء ولا يطلع عليه إلا صاحب الولاية المطلقة، وله جهتان وحكمان كلإسرافيل، فإن لإسرافيل من الأركان الحياة والقدرة ولجبرائيل جهة القدرة وجهة العلم وهو الغالب عليه (أو إنه كما قال حضرة الشيخ عبدالهادي حيدر (أبي قبيس) (إن المراد بحكمي إسرافيل في نفختي الصور حكم الموت وحكم الحياة المعنويين والحسيين وبجهته الحياة ولازمتها وهي الأقسام) وأنت تعلم أن السيد محمداً هو الوجود بهوية الوجود المطلق والمقيد، وأن الباب صورة هذه الهوية وجبرائيل هنا مظهر العلم الإلهي وليس علم الله غيره فيكون جبرائيل صورة الناس الذين هو ذات الوجود وحقيقته، والوجود المطلق لهذه الصورة حضرة الحق (هو الهيولي وكل الخلق صورته) (الكون جسم وفيه روح) وميكال من الأركان الأربعة الذاتية: الحياة والعلم والإرادة والقدرة. مظهر لركن الإرادة المنبئة آثارها في المخلوقات كبقايا الصفات الأربع، فهو مرتب للأمداد المعنوية كالعلم والفهم والجاه، والأمداد الصورية، كالجمال والنعمة والجود الذي هو من اللوازم مندرج بهذا المظهر لتوقف نفاذ حكم إرادته على الجود. أرشدنا الله.

^(١) المعنى نسبة الى المعنى والمراد به هنا ما به قيام النفوس من الإشراقات وما تناله من الجاه والعظمة.
^(٢) الحشمة بالضم قاربة الرجل. يقال: فيه حشمة أي قرابة. أو لعلها حشم بدون تاء وهي خاصة الرجل الذين يغضبون له من أهل وعبيد وخدم كثيرة.

عزرائيل وتوحد (الأنفال)، القلم

وأما عزرائيل^١ فكان مظهرًا لركن القدرة بقهر الجبابرة وبذلهم بالموت والفناء غير ممانع ولا مدافع لكمال تحققه بصورة القدرة وكما أن جميع الحقائق الإلهية والكونية من توابع هذه الحقائق الأربع فكذا جميع الأرواح والملائكة من توابع هذه الملائكة الأربع وقواها بعد القلم^٢ الأعلى والمهيمة^٣ وهم العالون الذين لم يدخلوا في حكم الأمر بالسجود لآدم لإكمال هيبتهم في حال جمال الحق جلّ جلاله كما أشير إليه في قوله تعالى لإبليس (أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) (سورة ص: من الآية ٧٥) وهم الأنبياء الخمسة.

عزرائيل اسم ملك الموت، ولم يختص عزرائيل بالموت وحده بل الله يتوفى الأنفس وملك الموت والملائكة والرسل، والتوفي ليس مخصوصا بالموت الطبيعي بل المراد بالتوفي عند الصوفيين الإمامة عن رتبة برفع السالك إلى غيرها، فإن العقل في العالم الصغير (الإنسان الفرد) كالحق في العالم الكبير، وإذا لوحظ أن للعقل جنودا وأعوانا ومدارك وقوى لا يعصون ما أمرهم العقل، وهم يأمرهم يعملون ولأن أمره للقوى والمشاعر، امتثالها من غير تراخ أو تأب، وفعلها كما أنه منسوب إليها حقيقة منسوب إلى العقل أيضا حقيقة من غير مجاز بل فعل القوى من غير تعدد في الجبهة فعل العقل أيضا، فالروية مثلا فعل الباصرة وهي من حيث أنها فعل الباصرة فعل العقل لكن بمرتبة الباصرة لا بمرتبة العالية بل فعله الخاص به في مرتبته العالية إدراك الأشياء مجردة عن غواشي المادة والتقدير والتشكل. فالفاعل في كليم فعل دانيا كان أو عاليا هو الله لكن بواسطة مباشر خاص ينتيب الفعل إليه وإلى الله باعتبار تشويه وظهوره بفاعله الخاص وله باعتبار مرتبته المخصوصة فعل خاص به لا ينسب إلى غيره فالفعل مظهر لله في مرتبته الخاصة، والنفس مظهر لملك الموت والقوى والمشاعر مظاهر للملائكة والرسل فالباصرة والعقل كانه ينتزع الكليات عن الصور مع النزاع الأول فعل العقل بواسطة الباصرة، والنزع الأخير فعله بلا واسطة، فاختلاف الآيات والأخبار باعتبار اختلاف المباشر للفعل، واختلاف المراتب على صحة الانحصار في قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس) واختلاف المراتب للفعل باعتبار اختلاف النفوس مثل مباشر نزع النفوس النباتية والحيوانية والإنسانية، وفي النفوس الإنسانية أيضا مراتب نفوس يقبضها الله بلا واسطة ونفس يقبضها الملائكة والرسل، ومقبوض الملائكة مقبوض لملك الموت والله مقبوض ملك الموت مقبوض لله. القلم: الرقم الذي يكتب وهو مجاز من تسمية الشيء بما يؤول إليه، والقلم هنا هو الذي كتب به الكائنات باللوح المحفوظ، فأيات الكتاب الكريم في مقامه العالي من مراتب العقول يغير عنها الألفاظ، ومراتب النفوس يعبر عنها بالألواح العالية واللوح المحفوظ والمراد بالقلم هنا التجلي كصفة الاسم العظيم الذي كتب به المكونات في اللوح المحفوظ، أي المفوض إليه خلق الأشياء. قال ابن عربي: المحرك للقلم صفات الله الحمالية. قال الأمير: القلم الجباري الذي مداده لأحرف التنزيل باللوح سطر

^١ المهيمة جمع مهيم اسم مفعول من هيمة الود جعله ذا هيام والملائكة المهيمون هم المقربون والقيام لا ينظرون وهم العقول الطولية لسان الفلاسفة. قال ابن عربي: الملائكة المهيمون المخلوقون من العماء فوق القلم وسياتيك، أنهم تجلياته سبحانه بالمشيئة والفطرة والعلم والقدرة والطف الخفي.

مظاهر القدّاع

التي اتبعت^١ من أنوار الذات العالّية القدسيّة والتفرّعات^٢ الحاصلة منهم كالتفرّعات الحاصلة في تلك الحقائق المعنوية في الحضرة العلمية

المعنى: يقول : إن عزرائيل مظهر لركن القدرة من الأركان يقهر الجبابرة بالموت، لا يُفَع ولا يُمنَع لتحقيقه الكامل بصورة القدرة الإلهية، وكما أن جميع الحقائق الإلهية وهي أربع منها حقائق ترجع إلى الذات، وحقائق ترجع إلى صفات الذات وحقائق ترجع إلى أفعال الذات وحقائق ترجع إلى مفعولات الذات وكل هذه الحقائق من توابع الحقائق الأربعة: الحياة والعلم والإرادة والقدرة فكذلك جميع الأرواح والملائكة من توابع هذه الملائكة الأربعة الذين هم صورة للأسماء الذاتية بتنزل الوجود إلا القلم العلي الذي كتب به المكونات في اللوح المحفوظ الذي هو العرش أو النفس الكلية وهذا القلم هو التجلي كصفة الاسم، وإلا المهيمّة العالون الذين لم يؤمروا بالسجود لأنهم وهم الأنوار الخمسة الذين هم:

المشيئة والفطرة والعلم واللطف الخفي المنبثقة من الذات العلية وتفرع عنهم:

محمد وفاطر والحسن والحسين والمحسن، ويسمون هؤلاء ظلال أولئك. في الأسوس (احتجب الله بأربعة من الملائكة جبرائيل الروح الأمين، إذا أراد الله أن يخسف قرية أو يزلزلها حل فيه وهو الفاعل لا الملك، وإذا أراد أن يغير صورة جبرائيل يجعل له من الاستطاعة أن يفعل فعل الرب ثم إسرافيل النافخ في الصور فلو كان هو المحيي لكان هو الملك النيان، ولكن الله ينزل قدرته به ويعدّه بيتاً من بيوته، والنفخة من الملك وإحياء الموتى من عند الله، وميكائيل صاحب اللوح المحفوظ يحتجب الله به فيؤدي تلك الغيوب لا يؤديها غيره وله حُجُبٌ غير هذه كثيرة. في مشارق الأنوار إن الصفات الإلهية سبعة:

الحي^٣ وهو إمام الأئمة، والعليم والمريد والقادر والمتكلم والمقسط والجواد (وهذه هي الأسماء الذاتية وتتماتها وشروطها كما ذكر المؤلف) ولهذه الأسماء

^١ أنبثق الفجر: أقبل تمت حبال نوره في المشرق.

^٢ التفرّعات: جمع التفرع. أغصان الشجرة إذا كثرت والتفرّع جعل شيء لاجتياح اللاحق إلى السابق.

مظاهر فمظهر ركن الحياة. إسرافيل، ومظهر ركن العلم. وجبرائيل ومظهر ركن الإرادة ميكائيل، ولهذه الأصول سبعُ مظاهر كوكبية، وكل كوكب منها خادم لأسم من هذه الأسماء فمظهر تجلي الحياة الشمس ومظهر تجلي العلم المشتري ومظهر تجلي القدرة المريخ ومظهر تجلي الإرادة الزهرة ومظهر تجلي الكلام القمر ومظهر تجلي الأقساط عطارد ومظهر تجلي الجود زحل، والأسماء هي المؤثرة فيما تحتها من العوالم لكن بواسطة هذه المظاهر كما تقتضيه الحكمة الأزلية من ترتيب الأسباب على المسببات وإليه الإشارة بقوله سبحانه (وأوحى في كل سماء أمرها) وكذلك الأنبياء فإنهم مظاهر أسماء الله فمن كان منهم مظهراً لأسم (كُل) كانت شريعته كلية. وجميع الأسماء ترجع الى الاسم الجامع وهو محمد (ص) فاتضح من هذا ما أراده المؤلف من مظاهر الأركان الأربعة في هذه الملائكة الأربعة.

ظلال مظاهر الأركان

واعلموا إخواني إن لكل واحدٍ من هذه المظاهر الأربعة ظلاً يسمى في اصطلاح القوم باسم معلوم نذكره هاهنا: أما الظل^١ الأول فيسمى بالعقل الكلي^٢. والثاني يسمى بالنفس الكلية^٣. والثالث يسمى بالكلمة الكلية^٤. والرابع يسمى بالصورة الكلية^٥.

^١ الظل نقيض الضخ وهو الفناء، فكل ما في الدنيا من السماويات والأرضيات صورٌ وظلالٌ لما في الآخرة وما في الآخرة حقائق لما في الدنيا. فالعناصر ومواريدها والأفلاك وكواكبها حقائقها في الجنة وليس في الجنة شيءٌ إلا وظله في هذا العالم. العقل جوهرٌ مجردٌ عن المادة مقره الدماغ به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية ولأنه صادرٌ عن الله بلا واسطة سمي العقل الأول من حيث أن الأشياء تجد منه قوة التعقل الفعال ومن حيث أن العقل فاض منه الى جميع الموجودات فأدركت به حقائق الأشياء سمي عقل الكل أو العقل الكلي.

^٢ النفس الكلية هو إخراج الكلمات الإلهية من عين الجمع، وهو الذات الأزلية الى محل التفضيل الذي هو النفس الكلية، كالعلم الذي هو واسطة إخراج الكلمات من عين الجمع، والخفاء الذي هو إقصاؤه الى محل الظهور، والتفضيل الذي هو اللوح. فالنفس الكلية في قبول صور المعلومات المفصلة بمثابة اللوح، واللوح المحفوظ عبارة عنها، وكما أن النفس محل تفضيل حقائق المعلومات فالجسم محل تفضيل صورها، وفي كل نفس من النفوس الجزئية الإنسانية مكتوبٌ بعض تلك الحقائق على ما شاء الله أن يحيط به، ولا ينكشف لها شيءٌ مما أحاطت به قبل الوقوع في الشهادة إلا عند تجردها عن الغواشي البشرية والكاتب في كل ذلك القلم: أقسام نظامها بمعيم لطيف على تقديرها قلمٌ وصوف

المعنى: يقول: إن لكل من هذه المظاهر الأربع التي هي:

إسرافيل، وجبرائيل، وميكائيل، وعزرائيل. ظلًا يمثلّه فهو صورة عنه ولكل ظل اسم مخصوص، فالظل الأول العقل الكلي الذي هو السيد الأزلي المسمى من حيث مفعولاته بالعقل الأول والعقل الفعال والعقل الكلي بحسب مراتب أفعاله، وكلها السيد الأزلي، والظل الثاني النفس الكلية الذي هو اللوح المحفوظ الذي كتب به المكونات أي جمعها فيه، وهو الكرسي الذي وسع السماوات والأرض والظل الثالث الكلمة الكلية الجامعة للكلمات والكلمات حقائق المكونات والظل الرابع الصورة الكلية الجامعة لسائر الصور المعنوية والمادية فكل محسوس له صورة محسوسة وكل معقول له صورة معقولة. وكل الصور نازلها ظل لعاليتها وصورة له والصورة الجامعة للصور الذات العلية وهذه الظلالات الأربعة هي تجلياته سبحانه، بحسب تنزل الوجود، فتكون أمهات الصفات الأربع. الحياة والعلم والإرادة والقدرة. هي أسماء ذاتيات الله كما مر ومظاهرها الملائكة الأربع تجليات أفعاله وأفعاله هذه الظلالات الأربعة الجامعات للكل:

الجواهر أصبحت أعراضا
لو لم تكن عنه الوجود مفاضيا

لوجودك الجزئي كليات أجناس
الكل للكل أنت ولم يكن

الكلمة غير مختصة بالحروف المركبة الحاصلة من تقاطيع الهواء النفسي مع مخارج الحروف الموضوعة لمعنى من المعاني، بل كل ما دل على غيره من الأشياء العينية فهو كلمة، بل التحقيق في معنى الكلمة أن الحق المضاف باعتبار تعلقه بالأعيان الوجودية الثابتة وبالمهيات التي وجودها اعتياري فقط هو كلمته تعالى، والحق المضاف هو مشيئة الله التي كون بها المكونات، وهي نفسي الرحمن (تشبيها بامتداد النفس الإنساني) وهو الرب المضاف، وقد ورد عنهم (نحن كلمات الله التامات)، وتلك الكلمة التي هي المشيئة هي باعتبارها في نفسها تامة، وباعتبار ظهورها على غيرها توصف بالتمام والنقص لإظهارها التمام والنقص. إن الوجود حقيقة متصلة بالتحقق، ظاهرة في مراتب كثيرة، وكل مرتبة منها لها صورة بحسب التنزلات، فالأيام والشهور الزمانية التي هي هنا صورة، والدهر صورة للسرمد، والكل ظهور سير شمس الحقيقة. وكل دان له صورة واستقلال في العالي، وصورة بالاستقلال في عالي العالي؛ وصورة ينبع العالي في عالي العالي، ولكل شيء من الممكنات حقائق في حضرة الأسماء استقلالا وتبعًا، وهذا هو معنى الصورة الكلية.

صور الظلال الأربعة

ولكل واحد من هذه الظلال الأربعة صورة طبيعية تسمى في اصطلاح قوم باسم معلوم نذكره هاهنا:

أما الصورة الأولى فتسمى بالحرارة الكلية.

والثانية تسمى بالرطوبة الكلية.

والثالثة تسمى بالبرودة الكلية.

والرابعة تسمى باليبوسة الكلية.

ولهذه الصور الطبيعية أربع أشخاص الأول يسمى بالنار. والثاني يسمى بالهواء. والثالث يسمى بالماء. والرابع يسمى بالتراب.

وقد تركبت من هذه الأشخاص الأربعة أربع عوالم: عالم المعدن. وعالم النبات. وعالم الحيوان. وعالم الإنسان. والجن والأس قسمان:

أحدهما ناقصٌ صوريٌّ منحرفٌ^١ غافلٌ وهو المشار إليه بقوله تعالى: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (الفرقان: ٤٤) وقوله تعالى (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ) (الحق) وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا (الحق) وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا (الحق) وَلَوْلِكَ كَالْأَنْعَامِ (في فهم الحق) بَلْ هُمْ أَضَلُّ (لأنهم كفار) أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (لأعراف: من الآية ١٧٩) عن أمر الآخرة الجاهلون بأسرار الحق.

وثانيها: كاملٌ معنويٌّ معتدلٌ عاقلٌ وهو المشار إليه بقوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) من حيث صورته العنصريَّة^٢ الأخروية الجامعة، (وأجر غير ممنون) من حيث حقيقته وكيف لا وهو مخلوق على مثال الصورة الجامعة

^١ منحرف: مائل عن الاعتدال.

^٢ العنصرية نسبة إلى العنصر، وهو أحد الأجزاء الثابتة التي يتركب منها الجسم.

تصور الكلية والمعنى الكلية فهو الجامع لجميع الجمعيات والظاهر بالجميع والناتق عن الجميع بجميع الأقسام والمفالات.

المعنى: يقول: ولكل واحد من هذه الظلالات الأربعة التي هي العقل الكلي والنفس الكلية، والكلمة الكلية والصورة الكلية، صورة طبيعية بسيطة وهي: الحرارة الكلية، والرطوبة، والبرودة الكلية، واليبوسة الكلية (والحرارة غير الحار، بل هي المعنى للكتن في الحار وهكذا) وهي منبئة في هذا الكون وهو يقوم بمجموعها وهم الأبطال الأربعة:

بفتراق تراهم غير ذي جسد وباجتماع تراهم كلهم جسد ولهذه الصورة الطبيعية أشخاص أربعة: النار، والماء، والهواء، والتراب. وبمجموع هذه الاستقصات الأربعة كونت المكونات الحي منها والموات وتركيب منها العوالم الأربعة: عالم المعدن، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان. وهو قسمان: قسم منحرف وهو الجن المراد بقوله سبحانه (وَلَقَدْ نَرْنَا لَجهنمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ) (سورة الأعراف: من الآية ١٧٩) الخ. والقسم الثاني الإنسان الجامع لجميع المجموعات من عرشه إلى فرشه كما رأيت فهو الجامع لجميع الأشياء المادية والمعنوية، والظاهر بالجميع من حي وموات والناتق عن الجميع بجميع الأقسام الكلية والفكرية والخيالية وبجميع اللغات الروحية والصوتية وسياتيك لأن الإنسان يسمع نطق الوجود المطلق والمعقد، كما أنه ينطق بجميع الأقسام واللغات.

جمع الإنسان لجميع الجمعيات هو أنه لما اقتضى حكم ذات الأربعة والصفات العقلية إتساع ملكة الأروحية، بهياد الخلق وحفظ مراتب وجودها، وكلفت مباشرة هذا الأمر من ذات بحر السلطة بعيدة جداً، لبعيد المناسبة بين الحدث والقدر حكم الحق سبحانه بتعلق بقلب عنه في الولاية فكل الإنسان وجعل لهذا القلب وجهاً في الحدث يمد به الخلق وهو النفس، وجهاً في القدم يستند به من الخلق وهو العقل، وحلق عليه جميع لسمته وصفته وألقى إليه مفاتيح الأمور. لينتقل من سبب خلافته بتبعية تصرفته في ملكه وملكوته، وجعل له بحكم اسمه الظاهر والباطن، وحقيقة بظنة وصورة ظاهرة، حقيقة لظاهرة في الروح الأعظم (وتقدم الكلام عليه) وهو الأمير الذي استحق به الخلافة، والحل الأول وزيره وترجمته، والنفس الكلية خزنة وقهرمته، والطبيعة الكلية (وهي الطبيعة المطلقة التي منها علم النور) هي رئيس السنة من قوى الطبيعة، وأما صورته الظاهرة فهي صورة العلم من العرش إلى القعر، وما بينهما من البسط والمركبات. وهذا معنى لكونه العلم إسن كبير، وأما أوليه الإنسان علم صغير، لأنوا به لشكل البشري وهو خليفة الله في الأرض، والإنسان الكبير خليفة في السماء والإنسان الصغير نسخة عن الإنسان الكبير.

(الإنسان وجمعه (المجموعات).

وهي ملكوته. وبحقيقته جامع الحضرة والمعاني والحقائق وبسرّه متحقّق بالحقّ المطلق دائماً وهو لاهوته^١. وبيبرزخيته^٢ جامع بين الإطلاق والتقييد وبين

عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور الروحانية. وعالم الحس وفيه الأشخاص الحسية والصور الجسمانية البشرية، كالمرأة المجلوة تطبع فيها صور المحسوسات، كذلك العنصر في العالم المثالي مرآة تتراءى فيه جميع صور هذا العالم، وصورة تلك المرأة موجودة حقيقة تحرك الأشخاص ولا تتحرك ولها الوجود الدائم بخلاف المرأة الحسية، وذلك أن كل مبدع ظهرت صورته في حد الإبداع فقد كانت صورة هذا العالم في علم الحق الأول والصور عنده بلا نهاية، ولو لم تكن الصورة عنده في أزليته لكانت تنثر بدثور هيولاهما، والصور الحسية لا تبقى إلا إذا كان لها صور عقلية ترجو للحاق بها وتخاف التخلف عنها، نجد النفس تترك أمور البسائط مثل النقطة والخط والسطح، وتترك توابع الجسم مثل الحركة والزمان والمكان والأشكال. فإننا نلاحظها بأذهاننا بسائط ومركبات ولها حقائق في نواتها من غير حوامل ولا موضوعات، ومن البسائط ما ليست هيولانية مثل الجوهر والوحدة والوجود، فالعقل يدرك القسمين جميعاً متطابقين عالمين متقابلين:

عالم العقل وفيه المثل العقلية التي تطابقها الأشخاص الحسية

وعالم البسائط وفيه المتمثلات الحسية التي تطابقها المثل العقلية.

فأعيان ذلك العالم آثار في هذا العالم، وأعيان هذا العالم آثار في ذلك العالم، وعليه وضعت الفطرة والتقدير. فأنظر إلى قوله: كل نوع من الحيوان والنبات إلخ.. تراه ككل حقيقة من الحقائق مطابفاً لرأي الموالى للكرام من سميتهم ألعالم الكبير بالخيال والأعقاب وهكذا.

الحس: عالم الإمكان المحسوس:

الناسوت طبيعة الإنسان سريانية.

الجبروت بالتحريك والفتح: العظمة والجلال والسلطة والقدرة المتناهية والكنز والقهر وعندهم هو أحد العوالم الثلاثة الملك والملكوت والجبروت. فالملك ما يدرك بالحواس والوهم، والملكوت ما يدرك بالعلم والفهم، والجبروت ما يعرف بالبصيرة والمعرفة، وهذه العوالم محلها واحد وهو الوجود الأصلي والفرعي، وإنما تختلف التسمية باختلاف النظرة، وتختلف النظرة باختلاف المعرفة فالوجود عند المحققين من العارفين واحد، قسم منه لطيف غيب لم يدخل عالم التكوين وهو عالم الغيب، وقسم دخل عالم التكوين وهو عالم الشهادة، وما كان خفياً في عالم الغيب يظهر في عالم الشهادة، فمن نظر إلى جس الأشياء الظاهر سماه ملكاً، ويسمى عالم الحكمة، وعالم الأشباح. ومن نظر إلى أسرار المعاني القائمة بالأواني - وهو أسرار الذات القائمة بالصفات - سماه ملكوتاً ومن نظر إلى الأسرار الأزلية التي كانت حال الكنزية (كنت كنزاً مخفياً) لم تدخل عالم التكوين سماه جبروتياً. أو تقول: من نظر إلى الكشف المكون ورأه قائماً بقدرة الله سمي في حقه ملكاً، وهو لأهل الحجاب من أهل الفرق. ومن رآه نوراً فانضاً من النور اللطيف إلا أنه تكشف بالقدرة وتستر بالحكمة سماه ملكوتاً، وسمي اللطيف الباقي على أصله الذي هو محيط بكل شيء جبروتاً، فإن ضم الأصل إلى فرعه والكثيف إلى اللطيف سمي الجميع جبروتاً:

ولا ثمّ موصول ولا ثمّ بيان
بعيني شيئاً غيره إذا عاين

فلم يبق إلا الله لا ثمّ كان
بذا جاء برهان العيان فلا أرى

^١ اللاهوت: مبالغة بمعنى الإله. ولاهوت الإنسان تحقّقه بالحقائق الإلهية من أسماء وصفات وغيرهما.

عالم الغيب والشهادة وَالْمَلِكُ وَالْمَلَكُوتُ والحضور والغيبية والوجوب والأمكان^١ فهو الجامع لجميع الجمعيات. المجموعات بدل

المعنى: يقول: إن الإنسان الكامل الفاني بالله الجامع الحق والخلق، فهو حق خالق؛ حق بما فيه من تجلي الإلهوية خلق بطبيعته وجسمانيته، فذاك هو الذي يسمع نطق الوجود ويفهمه لأنه كل الوجود ويعرف تسبيح كل شيء ويعقله. كما مر (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) ولا يغفل عن نطق الوجود مطلقاً وإذا غفل فغفلته عن صورة ما دون صورة، ولا يغفل عن الحضرات كلها الأسمائية والصفاتية والأفعالية اللواتي هنّ مجموع المكونات ولا يجوز أن يغفل عن الأشياء التي به قيامها، ولا عن الروح القائمة بهذا المعنى ولا عن المثال ولا عن عوالم الطبع، وذلك لأن الإنسان الكامل جمع العوالم الثلاثة:

الملك والملوك والجبروت. فصورته البشرية الجامعة لجميع الصور الطبيعية عالم ملكه، وخياله الجامع الصور الخيالية والمثالية عالم جبروته، وروحانيته الجامعة كل القوى ذات التأثير والمفاعيل عالم ملكوته، فهو في حقيقته جامع كل هذه العوالم وحقائقها، وسره الذي هو لطائف الله وبه تحقق بالحق المطلق عالم لاهوته؛ فهو، والحالة هذه، جامع للجميع من العرش الى الفرش، فلا يتصور أن يغفل عن هذه الحضرات التي هي مجموع غفلته عنها غفلته عن نفسه وربّه وهذا للإنسان الكامل الذي تم له السلوك فأصبح سراً من أسرار الله.

تسلسل (التكوين)

فإذا كان هو بذاته كذلك فلا يمكن غفلته إلا من حيث الذهن والتعقل^٢، التغفل عن صورة ما دون، ولا يغفل عن كليات الحضرات أيضاً فإنه مع الحق الذي عينه

^١ البرزخ: الحاجز ما بين شيئين ويسمى ما بين عالم الطبع وعالم المثال برزخاً لكونه بين الدنيا والآخرة، فإن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، والآخرة دار قرار وراحة والبرزخ بينهما هو الذي يدخله الإنسان بعد الموت ولا يستقر فيه بل يجتازه براحة أو تعب ويسمى بهرقوليا كما أن قبله جابلقا وجابلقا فوق مقام جابلسا. وهرقوليا وجابلسا وجابلقا غير مجردة عن التقدير وفوقها عوالم مجردة عن التقدير. (وهذا معنى ما بالنستور المكرم) قال الأمير: .
^٢ ولي برزخ ما بين بحري صبايبي ودونهما للعاشقين برزخ.
 الإمكان ضدّ الوجوب، والوجوب هو ضرورة اقتضاء الذات عينها وتحققها في الخارج.
 التغفل: مصدر تغفل الشيء عقله أي أدركه بعقله.

هو عين الحق والكل، وإذا فهم المعنى فلا مشاحة^١ في التسمية فإن أول ما ظهر من امتداد النفس^٢ الرحماني المتوهم لأفي جسم لما طلب الخروج الى الغاية وهو نهاية الخلاء^٣. العقل الأول وهو المسمى عندنا بالحجاب. ثم النفس الكلية وهي المسماة عندنا بالباب، ثم الطبيعة المطلقة^٤ وهو المسماة عندنا باليتيم الأكبر ثم الهيولا^٥ وهو المسمى عندنا باليتيم الثاني، ثم الجسم^٦ وهو اليتيم الثالث ثم فلك الثوابت^٧ وهو اليتيم الرابع ثم السموات السبع وما فيها من العناصر والمولدات وهو اليتيم الخامس، وإن شئت فقل إن الله تفرد بالوحدة التي هي عين ذاته ولا صفة زائدة ولا نعت زايد عليها ثم أفاضها على خلقه.

المعنى: يقول: إذا كان الإنسان الكامل بذاته جامعاً لجميع الجموعات فلا يمكن أن يغفل عن الحضرات كلها، فإذا غفل عن حضرة من الحضرات فغفلته من حيث تغفله وإدراكه لا من حيث أنه ليس بذی قوة واستعداد للتعقل والإدراك، ولا تكون له تلك الغفلة إلا عن صورة ما دون صورة من صور الوجود البواقي، فإذا فهم ما أراد فلا مناقشة في التسمية لأن المراد حقيقة المسمى لا الاسم. وشرع يقرّر ما شرحه بأنه أول ما ظهر من فيوضات الوجود أما أراد الله الإيجاد العقل الأول وهو الاسم، وبعده النفس الكلية وهو الباب، وهكذا ثم أراد أن يعرفك الإفاضات الوجودية من وجه آخر مشيراً الى رتبة الجمع فقال: إن شئت قلت إن الله تفرد بالوحدة التي هي عين ذاته بلا نعت زائد ولا صفة زائدة، ثم أفاضها على المكونات فإن الأشياء كلها صور أعيان غيريات أفاضها الباري على العقل الفعال ثم على النفس الكلية التي هي نفس العالم بأسره، ثم على الهيولى المطلقة، ثم على النفوس الجريئة. ومثل ذلك أن تعتبر صور المصنوعات كيف تكونها في نفوس الصانع قبل

^١ المشاحة مصدر من شاحه. ماحكه، ومنه لا مشاحة في الاصطلاح أي لا مناقشة فيما اصطلاح عليه العلماء.

^٢ امتداد النفس الرحماني عبارة عن إفاضة الوجود على الموجودات.

^٣ الخلاء المكان الفارغ كنوا به عن الخلو من الإيجاد حينئذ

^٤ الطبيعة عبارة عن القوة السارية في الأجسام يصل بها الجسم الى كماله الطبيعي والطبيعة المطلقة عبارة عن الإفاضات من قبل اليتيم الأكبر لتكوين عالم النور، وسميت مطلقة لأن هذه التي كونها منها مقيدة.

^٥ الهيولى: لفظ يوناني الأصل وهو المادة وعند المتكلمين الجوهر الفرد.

^٦ الجسم بالكسر جماعة البدن.

^٧ أفلك: مدار النجوم والثوابت ما سوى السيارات من الكواكب وتعرف بالبيانات.

إظهارهم لها في الهيولات، فكذا كانت الأشياء في النفس الكلية؛ واعتبر حال المعلومات في أنفس العلماء قبل تعليمهم إياها للمتعلمين، فكذا كانت الأشياء في علم الباري سبحانه فأنفس العلماء علامة بالفعل، وأنفس المتعلمين علامة بالقوة والتعليم ليس شيئاً سوى إخراج ما بالقوة إلى الفعل، والتعلم هو الخروج من القوة إليه، فكل نفس تكون أكثر معلومات وأحكم مصنوعات هي أقرب للنفس الكلية لشدة تشبهها بها كما قيل في حذر الفلاسفة: إنها التشبه بالإله بحسب طاقة الإنسان. فإذا علمت أن المكونات إفاضات عن نور الله، وإن تلك الإفاضات أسماؤه وصفاته وأن أسماؤه وصفاته ليست غيره من حيث رتبة الجمع، علمت أن الإنسان الكامل الجامع للمجموعات لا يغفل عن حضرات الوجود إلا من حيث التعقل والذهن لا من حيث العقل والاستعداد.

إنفاضة (الوحدة)

فأول موجود منه الوحدة^١ أمره تعالى في قوله تعالى (وما أمرنا^٢ إلا واحدة كلمح بالبصر) وأول مبتدع^٣ قبل الوحدة من الأمر هو العقل الأول وأول منبعث^٤ قبل الوحدة من العقل هو النفس وأول مكون قبل الوحدة من النفس جرم الكل^٥ ثم

^١ قال فيثاغورس الوحدة تنقسم إلى وحدة غير مستفادة من الغير، وهي وحدة الإحاطة بكل شيء وحدة الحكمة على كل شيء وحدة تصدر عنها الأحاد الموجودات والكثرة فيها وهذه كلها وحدة الباري؛ وإلى وحدة مستفادة وتلك وحدة المخلوقات وربما يقول الوحدة تنقسم إلى وحدة قبل الدهر: وحدة الباري، والوحدة مع الدهر: وحدة العقل الأول، والوحدة التي هي بعد الدهر وحدة النفس، والوحدة التي هي مع الزمان وحدة العناصر والمركبات.

^٢ الأمر: مطلب إحداث شيء وعندهم هو صورة الوجود الفعلي الذي هو المشيئة التي هي أمره تعالى وفعله وكلمته وإضافته إلى غير ذلك من الأسماء وأمره سبحانه ينزل من تنزل الوجود من سماء المشيئة إلى سماء الأرواح إلى سماء النفوس الكلية إلى سماء النفوس الجزئية إلى أراضي الأشباح الظلمانية، فيخرج صاعداً من حيث أتى (وإليه يرجع الأمر كله)، وفي (الحقائق) جعل الحروف فعلاً للمفعول به كقوله للشيء كن فيكون فالكن نفسه منه صنع، وما يكون به فهو المصنوع، فلذلك جعلت الحروف فعلاً وما أخرجه الحروف للمفعول به.

^٣ المبتدع اسم مفعول من ابتدع، وابتدع الله الشيء أيدها لعل على مثال سبق، والمحدث العجيب لم يعرف قبل ذلك.

^٤ منبعث: اسم فاعل من انبعث مطاوع بعث فلاناً على الشيء حملة على فعله. وانبعث الشيء والشعر كنبعث اننفع.

^٥ الكل ما يضم الأجزاء. والمراد به الطبيعة المطلقة: البيت الأكبر.

أفاضت الوحدة على الطبايع والمركبات^١ فقامت الموجودات كلها بوحدةانية^٢ الأمر الأعلى والله سبحانه هو الأحد^٣.

(المقرة الثانية: لإفاضة الوجود)

(الصمد،^٤ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)

المعنى: يقول: جمع الله لنا أسرارَه، مدلاً على ما ذكره من أن الإنسان الكامل يسمع نطق الوجود بعد ما ذكر التكوين بالفيوضات: إن أول موجود من توحده سبحانه وتفرده، أمره الذي هو المشيئة وهي فعله وهي، على ما أرى، قديم الميم الذي كان عنه المحدث. وأول مخترع من قبل الأمر العقل الأول (فيكون هو محدث الميم) وأول منبعث من قبل الوحدة من الفعل هو النفس الكلية التي عنها كانت النفوس الجزئية، وأول محدث من قبل الوحدة من النفس الكلية جرم الكل الذي عنه كانت المكونات السماوية، ثم أفيضت الوحدة على المكونات المعقولة والمحسوسة فقامت قبلة الموجودات التي هي عبارة عن الكثرات من الأسماء والصفات بتوحد الأمر الأعلى، والله سبحانه هو المنزه عن أخلاط الكثرات ونقائص المكونات، المصمود لقضاء الحاجات لم يلد بإيجاد المكونات عنه، ولم يوجد عن غيره، بل هو واجب الوجود لنفسه. وقد مر بك أن امتداد النفس الرحماني عبارة عن الفيوضات التكوينية؛ فأول ممتد عن هذه النفس العقل ثم الباب ثم اليتيم... ثم... ثم الخ. وهذا الكلام كشرح لما تقدم، وما تقدم إجمالاً لما قالت الفلاسفة الإلهيون: إن

^١ المركبات جمع مركب: مفعول من ركب: وضع بعضه فوق بعض والمراد ما تركب من نوعين متباينين كالإنسان.
^٢ الوجدانية تعويض الكثرة.

^٣ الأحد قد يستعمل خاصاً بالله وهو مبالغة في الوحدة، والبالغ في الوحدة لا يكون فيه شوب كشرية بوجه من الوجوه، لا كثرة العدد ولا كثرة الأجزاء المقدارية ولا كثرة الأجزاء الخارجية من المادة والصورة، ولا كثرة الأجزاء الفعلية من الجنس والفصل، ولا ولا بهذا المعنى لا يوصف به إلا الله، ولهذه المبالغة خصصوا الأحد بمقام الغيب الذي ليس فيه كثرة ولا لحاظ كثرة، وقالوا: الأحد اسم لمقام الغيب الذي لا اسم ولا رسم كما أن الواحد اسم لمقام ظهوره بإسمائه وصفاته، ففي مقام الوجدانية هو متكرر بكثرة الأسماء والصفات، بحيث لا تتنظم وحدته بها وفي مقام الأحدية لا كثرة فيه البتة.

^٤ الصمد: محركة: السيد لأن الصمد بالسكون: القصد والسيد من شأنه أن يقصد، والدائم والرفيع والمصمت الذي لا جوف له. فمعنى الصمد أن الله في عين استجماعه لجملة الصفات منزلة عن جميع الكثرات لا تشويه كثرة من كثرات الصفات.

الوجود الواجب له مراتب: المرتبة الأولى غيبٌ مطلقٌ لا اسم له ولا رسم وهو الوجوب الذاتي. ومرتبته منه فعل الوجوب الذاتي وهو ظهور الأسماء والصفات، وهي عنوانٌ له بأسمائه الواحدية، فباعتبار كونها اقتضاء إيجاد العالم تُسمى بفعله، وباعتبار كونها موجوداً واحداً جميعاً تُسمى بالله. ومرتبته منه عالم المجردات ذاتاً وفعلًا ويسمونه العقول والأرواح والملائكة المهيمين، والصفات صفًا والعقول الطولية والعقول العرضية، وأرباب الأنواع وأرباب الطلسمات. ومرتبته منه عالم المجردات بالذات لا بالفعل ويسمى بالمديرات أمراً، وينقسم إلى النفوس الجزئية، يعني اللوح المحفوظ ولوح المحو والإثبات. ومرتبته منه عالم المثال وفيه البدء الذي ذكر بالأخبار. ومرتبته منه عالم الماديات من سماواته وسماوياته وعنصره وعنصرياته. وهذا العالم مجمع الأضداد ومورد المتخالفات. ومرتبته منه عالم الجنة والشياطين فإذا أردت عرفان هذه المراتب وفلسفة معرفتها مجملٌ فارجع لرأي السيد أبي عبد الله عن مواليه الكرام من أن الله سبحانه اخترع السيد محمداً ثم الباب ثم اليتيم ثم... ثم كما تعلم، وما لكل من هذه المفاعيل كما في ذكره للصفات الأربع والقدر الأربع ولا غيره باختلاف الأسماء والألفاظ باختلاف الأسماء بحسب اختلاف المفاعيل، ومفاعيل كل واحدٍ منهم منوعةٌ كما علمت وتعلم فيجب أن تكون أسماؤهم بحسب مفعولاتهم.

أسرار الأربعة

فإذا فهم ماقررناه فنقول: إنما كانت هذه الحقائق^١ الإلهية والكونية منحصرة في الأربعة لا أقل ولا أكثر لأن الأربعة أصلٌ في البسائط^٢ العددية والبسائط أصلٌ في تراكيب الأعداد إلى ما لا يتناهى والدليل على ذلك إن بسائط الأعداد من واحد إلى عشرة وليس في البسائط ما يجمع العشرة إلا الأربعة فإن الأربعة حقيقتها أربعة وفيها الثلاثة فكانت سبعة وفيها الاثنان فكانت تسعة وفيها الواحد فكانت عشرة وليس في الأعداد عددٌ يتضمّن العشرة غيرها^٣.

^١ كما تقدم هي الأركان الأربعة: الحياة والعلم والإرادة والقدرة. البسائط جمع بسيط ضد المركب، وبسائط الأعداد من واحد إلى عشرة لأنها غير مركبة بل كلمات مفردة.

^٢ لفلسفة الدين آراء في العدد كلها سديدة مُفلّحة

المضى: يقول: إنما الحقائق لذاتية الأربعة الحياة والطم والإرادة والقدره منحصرة في الأربعة أصل البساط العندية وكلها. فالبساط من الواحد الى العشرة وما فوقها مركب يرجع إليها، والأربعة هي العشرة لأن الأربعة بها الواحد والاثني والثلاثة والأربعة نفسها تكون عشرة وليس بها الأعداد ما يجمع العشرة غيرها، والعشرة كل العدد لأنك عندما تبلغ العشرة ترجع الى الواحد مع العشرة ثم الإثنى مع العشرة وهكذا الى آخر ما تظن والأعداد لا نهاية لها. وكذلك تفرع عن الحقائق الأربعة الإلهية الأربعة جميع الحقائق العقلانية والمادية وقد مر بك كلام عن العدد هذا ولما تقدم يحيط بمتبه الى الأسرار العندية فيجرك لتتبه الى الأنوار المعقولات وأسرار التكوين.

(البنات الأربع)

لهذا امر الطي والحكم القوي والحكمة الإلهية صلا هذا البيت المكرم والكرم المعظم مبنياً على قواعد أربع مطلقاً للبيت الوجودي الإلهي والعلم الخلق التكويني.

فاعلموا لغوالي رحمكم الله إن جنات الطول علم الكلمات. وجنات القوس علم الطول وجنات الطابع علم القوس وجنات المرفعت علم

فل (فيثاغورس) لوحدة بالعرض تنقسم الى ما هو مبدأ العدد، وليس هو دال على العدد، وفي ما هو مبدأ العدد وهو دال على العدد، كالجذر له في الإثنى أيضاً هو مركب من واحد وكذا كل عدد مركب من احد لا مطلقاً. وحينما يرتقي الى أكثر مرات نسبة لوحدة هي في كل، وفي ما ينزل من المركبات والبساط واحدة إما في الجس وإما في النوع أو في النقص كالجوهر في له جوهر على الإطلاق والإثنى في له إثنى والنقص النقص مثل زيد في له ذلك النقص بجهة واحدة، ثم تنك لوحدة من الموجودات فله وشرف كل موجود بجهة لوحدة هي. وكل ما بعد الكثرة فهو شرف. وقد جرت العند من المعهود تجريد الصورة عن المادة وبمثل في أن إنشاء العدد الإثنى، ثم السبط الأول والروح البسيط أربعة وهو المقسم بمنسولين، ولم يجعل الإثنى روحاً فيه ثم تضم في واحد كل قواعد داخل في العدد وسبع لثاني في العدد من اثنين. والروح لمسه من خمسة فكيف يكون معه. والقوة البسيط الأول ثلاثة، فل وتسم خمسة بنك وما وراءه فهو خمسة أصلاً لكل وسأ العدد الإثنى وهو الحكم باعتبار أن فيه اعتباراً من حيث ذاته، واعتبر من حيث مدحه. والمحدود الذي فيه ثلاثة هو القوس وذلك على الاعتبارين اعتباراً ثانياً، والمحدود الذي فيه أربعة هو الضميمة وذلك على ثلاثة أبعاد وثم الضميمة وما بعده من المرفعت لجنات جمع حدة وقد عرفت حجة سبعة

المبسط، وكل عالم فوق عالم فهو (في جنّة عليّة طولها دقيقة) وحورها (حور مصورات في الخيام) وولادتها (ولدان مخلّون) مخلّون على الدوام فهذا ما رأينا إلهه في هذه المقنعة الثنية وانه الهادي من بشاء إلى صراط مستقيم.

المعنى يقول: إن لهذا السر العدي المذكور أنفاً صار هذا البيت الشعبي مبنياً على قواعد أربع هي معرفة إثبات وجود المعنى القديم ومعرفة الاسم العظيم ومعرفة السبب الموصول ومعرفة حقيقة الإيمان. وهي قواعد هذا الكتاب الأربع فهو على مثل البيت الإلهي التكويني المبني على الأركان الأربعة: الحياة والعلم والإرادة والقدرة التي كان بها التكوين كما مر بك مطلقاً للبيت المحجوج. والأربعة هي البساط العندية، والفيض عنها سائر الأعداد المركبات كما مر كذلك هذه الأركان الأربعة للفيض عنها بتزلات الوجود سائر المكونات فهي جنّة لما أفيض عنها، وما أفيض عنها جنّة لما أفيض عنه، وهكذا.

خلاصة (المقرة) الثانية

المقدمة الثنية هي معرفة أن البيت الإلهي مصدر التكوين يتنزل الوجود مبني على أربع قواعد ولهذا السر صار البيت الشعبي مؤسساً على أربع معارف مطابقاً

عن: فردوس: النعم، المولى، الحكمة، دار السلام، دار النعمة، وبرح يصعد بها أبواب الجنة ولا حذاً أربعاً باعتبار القوائم الأربعة التي تكره كل علم حسه لعمه الذي فوقه. القول علم القول الطولية وعلم القول العرضية أصل الكلمات: الولاية وكل الكلمات من القول والعوس والاشباح التورية والاشباح الظلمانية والصورات والفيض الكلية أصل تلك الكلمة وكذلك تسمية التي هي نفس الرحمن وأصنافه الإترقية وقرب المصنف باعتبار نطقه بالمخرج ثمينة التي هي لأعلى ثلثة (نعمات التورية) والسميت الاعتبارية كلمة تسمى بالفيض توحده وكلمته باعتبار نطقه قبل له في معه وحدة طلبية وبالكلمات وحدة اعتبارية والصفته. وقد مر بك أن الكلمة لا تحصل لها بتكلم الصمنية ولا غيرها.

العوس تسمى القوائم وهي العوس الكلية والعوس الجزئية لصور عنها بالمتنوعات أمراً الطبع ثلث القوائم التي وجودها وجوداً ظاهرياً مادي وقد مر بك أنه لها هي التي كسول عالم الدور منها.

المركبات جمع مركبة: النوع المركب من نوعين متبنيين. المبسط جمع مبسط ضد المركب وهي الأمور التي فوق العرضية دون المحركات. القوم جمع حوراء لا يقصد بذلك حور عبيها. المصورات جمع مصورة المرأة المصورة في البيت لا تشترك في المخرج منه، ومنه حور مصورات في الخيام. القوائم جمع وليد: المعنى.

للبيت الكوني المحجوج وهذه المعارف الأربع أركان البيت الشعبي هي مجموع كتابه قسمه الله أو جمعها كتابه جميعها وأركان البيت الإلهي الذي هو التجلي لأهل اليقين الثاني الظاهر بمظهر الاسم الخالق هي الحياة والعلم والإرادة والقدرة واللواتي هنّ أداة العمل في المكونات كلها. ولهذه الأركان الأربعة لوازم ثلاث هي: القول والجود والقساط وهنّ تتّمامت وشروطاً للأركان الأربعة، يظهر تمام أحكام المكون وأثار أفعاله فإن كل فعل لا يكون إلا عن ذي حياة عالم شيئاً في نفسه مريد أن يفعل ذلك الشيء ويكون قادراً على ذلك الفعل فيكون بذلك كالأمر نفسه بإظهار الفعل ن فحينئذ تكون حضرت جميع المؤهلات للفعل. ففي إيجاد الله سبحانه للأرواح الكلية يكون قوله سبحانه (كُنْ) ركناً يستند عليه الإيجاد والقدرة تنمّ للإيجاد وشرطاً، لأن الإيجاد لا تتم إلا بالقدرة وإيجاده للأجسام الكلية بالعكس تكون القدرة هي الركن الذي يستند عليه الإيجاد والقول تنمّ له وشرطاً لأن الأجسام تحتاج الى مادة تتكون منها ومدة زمنية تتكون فيها وذلك بالنسبة لما فوقها خلافاً للأرواح الكلية فإنها غير محتاجة الى مدة ولا مادة ولذلك كانت كلمة (كُنْ) الأمرية ركناً في إيجادها. وقد تخصّص كلمة الخلق بما يحتاج الى مادة ومدة كالمواليد، والإختراع بما يحتاج الى مادة دون مدة كالسموات والعناصر، والإنشاء بالمتغيرات المجردة عن المادة (إنشاء أنشأناهم إنشاءً) والإبداع بالمجردات عن الكل والجود شرط ظهور أثر القول في كل ذلك الإيجاد جميعه جوّد منه سبحانه، وإفاضة الوجود في اختيار الله سبحانه وحكمه وأمره الذي كان به الإيجاد الصادر من مرتبة الإلهية التي هي التجلي لأهل اليقين الثاني وكل ذلك بسراية مفاتيح الخزائن الغيبية وهي الحياة والعالم والإرادة والقدرة. وأما القسط فهو شرط في صحة الإيجاد ليكون التكوين في كل شيء بحسب القابل لظهور هذه الأسماء الذاتية في باطنه من وراء ظاهره الذي يصدر عنه الفعل وصنور الفعل هو حقيقة من الفاعل الظاهر بباطن الفاعل الذي صدر عنه الفعل، وهو مظهر هذه الأسماء الذاتية التي هي الحياة والعلم والإرادة والقدرة بصورة تقبل حكم الله وأمره الإيجادي ليكون هذا الفاعل المتجلي من وراء ظاهر هذه الصورة الإيجادية عين الحق سبحانه من حيث اسمه الباري في اللوح المحفوظ، وكما تعلم أن أسماء الله هي الفاعلة في جميع المكونات فالهدي من اسمه الهادي والرحمة من اسمه الرحيم وهكذا.. ولكل من هذه الأركان الأربعة مظهر خاص به صورة روحانية مجردة مع اشتماله على آثار ومفعولات البواقي من الأسماء. وهذه المظاهر

هي اسرافيل وجبريل وميكال وعزريل فكان اسرافيل مظهراً لركن الحياة الكلية العلوية والسفلية ولذا كانت الحياة الأبدية متعلقةً بنفخة اسرافيل الثانية بالصور الذي هو مجمل الطبيعة العلوية والسفلية يعني منه مدد الحياة السارية في المكونات ولذا قيل: إن بالصور أنقأاً بعدد الخلائق فأولى نفخته تكون بإصعاد النفخ لإرجاع المنفوخ فيه من ظاهر حسه الى باطنه أي بيئته عن حياته الطبيعية راجعاً الى أصلها الأخروي، أي أنه نفخ فكانت المكونات عنه كما يخرج النفس من النافخ ثم أرجع النفس فكانت إماتة المكونات عن حياتها الطبيعية بإحيائها في الحياة الأخروية. فيخرج النفس كانت المكونات وبارجاع النفس عادت الى أصلها. ثم يتدنى حكم ظهور الحياة الطبيعية الدنيوية في النشأة الأخروية. قال تعالى (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) (سورة الزمر: من الآية ٦٨) بإماتتهم عن ظواهرهم، ثم نفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون (إحياءهم ببواطنهم) وأشرقت الأرض بنور ربها فلهذا كان اسرافيل مظهراً لركن الحياة مع اشتماله على خواص البواقي من الأسماء الذاتية: العلم والإرادة والقدرة. وكان جبرائيل من اللوح المحفوظ مظهراً لركن العلم فلهذا كان حاملاً للوحي ومعلماً للأنبياء وواسطة لتكون عيسى (كلمة الله أقامها الله الى مريم) فكان له جهتان وحكمان وهما العلم والقول الذي هو الأمر كما لأسرافيل جهتا الحياة والقدرة وكان ميكائيل مظهراً لركن افراة، فإنه مرتب لما فيه بقاء كيان الخلق من الرزقين المعنوي كالعلم والجاه والصوري كالمال والمآكل وما أشبه. وكان عزرائيل مظهراً لركن القدرة بقهر الجبابة بالموت غير مدافع ولا ممانع، وكما أن جميع الحقائق الإلهية والكونية من توابع هذه الأسماء الأربعة الحياة والعلم والإرادة والقدرة، فكذا جميع الأرواح من توابع هذه الملائكة الاربعة إلا القلم العلي الذي كتب به المكونات في اللوح المحفوظ (وهو على ما أرى تجلي الحق كصفة اسمه) والمهية وهم الملائكة المخلوقون من العماء فوق القلم على رأي ابن عربي (ويكون تجلياً إلهياً كذلك) وعند المؤلف المهية هم المشيئة والفطرة والعلم والقدرة واللطف الخفي وكلها تجلياته سبحانه ولكل واحد من هذه الأربعة: اسرافيل وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل ظلٌ يمثلُه: فالظل الأول العقل الكلي. والثاني النفس الكلية والثالث الكلمة الكلية والرابع الصورة الكلية، ولكل من هذه الظلالات صورة طبيعية: الحرارة الكلية، الرطوبة الكلية، البرودة الكلية، البيوسة الكلية. ولهذه الصور أربعة عوالم:

عالم للمعدن، عالم النبات، عالم الحيوان، عالم الإنسان والجن.

والإنس والجن قسمان: قسم منحرف غافل. وقسم معتدل عاقل مخلوق على مثال الصورة الجامعة الصور الكلية، أي على مثال صورة الله فهو خلاصة المكونات علويها وسفليها والظاهر فيه جميع المكونات علويها وسفليها، كما مر، وهو الناطق عن الجميع بجميع الألسنة المعنوية والحسية والسامع نطق الجميع. وذلك أن لكل شيء جهتين جهة ملكوتية يتجه بها إلى الله، وجهة ملكية هي ظاهر محسوسة المرئي، فلا يُصَوَّر من الإنسان الغفلة عن حضرات الوجود كلها بل يغفل عن حضرة ما دون بقية الحضرات وغفلته من جهة تعقله فقط لا من جهة استعداده للتعلل لأن الجميع موجودٌ به، فهو بناسوته التركيبي جامعٌ لجميع الصور العنصرية، وبخياله جامع الصور الغيبية المجردة وهو بما به من عالم الجبروت وبروحانيته جامع الخصائص وهي المفاضة عليه من عالم الملكوت وبحقيقته جامع الجميع ووبرزخيته جامع بين جميع العوالم لأن البرزخ الحد ما بين عالم النور وعالم الظلمة. ولما لم تخل حقيقته من الحقائق من كمال يناسبها وكانت الحياة شاملة الجميع كان الاسم الحي شامل الجميع. ولما كان العالم متعلقاً بمعلومات مفصلة والإحساس للحياة كان العالم داخلياً في الحياة، ولما كانت الإرادة من خصائص العلم كانت الإرادة داخلة في العلم، ونائشة منه، ولما كان القول يتضمن معنى مُراداً كان داخلياً في حكم الإرادة، ولما كانت القدرة تُمكننا من التأثير في الفعل كانت داخلة في حكم القول ولما كان الجود هو التمكن من قبول اقتضاء الإيثار كان داخلياً في حكم القدرة، ولما كان الأساط لإيثار قسط كل ماله قسط استعدادي يقبل من الجواد ما يؤثره دخل في الجود ومجمع الجميع من هذه الأسماء الاسم (الله) فلأن الحقيقة التي هي عين التعيين الثاني لظاهر كلمة الاسم (الله) والاسم الحي جامعها من حيث طلب الكمال المستوعب، والعلم من عموم التعلق والمريد من حيث طلب الكمال والقائل من حيث كل واحد تعيين النفس الرحماني، والقادر من حيث صحة إفاضة تمكن التأثير إلى كل تأثير إلى الكل، والمقسط من جهة رعاية كل حكم التوسط بين قيام الوحدة الحقيقية والنسبية إليه، ولكل من هذه الأسماء جهتان: إحداها اشتمال كل منهما على الباقي مع تحقيق أثر من التمايز كما ذكر من كون البرزخية الثانية واقعة في التعيين الثاني ووجوه نسبته إلى الأبدية. وثانيتهما عكس الجهة الأولى، أعني

ظهور أثر المختص بكلٍ منهما مع أثرٍ خفيٍّ من الاشتمال المذكور فتميزها بحكم تفصيل البرزخية وحكم وحدتها واشتمالها. والذي عرفنا إياه من تنزل الوجود من الصفات الأربع ظلالاً وصوراً وأشخاصاً أربعاً فأربعاً مشيراً إلى رتبة الفرق ثم أراد أن يعرفنا الوجود من جهةٍ أخرى من جهات الفرق فقال:

إن أول ما ظهر من امتداد الوجود العقل الأول (الحجاب) ثم النفس الكلية (الباب) ثم الطبيعة المطلقة (اليتيم الأكبر) ثم الهيولى (اليتيم الثاني) ثم الجسم (اليتيم الثالث) ثم فلك الثوابت (اليتيم الرابع) ثم السماوات السبع وما فيهن من العناصر والولدان (اليتيم الخامس).

ثم عرفنا تنزل الوجود من جهة الجميع فقال (وإن شئت قلت إن الله سبحانه تنزل بالوحدة التي هي عين ذاته ثم أفاضها على مكوناتها) بالترتيب المذكور فإذا فهمت ما قرره في هذه المقدمة علمت أن الحقائق الإلهية الحياة والعلم والإرادة والقدرة، منحصرة في الأربعة لا أقل ولا أكثر لأن الأربعة أصل البسائط العددية من واحد إلى عشرة لأنها غير مركبة من كلمتين، والأربعة تجمع العشرة لأن فيها الواحد والإثنين والثلاثة والأربعة فالجميع عشرة فلهذا السر العددي في الأربعة الذاتية صار هذا البيت الشعبي مبنياً على قواعد أربع مطابقاً للبيت الوجودي الإلهي المذكور (تنزل الوجود) وإتماماً لما في الأربعة من السر قال: إن جنات العقول عالم الكلمات، وجنات النفوس عالم العقول، وجنات الطبائع عالم النفوس، وجنات المركبات عالم البسائط، وكل عالم جنّة عالية حورها مقصورات في الخيام وولدانها مخلصون على الدوام. وإذا لم أقدر بعد على إفهامك البيت الإلهي وأركانه ولوازمها، فإني أضرب لك مثلاً لعله يعينك على تفهم هذا البيت الذي معرفته هي المعارف الإلهية كلها تصور هذا البيت بيتاً عادياً للسكن واجعل أركانه الأربعة هي أركان البيت الإلهي الأربعة الحياة والعلم والإرادة والقدرة، واعلم أن هذا البيت العادي يحتاج في بنائه إلى لوازم هي أدوات تعيين على قطع أحجاره وتربيعها ونحتها (كالهادور) والأزميل والمشط واجعل هذه الأدوات الثلاث التي ذكرت القول الذي هو كُن الأمرية والجود والنصيب والقابل، فهي ولا شك تنمّة وشروط في أحكام بنائه وتصور أن (الهادور) هو كُن المرية والجود هو المشط والنصيب هو الإزميل (فالهادور) عندما يريد قطع الحجر للبناء من صخرة كبيرة يكون هو

القدرة التي يستند عليها قطع الحجر من الصخرة والإزميل والمشط الكفيلان بتربيعها وتحسينها تنمة في ذلك وشرطاً، لأن الهادور لا يعمل عملها وعندما نريد تربيع الحجر ونحتة ليكون صالحاً للبناء يكون المشط ركناً يستند عليه تحسين الحجر وتزيينه (والهادور) تنمة له وشرطاً، لأن الحجر لا يكون صالحاً لاستعمال المشط والإزميل إلا بعد فصله عن الصخرة بواسطة الهادور، والإزميل الذي سميناه النصيب والقابل شرط في صحة البناء لتربيع الحجر وتصوره. إن هذه الأفعال التي تظهر من البناء بواسطة (الهادور) والإزميل ليست فعل أعضائه الظاهرة بل بواسطة قوة كامنة في باطنه وهذه القوة الباطنة التي كان بها العمل هي مظهر لتجلي الحق سبحانه من حيث إسمه الباري في اللوح المحفوظ الذي به كل الأسماء وسائر الأشياء. تمثل هذا في مخيلتك وقس على بناء ذلك البيت العظيم البيت الصغير والسقيفة وهكذا بحسب تنزل الوجود على مثل ما ذكر قدسه الله، تعلم ما اراد من بناء البيت الإلهي من أركان أربعة، وما أحتاج البناء من لوازم وتتمات هداًنا الله وإياك للمعرفة التامة الموجبة لحسن القبول التام...

القاعدة الأولى

في بيان معرفة وإثبات وجود المعنى (القديم) وظهوره بزاته ووجوده لخلقته

التنبيه الأول

في بيان معرفة إثبات وجود المعنى (القديم من طريق الاستدلال عليه بالوجود.

وظهوره بزاته لخلقته

اعلموا أخواني أيديكم الله يروح منه إن حق اليقين في إثبات وجود المعنى القديم أن يستدل عليه بالوجود، الذي هو جنس الأجناس وهو المعلوم ثم المذكور ثم الشيء^١ وهو الجنس^٢ الأعم الذي لم يخرج منه معلوم ولا مذكور أصلاً لا خلق

^١ الشيء عبارة عن موجود إما جساً كالأجسام وإما معنى كالأقوال وهو مذكور يطلق على المذكر والمؤنث، ويقع على الواجب والممكن، وقد يطلق الشيء ويراد به وجوده فلا يشمل الحق الأول ولا حضرة الأسماء ولا حضرة العقل الذي هو مبدأ إضافته ويشمل الممكنات من حضرة العقول المعبر عنها بالأقلام العالية والملائكة المقربين.

^٢ الجنس: ما نعم كثيرين، وعند المنطقيين هو المقول على كثيرين مختلفين في الحقائق في جواب ما هو وله معانٍ عديدة.

ولا حق ولا ممكن ولا واجب ولا محال إلى أن ينتهي إلى النوع الأخير الذي لا نوع بعده إلا بالصفات وتظهر أعيان الأشخاص.

المعنى: يقول : بعد أن علمنا أن البيت الإلهي مبني على أركان أربعة ، الحياة والعلم... الخ أن هذا البيت المكرم والحرم المعظم صار مبنياً على أربعة أركان هي قواعد كتابه الأربع. والأصول التي صدرت عن الأركان الإلهية بتنزل الوجود أربعاً فأربعاً، ومراتب اليقين أربع وحقائق العدد أربع والجنات بحسب العوالم أربع، وكل هذه الأربع التي هي كل شيء، شرحها شرحاً وافياً. كما مر بك. وهذه القاعدة الأولى من قواعد كتابه الأربع خصيصة.

بمعرفة الله سبحانه من طريق الاستدلال عليه بالوجود الذي يضم جميع أجناس المكونات المعلوم منها عقلاً وبصيرة ثم المذكور منها علماً ومعرفة فهو الشيء الذي يطلق على كل شيء، فإن الوجود هو الجنس الأعظم الذي لا يخرج عنه لا خالق ولا مخلوق ، ولا ممكن (والمراد به عوالم النور) ولا واجب غير متغير عن كيانه (والمراد به حضرة الحق سبحانه) ولا مستحيل ولا متغير من الاستواء إلى العوج (والمراد به عالم البشر) فالوجود هو الأشياء كلها من هنا إلى النوع الآخر وهو العقل الأول الذي لا نوع بعده إلا معناه، ومعناه لا يعرف إلا بالصفات وتجليه بالأشخاص. ولا عبره. فيما ذكر. من تحيد الشيء أنه لا يشمل الحق الأول، فهذا عند التنزيه وإلا فقد أتى عن الصادق والشيخ وغيرهما أن الشيء يطلق على الحق الأول وغيره.

وهو عبارة عن شخص واحد في الخارج به يكون الشيء هو ما هو وهو هو لذاته فلا هو ولا هو أي هو النفس ماهية وقيل الوجود هو ما به وجدان صورة كل تعيين منه نفسها ومثلها موجوداً وروحانياً ومثاليًا وجسمانيًا ظاهراً في كل مرتبة بحسبه وحكمه فإن الموجود في مرتبة الأرواح لا يجد نفسه ومثله

النوع بالفتح كل ضري من الشيء وكل صنف من كل شيء، وهو أخص من الجنس وجمعه أنواع. الروحاني بالضم نسبة إلى ما فيه روح وكذلك النسبة إلى الملائكة والجن. وألف والنون زائدتان لأن النسبة إلى الروح روعي. وهي سماعية لا يقاس عليها إلا إذا أريد بها الدلالة على عظيم المنسوب، كالصدراني، عظيم الصدر، وقد مر بك أن الأرواح عالم قائم بذاته. الجسماني بالكسر المنسوب إلى الجسم والجسمان وهو من كلام المولدين. وسيمر بك أن الجسمانيات غير الأجسام في غرفهم.

إلا جسمانياً محسوساً. وقيل: الوجود هو الذي يشمل الثبوت بكل اعتبار حتى يدخل فيه العدم الإضافي وليس هو معروض للماهية حتى يكون عرضياً بل الماهية هي عرضاً في الوجود.

المعنى: يقول: إن الوجود عبارة عن شخص خارج عن غيره متحيز بنفسه وبهذا الشخص الذي هو الصورة المشار إليها يكون الشيء هو الشيء ولكنه ليس هو لذاته لأن ذاته هي القوة الإلهية القائمة به فلا هو ما هو لأنه عين ذاته وهو هو ولا هو هو لأن الشيء المتحيز هو غير نفسه وحقيقته نفسه وهي غير ماهيته المادية. وقيل إن الوجود ما به وجود جميع الأنواع بكل اعتباراتها ومراتبها: روحانية ومثالية وجسمانية (قد مر بك تقسيم العوالم) من أول مخترع إلى أن يدخل الوجود في العدم اضافي (آخر المكونات) وهو هذا المحسوس، والمحسوس لا هو موجود بحقيقة معنى الوجود ولا معدوم بحقيقة معنى العدم. غير أن الموجود في كل مرتبة لا يجد نفسه ولا مثله بالنسبة إلى الأعلى منه إلا جسمانياً محسوساً وليس الوجود عرضاً للماهية كما توهم بعض الحكماء يقوم بها كالجسم يقوم بالروح فيكون لولا الماهية عدماً، بل الملهية التي تضم كل معقول وحسوس عرض بالوجود تقوم به وهو جوهرها (وقد تقدم بالمقدمة عن الوجود ما به كفاية وغنى) وهذه الجملة (هو ما هو) بها تشويش معشى فصحتها كما رأيت إستناداً على تحديدهم الماهية ولعلها استقامت.

الماهية تبحث عن حقيقة الشيء وحقيقة الشيء تُعرف بالحد والرسم وذلك أن الأشياء نوعان مركب وبسيط، فالمركب مثل الجسم والبسيط مثل الهيولي والصورة. والأشياء المركبة تعرف حقيقتها إذا عرفت الأشياء المركبة منها. مثال ذلك: إذا قيل ما حقيقة الطين؟ فيقال تراب وماء وعلى هذا القياس. ويسمى مثل هذا الوصف حداً، فقد قالوا في حد الجسم إنه الشيء الطويل العريض العميق. فقولهم الجسم إشارة إلى الهيولي وقولهم الطول العرض والعمق إشارة إلى الصورة. وهكذا قولهم في حد الإنسان إنه حي ناطق مانت، فالحي الناطق النفس والمانت الجسم قيل ما حقيقة الهيولي؟ فقال: جوهر بسيط قابل للصورة لا كيفية فيه البتة. وإذا قيل ما الصورة؟

فيقال هي التي يكون بها الشيء ما هو. فمثل هذا الوصف تسميه الحكماء الرسم، والفرق بين الحد والرسم أن الحد مأخوذ من الأشياء التي المحنود مركب منها، والرسم مأخوذ من الصفات المختصة بالمرسوم وفرق آخر أن الحد يخبرك عن جوهر الشيء المحنود ويميزه عما سواه.

تحديد الوجود

وقيل الوجود من حيث هو غني عن التحديد والتعريض لوضوحه وظهوره عند الذكي والبليد والغوي^١ والرشيد وتصوره^٢ بديهياً^٣ فطرياً^٤ إذ لا يفتر أحد في إدراكه إلى دليل من خارج ولا إلى سلم ومعارج لأن كل أحد غير غائب عن وجوده الخاص به وهو الذي يشير إليه كل واحد بقوله (أنا) وهو أنانيته الذي يشير إليها غيره ولهم هاهنا قياس يقيني وبرهان نظري لا يشك فيه عاقل لبيب وهو قول القائل تصور وجودي بديهي^٥، فالوجود جزء منه وتصور جزء المتصور بالبدئية بديهي^٦ فالوجود بديهي وهو من حيث مفهومه لا جزء له ولا أعم منه فلا جنس له فلا فصل له^٧ فلا حد له^٨ ولا لازم^٩ أظهر منه فلا رسم^{١٠} إذ إن الحد عبارة عن الجمع بين الجنسين والفصل وليس للوجود جنس أعم منه حتى يضاف إليه فصله فيحصل منه الوجود والرسم عبارة عن تعاريف الشيء الحقيقي الواضح من الوجود ولا أظهر منه ولا أشهر حتى يعرف به الوجود ولكن إذا ذكر لفظ الوجود المعجمي ولم يفهم بدله بالعجمية ليفهم المراد باللفظ.

المعنى: يقول: إن الوجود الذي يستدل به على الموحد من حيث هو على ما هو عليه غني عن أن يعرف أو يحدد لوضوحه للعالم والجاهل لأن الوجود يعلم

^١ تصور الشيء توهم صورته وتمثلها وعند المنطقيين هو إدراك المفرد، والتصديق إدراك النسبة، وعند ابن سينا التصديق هو العلم الأول ويكتسب بالجد أو ما يجري مجراه مثل تصديقنا أن لكل

مبدأ:

لذا بديهي لهم كمنسب

تصوري تصديق أهل النهي

^٢ البنية المفهوم المعلوم من دون تفكر، وهو ما لا يتوقف حصوله على كسب ونظر. الفطري: المنسوب إلى الفطرة وهي الخلقة التي خلق المولود عليها في رحم أمه، والجبلة المهيأة لقبول الدين.

^٣ الجنس ما يعم كثيرين وعند المنطقيين هو المقول على كثيرين مختلفين في الحقائق في جواب ما هو وله معان عديدة وهو كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان والفرس وغيرهما.

^٤ الفصل الفرق ما بين شئين وعند المنطقيين الفصل كالمصالح بالنسبة للفرس.

^٥ الحد الفاصل ما بين شئين كالبرزخ بين البحرين وهو المحيط بمعناه المميز عن غيره.

^٦ اللازم اسم فاعل من لزمه تعلق به وعند المنطقيين اللوازم ثلاثة: لازم ذهني وخارجي، كقابل الكتابة والعلم للإنسان، وخارجاً فقط كالسواد للغراب والزنجي، لازم ذهني فقط كالبحر للبحر.

^٧ الرسم آثار الديار ونحوها، وعند المنطقيين الرسم قسمان: تام وناقص، فالرسم التام هو الذي يتركب من جنس الشيء القريب كقولنا في تعريف الإنسان: ماش على قدميه، عريض الأظفار.

^٨ بادي البشارة مستقيم القائمة ضحاك بالطبع، المعجم: المبهم.

بدهاءة ولا يفتقر أحد في إدراك الوجود الى أسباب ومسببات لأن كل أحد ليس بغائب عن كيانه الخاص به، وللعلماء قياس على إثبات الوجود لا يُشكُّ به وهو أن تصور الوجود بالبداهة بديهى وإذا تصور بالبداهة شيء فهو ولا شك شيء بديهى فالوجود بديهى، والوجود من حيث مفهومه عام لجميع الأجناس فلا جزء له لأنه لا شيء أعم منه، ولا هو الجنس المختص بنوع من الأنواع ولا هو فصل يميز نوعاً عن آخر، ولا هو حدٌ فينفرد به الجنس والفصل ولا لازم فتتفرد به الصفة الملازمة للموصوف ولا هو رسم جنس، فينفرد به الشيء المبين الواضح من الوجود عن الشيء الغائب ولا هو مختص بشيء نون شيء بل يعم جميع الأشياء كما تقدم. فذكر لفظ الوجود مبهماً بغير تعريف وتحيد بنوع من الأنواع ليُفهم أن المراد بهذا اللفظ المبهم سائر الموجودات والمعقولات.

النقص والكمال

فإذا الوجود هو الأمر الذي لا تخرج عنه حقيقة من الحقائق الموصوفة بالوجود ولا يوصف ولا ينعت ولا يُسمى ولا يُحد ولا يوسم إلا بالنظر إلى ذاته سوى أنه وجود ولم يوصف أيضاً بالوجود إلا بالنظر إلى الموجود والله در القائل شعراً:

وجود وحسبي أن أقول وجود	له كرم منه علي وجود
تنزه عن نعت الكمال لأنه	لمعنى اعتبار النقص فيه يقد
ولكنه فيه الكمال وضده	له منه والمجموع فيه صمود ^١

المعنى: يقول: إذن إن الوجود هو الشامل لجميع الأشياء ولا يدخل تحت نعت أو سمة أو رسم أو حد لأنه يعم جميع الموجودات، ولا يعرف بالنظر الى ذاته سوى أنه وجود. ومعنى هذه الأبيات: وجود وحسي... من تعريف الوجود وإكباره أن أنطق لفظة الوجود فوجودي الذي أنا عليه كرم وجود من الوجود المطلق (وهو الحق سبحانه) والوجود بحد ذاته منزّه عن نعت الكمال لأن الكمال لا يكون إلا بعد النقص، ولكن الوجود لجمعه الموجودات مطلقها ومقيدها مجردها ومحسوسها يوصف بالنقص والكمال باعتبار ظهوره بالموجودات (كما يوصف بالعجز

^١ الصمود جمع صمد وتقدم أن له معناه المنزه عن جميع الكثرات.

والمعجز) وكلهما كمال ومعجزٌ كما سيجيء والوجود مع جمعه جميع الصفات منزّه عن جميع النقص والكثرات (وهو معنى الصمد) جاء في شرح رسالة الأسفار لابن عربي: بقدر ما ينقص من النور في وجه البدر يزيد في الوجه الآخر، ويقوم ما نقص من الوجه البدري، فكل ما نقص من البدر أخذه الباطن أعني المحق، على ميزانٍ مخصوصٍ، وهكذا الليل والنهار وهما الظاهر والباطن، وكذلك المقادير فإنك إذا أخذت شمعةً ومددتها بقدر ما يزداد بطولها ينقص من عرضها، فسبحان من جعل العالم علامةً عليه لأنه خلقه على صورته هذا بالكمال الذاتي، وأما الكمال الصفاتي فإن كماله بوجود النقص فلولاً النقص ما صح الكمال للكمال قال أحدهم:

وأنّي لأهوى النقص من أجل من أهوى لأن به كان الكمال لمن يدري
وما جاء بالنقصان إلا مخافةً من العين مثل البدر في آخر الشهر

الى قوله:

فلو لم يكن في الكون نقصٌ محققٌ لكان وجود الحق ينقص بالقدر
فبني كان للحق الإله كماله مع النقص فانظر ما تضمنه شعري

وسياتيك الكلام عن العجز والمعجز، ومنه تعلم حقيقة قولهم إن العجز من القادر قدرة والنقص هو الكمال. غير أن الفلاسفة قالوا: إن الحق الأول الأزلي لما كان هو الغاية والكمال فلا يفعل فعلاً لغاية دون ذاته، وإلا فتكون الغاية والكمال هي الحامل والأول محمولٌ وذلك محالٌ فالحكمة في فعله وقعت تبعاً لكمال ذاته، وذلك هو الكمال المطلق في الحكمة وفي غيره من المتوسطات وقعت مقصوداً للكمال المطلوب.

الإطلاق والتقييد

وليس في الوجود موجودٌ بوصف بالإطلاق^١ إلا وله وجهٌ إلى التقييد وله من حيث تعينه^٢ من تعقل^٣ متعقل^٤ ومتعقلين. وكذلك ليس في الوجود موجودٌ محكومٌ عليه بالتقييد إلا وله وجهٌ إلى الإطلاق لكن لا يعرف ذلك إلا من عرف الأشياء معرفةً تامةً بعد معرفة الوجود ومن لم يشهد ذوقاً^٥ لم يتحقق بمعرفة الحق والخلق.

المعنى: يقول بعد تحديده الوجود كما رأيت: إنه ليس في الوجود بجميع مراتبه موجودٌ بوصف بالإطلاق (عديم التحديد) إلا وله وجه التقييد ولو كان تقييده من جهة تعينه وإفرازه عما سواه بواسطة تعقل الرجل المتعقل المدرك، وبالعكس فليس في الوجود موجودٌ مقيد إلا وله وجهٌ إلى الإطلاق كالإنسان مثلاً فإنه مطلقٌ من حيث عقله ونفسه الروحانيان ومقيدٌ من حيث تركيبه المحدود، وكل مرتبة من المراتب النورية مطلقةٌ من حيث لا حد ولا كيفية ومقيدةٌ من حيث تحديدها عقلياً وخيالياً، حتى حضرة الحق سبحانه مطلقٌ من حيث لا نهاية ولا كيفية ولا ولا قيد. وتعالى الله. من حيث تنزلاته الوجودية بمظاهر أسمائه وصفاته، لكن لا يعرف ذلك التقييد والإطلاق معرفةً تامةً في جميع الأشياء إلا من عرف جميع الأشياء معرفةً تامةً، ومن لم يكن صوفياً متحققاً بالبصيرة وناظراً بها لم يكن متحققاً بمعرفة الحق والخلق وهذا تمهيدٌ لما سيُعرفك إياه من الحق والخلق والخلق والحق.

الرب الحق والعبر الخلق

واعلموا أخواتي وفقكم الله لمرضاته وأداء مفترضاته إن الحقيقة والخلقية والربوبية والعابدية والمعبودية للموجود الحق الذي هو هو في جميع هذه النسب

^١ الإطلاق التعميم دون التقييد.

^٢ التعين مصدر تعين الشيء وعينه خصصه من الجملة.

^٣ التعقل مصدر تعقل الغلام إذا أدرك.

^٤ الذوق الطبع وأصله تعرف الطعم ثم كثر حتى أصبح عبارة عن كل تجربة وعند المادة الصوفية هو إفاضة المواهب الإلهية كما يفهم من كلامهم.

^٥ ولأنك ممن طيبتة طروسه بحيث استخفت عقله واستقرت

فهم وراء النقل علم ينق عن مدارك غليات العقول السليمة

تلقته عني ومنى أحنته ونفسي كانت من عطائي ممتدي.

ذاتي فلا تحصر العين والغير المنحصر لذاته في حقية وخلقية فإنه حق فهو حقاً خلقاً، فإذا نظرتم إلى الرب الحق فلا تغفلوا عن العبد الخلق الذي لا انفكاك له عن عينه. وإذا نظرتم إلى الخلق فلا تحصروا في كونه سواه فهو من حيث وجوده الحق عين ربه الحق مع قطع النظر عن وجود ربه نسبة عدمية تعيينية فالوجود الحق كسوته التي بها ظهوره في الوجود.

المعنى: يقول : إن الحقية والخلقية والربوبية والعبودية والمعبودية، وإن كانت في مظاهرها متناقضة، هي جميعها للوجود الحق الذي هو أحدى الذات في ظهوره جميع هذه النسب، لم يزل عن كيانه بظهوره بها، فلا تحصر الذات العلية غير المنحصرة في مظهر من مظاهر الحقية والخلقية، فإنه تعالى باعتبار مظاهره وتجرده عن المظاهر حق خلق؛ حق بحقيقته الحقية، والحق بحقيقته الحقية. كما يقتضي الوجوب الذاتي، يقتضي الإحاطة بجميع الأشياء، والعلم بالكل على السواء، وعدم ممانعة شأن من الشؤون ولا وصف عن وصف، ولا علم عن علم، فهو حق من هذه الجهة، خلق من جهة مظاهره التكوينية. سبحانه من أظهر الأشياء وهو عينها فلا تنظر إلى الرب الحق غافلاً عن وجوبه الذاتي في مظهر العبد الخلق الذي هو إفاضات الأسماء الإلهية عليه، وإذا نظرت إلى العبد الخلق فلا تحصره مفرداً لنفسه عن مدد ربه الحق، لأنه من حيث وجوده الحقي الذي هو محبة أنوار الحق عين ربه بقطع النظر عن هذه الحالات البشرية والنسب عدمية، والإفرازات الوجودية.

الحق في الخلق خلق والخلق في الحق حق

فالله سبحانه واحداً في ذاته وصفاته وأفعاله، والفعل لا يصدر من غير صفة والصفة لا تفارق الموصوف فالفعل متحد والصفة متحدة والمتصف بها واحد والأشياء كلها قائمة بين ذات وصفات وبين حس ومعنى بين قدرة وحكمة فالذات اللطيفة مستورة معانيها بالذات الكثيفة والمعنى اللطيف مستور بالحس الكثيف والقدرة مستورة بالحكمة، والكل من الله وإلى الله ولا موجود سواه، وعظمة الربوبية ظهرت في مظاهر العبودية، فمن نظر للعظمة صرفاً تحقق بعظمة الربوبية ومن

نظر لظاهر المظهر تحقق باوصاف العبودية والكمال ينظر إليهما جميعاً فالربوبية بلا عبودية نقص يلزم عليه إبطال حكمته والعبودية بلا ربوبية محال لا يتصور وجوده. قال الأمير:

وكل ما لي فمضاف إلى فعلي وفي أنفعل الرب
والفلك الأطلس لي مركز به محيط مني الترب.

قال (ص) ما معناه: رحم الله أخي موسى فإن عينه اليمنى كانت عوراء ورحم الله أخي عيسى فإن عينه اليسرى كانت عوراء وأنا ذو العينين الصحيحتين. يريد بالعين اليمنى حقيقة الجمع بأن لا يرى السالك مع الله غيره (إله مع موسى) وموسى كان ينظر إلى الماديات ولذا كانت عينه اليسرى عوراء، ويريد باليسرى النظر إلى رتبة الفرق بأن يرى السالك الموجودات مخلوقة لله يستدل بها على الله وعيسى كان ينظر إلى الروحانيات فقط، ولذا كانت عينه اليسرى عوراء. وهو الصحيح العينين لأنه ينظر في شريعته إلى رتبة الجمع والفرق معاً فشريعته مادية منوعة فهي أكمل الشرائع وأتمتها.

(الجموع الأحرى)

وإذا شهدتم هذا فأنتم إذا نزهتم المطلقة عن الحصر والتقييد والتحديد في عين التشبيه^١ لكونها مطلقة عن الإطلاق الذي في مقابلة التقييد فقيده في عين إطلاقه. وإذا شهدتم هذا المشهد^٢ فأنتم قاتمون مقام السواء^٣ والبرزخية العظمى فتكونون إن شئتم في الكثرة والتفرقة مجموعاً أحدياً وإن شئتم كنتم الجمع الأحدي جامعين للكثرة^٤ فأنكم لاتبالون لكونكم جامعين للكل وحائزين قصب السبق في الكل إذا ظهر كل متميز^٥ بشهود الجزئي الخصيص به إذ لا خصوص لكم إلا أحدية جمعكم الذي هو أحدية جمعه.

^١ التشبيه المساواة بين شيء وشيء، وشبهه به مثله.

^٢ مشهد المجلس حضرة الشيء عاينه واطلع عليه.

^٣ السواء والسوى الغير والمثل والقصد.

^٤ الكثرة نقيص القلة وهي عند الصوفيين مظاهر الله في صفاته وأسمائه التي هي مجموع مكوناته.

^٥ تميز انفصل عن غيره.

الخصوص الأفراد ومقابلة العموم والانحصار يقابله الإطلاق.

المعنى: يقول: إذا عرفتم اعتقاداً ما قاله عن الرب الحق والعبد الخلق برتبة الجمع والفرق فقد نزهتم الذات عن المظاهر حقيقةً كان أو خليفة سواء كانت مع الحق أو الخلق، فالحصص والتقييد لا يكونان إلا في ذات التمثيل بالظهور لا غير فهذه الصورة المطلقة عن الحصر في حق أو خلق، تنزيهاً إطلاقاً عن الإطلاق الذي هو التنزيه عن التكيف والتحديد يصبح قيماً بقولنا إطلاق وتنزيه كأنه قيده السوهم والتخيل، فيجب حينئذٍ إطلاقها عن الإطلاق، وكذلك إذا نزهنا حضرة الحق تنزيهاً مطلقاً وحظرنا عليه التجلي في المظاهر ألا نكون حصرناه في جانب التنزيه فقط، فيصبح هذا التنزيه حصراً وقيداً، فإذا شهدتم هذا المشهد تكونون قمتم مقام الغير الذي هو عالم الإمكان، ومقام البرزخية التي هي الجمع بين الوجود والإمكان، فتكونون إن شئتم في مقام الكثرة التي هي تعدد المظاهر في رتبة الفرق كل موجود لنفسه في حال أحديتكم الجمعية، وإن شئتم كنتم المجموع الأحدي بتجردكم عن طبائعكم البشرية إلى عقولكم ونفوسكم اللذين هما سعة العقل الكلي والنفس الكلية، وليس النور غير المنير، جامعين مع توحدكم بهذا تعدد الكثرات كلها، وإذا كنتم جامعين الكل من العرش إلى الفرش وحائزين قصب السبق في كل من الكثرة والوحدة، إذا كان كل شيء من المكونات منفرداً بذاته وكيانه الجزئي الخاص به لأن هذه الرتبة ليست لشيء إلا لكم بين الوجود والإمكان والغيب والشهادة بقاء وجوداتكم العدمية المحسوسة بوجوده الواجب الذي هو أحدية جمع مظاهر أسمائه وصفاته المنفرقة في مكوناته.

لا تبقون ولا تفنون

فلا تفنون لأنكم عين من لا يفنى ولا تبقون لأنكم غير متميزين عنه حتى يضاف إليكم البقاء بل بقاؤكم عين بقاءه ولا تفنوا أنتم ولا تبقون ما كنتم تفنونه وتبقونه في حضرة شهود التمييز ولا يلقى عليكم من خارج ذواتكم إلهام وحي بل منكم وفيكم وعليكم له ومن وفيه.

ولهذا أشار شيخنا محي الدين العربي غفر الله له شعراً.

وَتَعْرِيهٖ عَنْ الْخَلْقِ
وَتَكْسُوهُ سَوَى الْحَقِّ
وَقَمَّ فِي مَقْعَدِ الصَّدَقِ
وَأَنْ شِئْتَ فَفِي الْفِرْقِ
تَهْدِي قَصَبَ السَّبَقِ
فَلَا تَنْظُرْ إِلَى الْحَقِّ
وَلَا تَنْظُرْ إِلَى الْخَلْقِ
وَنَزَمَهُ وَشَبَّهَهُ
وَكُنْ فِي الْجَمْعِ إِنْ شِئْتَ
تُخْزِ بِالْكُلِّ مَنْ كُلِّ

لَا تَفْنُونَ وَلَا تَبْقُونَ

فَلَا تَكُنْ لِي وَلَا تَبْقِ
وَلَا يَلْقَى عَلَيْكَ الْوَحْيِ
وَلَا تَفْنِي وَلَا تَبْقِ
إِمَامَاتًا وَلَا تَلْقَى

فما أكمل الإنسان لو عرف قدره، وملك أمره، وكنم سره، ولم يتعدَّ طوره،
ولزم مركزية^١، حقيقة الاعتدال، وتحقق بحقيقة الإطلاق في الجمع والكمال.

^١الجمع عند الصوفيين هو مكاشفة الباطن بسر لا موجود سوى الله وأن الأشباح الظاهرة ظلالٌ
ساجدة للأرواح الباطنة وأن المحب هو عين المحبوب.
تعرية مصدر أعراه إعراء الثوب ومن الثوب نزع.
المقعد الصدق عبارة عن استقامة الإنسان في جميع ما تقتضيه إنسانيته وتمكنه من الخروج عن
جميع الحدود والدخول في مقام الإطلاق والاتصاف بجميع الصفات الإلهية والتمكن في كل ذلك.
الفرق عند الصوفيين إذا أسبل حجاب العزة على الذات وعاد الروح إلى عالم الخلق ظهر نور
الحق وعاد التمييز بين الحداث والقدم، ولا يزال السالك بين جمع وفرق حتى يلوح له لائح الجمع،
بحيث لو نظر بعين التفرقة بل يجمع له عينان ينظر الجمع باليمنى إلى الحق وينظر باليسرى إلى
الخلق، وهذه أعلى رتبة من الجمع الصرف لاجتماع الضدين فيها وتسمى جمع الجمع، وصاحب
هذه الحلقة لا تدح فيه المخالطة مع الخلق بخلاف صاحب الجمع الصرف، فصاحب جمع الجمع لا
يرى صورة الأكون إلا آلات يستعملها فاعل واحد فيجمع كل الأفعال في أفعاله وكل الصفات في
صفاته، بل كل النوات في ذاته وهو بالافاق الأعلى. والجمع للصرف يوجب الزندقة والإلحاد ويحكم
برفع أحكام الظاهر، والفرق المحض يقتضي تعطيل الفاعل ونفي القوة المطلقة، والجمع مع التفرقة
يُعِيد حقيقة التوحيد ولصاحب الجمع أن يضيف إلى نفسه كل أثر ظهر في الوجود وكل فعل وصفة
واسم لا تحصر الكل عنده في ذات واحدة، فالجمع ولا ينصب إليه التوحيد وهذا يوضح لك معنى
قوله المتقدم إذا نظرت إلى الرب الحق فلا تغفل عن العبد الخلق. وكتاب الأسيفر كله من ألسنه
إلى ياتيه الجمع.
^٢الإنسان مصدر لمن الشيء أدانته.
الطور الحد بين شئين والقدَر يقال عدا طوره أي حده.

المعنى. يقول: إذا نزهتم الصورة المطلقة بإطلاقها عن الإطلاق وعرفتم حضوراً ومعرفةً ذلك المشهد الجمعي كنتم مجموع الكثرة مع الأحدية الصرفة إن شئتم وإن شئتم كنتم الجمع الأحدي مع اشتمالك على مفترق الكثرة وعندما تكونون كذلك لا يجوز عليكم الفناء لأنكم وأنتم الجمع الأحدي ذات من لا يفنى، ولا يجوز نسبة البقاء لأعيانكم المفرقة لأنكم غير منفصلين عن حضرة الحق فيضاف لكم البقاء، بل إنما بقاؤكم عين بقاءه سبحانه فإذن أنتم لستم بفانين لأنكم عين من لا يفنى ولستم بباقيين لأنكم غير متميزين عنه فيكون لكم وجود لا يفنى ولا يجوز لكم البقاء والفناء معاً وأنتم في حضرة شهود الفرق التي هي محل الفناء ومن هو في هذه الرتبة يجوز عليه الفناء حالاً فحالاً إلى أن يصل إلى رتبة الجمع فيبقى ببقاء الله سبحانه. والمعارف التي تتلقونها لا تلقى عليكم من خارج ذواتكم إلهاماً ووحياً بل تلقى عليكم من قبل عقولكم ونفوسكم فما هو فيكم ولكم؛ كما علمت؛ من أن العقل إشعاع العقل الأول والنفس إشراق النفس الكلية وهما النور وضياء النور، وليس النور غير المنير، فهذا الإلقاء من الله في الله، وذلك لأنكم نلتم الجمع الأحدي بفنائكم في الله سبحانه فأصبحتم غير متميزين عنه فيأتيكم ما يلقي إليكم إلهاماً ووحياً خارج ذواتكم:

فناؤنا مع ثبوت وإهنا يقضي بعود الجواد في هبته
وذاك بخسل وجل خالقنا من أن يكون الإكداء من صفته

وما تقدم فهو معنى أبيات ابن عربي فلو عرف الإنسان نفسه وقدر أن يملك أمرها ولم يتعد حدها المحدود لها بلزومه التوسط بين الإفراط والتقريط، وتحقق بحقيقة الإطلاق في رتبة الجمع بأن لا يرى موجوداً ولا فاعلاً إلا الله ليبلغ ذروة الكمال:

تجلت بالاشياء حين عرفتها فما هي نيطت عنك فيها البراقع.

نسبة الأعمال

ولما كان ظاهرة الإنسان مجموع العالم من حيث حجابيته^١ ومجمع النقائص والزمائم والشُرور الخصيصة بالمقام الإمكان^٢ فالأفعال والأخلاق والأعمال الصادرة عن الإنسان إن كانت قبيحة يستحق عليها المَذَامُ أما عرفاً وأما عقلاً وأما شرعاً فالأحرى والأليق أن ينسب إلى نفسه تأديباً وتحقيقاً ناظراً في ذلك نظراً دقيقاً فإن الصادر عن الحق خير محض وهو الوجود لا غير وهو غير محض بالنسبة إلى الموجودية. والنقائص والقبايح راجعة إلى الكيان من حضرة الإمكان.

والعدم يلي أحد جاتبي الإمكان زائد بالنسبة إليه أولاً وما كان فيها من الكمالات والفضائل والمحامد والمحسن أضيف إلى الحق لأنها في الحقيقة راجعة إلى الوجود الحق فيكون قد جعل نفسه وقاية الحق في إضافة المَذَامِ إلى نفسه. كما قال تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾ (النساء: ٧٩)، وجعل الحق وقاية لنفسه في إضافة المحامد كلها إليه، وإليه يرجع عواقب^٣ الشتاء، وهذا مقتضى التحقيق الأتم والأكبر الأعم والتقوية والتقى الأكمل ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصافات: ٦١) ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦).

المعنى: يقول: لما كان الإنسان بظاهره مجموع العوالم لأنه مركب من الطبائع الأربع وفيه الأكوام الست والقوى المنوعة كالسبعية والشهوانية وما أشبه، فهو بهذا مجمع النقائص والشُرور من حيث مقامه الإمكانى الزائل فالأفعال الصادرة عنه إن كانت قبيحة تستحق عليها العقاب إما عرفاً بقطع الإمداد الإلهية لتقصيره عن أداء واجب ما عرف. وإما عقلاً بمخالفة المسنونات العقلانية كالإقبال على الله بالإنبار عما سواه، وإما شرعاً بمخالفته قانون الشريعة المقدس. فالأولى والأجدر بالمرء أن ينسب أفعاله القبيحة إلى نفسه تأديباً وتأديباً ناظراً في نسبتها نظراً دقيقاً

^١ الحجابية نسبة إلى الحجاب وحجابية الإنسان هي وقوفه عند ظواهر المحسوسات وظلية الأثر دون النفوذ إلى معرفة بواطنها والحجاب على الحقيقة ليس أمراً وجودياً بينه وبين الله ولو كان للزم أن يكون أقرب إلى الإنسان من الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد فرجعت حقيقة الحجاب إلى توهم الحجاب.

^٢ الإمكان هو الذي يجوز بقاؤه وعدمه وهو نقيض الواجب.

^٣ العواقب جمع عاقبة: الجزاء بالخير.

^٤ التنافس: التفاضل.

يؤديه الى وضع الأشياء في محالها لأن الصادر عن الحق خيرٌ محضٌ وهو بالإضافة إلى الإلهية التي كان بها كل موجودٍ فالنقائص والأعمال الشريرة ترجع إلى المقام الإمكانى وهو البشرية وأحوالها والمادة وأنواعها وتلك الأعمال بذاتها عدمٌ لأنها ليست من الوجود في شيءٍ وللمقام الإمكانى جانباً: جنب إلى العدم وهو البدن.

وجانب إلى الوجود وهو العقل. والشر من الأعمال يلي جانب العدم فنسبتهما إليه أولى، ولما كان الإنسان في طاعاته منسلخاً من أنانيته وحدودها متوجهاً إلى مولاه وأمره كان إسناد طاعته إلى الله أولى. ولما كان في معصيته متحدداً بحدود أنانيته كانت نسبة معاصيه إلى نفسه أولى (ما أصابك من سيئة فمن نفسك، وما أصابك من حسنة فمن الله) وفي الدين والإسلام تعريفٌ جليلٌ عن الشر والخير بأن الموجودات خيرٌ من جهتها الربوبية وإن كان بعضها شراً من جهتها الإمكانية.

الحاوت (التقديم):

وإذا فهم هذا فنقول: أعلموا أخواني رحمكم الله، إنه لو لم يكن في الوجود قديمٌ لما كان في الوجود موجود أصلاً البتة^١ وذلك لأن الوجود ينقسم قسمه حاضرةً إلى محدثٍ وقديمٍ لأن المحدث أقدم ما لوجوده أولاً ليس لوجوده بداية، فلو لم يكن في الوجود قديماً لم يكن به حادثٌ أصلاً إذ ليس في طبيعة الحادث أن يوجد بذاته فإن الموجود بذاته يكون واجب الوجود^٢ والواجب بذاته لا يتصور له بداية، وهاهنا برهانٌ عقليٌ يسمى بالشرط المتصل وهو قولهم لو كان في الوجود موجود لزم بالزام الضرورة أن يكون في الوجود قديم والوجود معلوماً قطعاً ينتج عن هذين الأصلين وجود موجود قيم بالضرورة فهذا هو طريق الاستدلال بالوجود على إثبات وجود المعنى القديم. ولا يقال أن الباري موجود ولا معدوم، إذ لو كان موجوداً يكون مثل سائر الموجودات، ولو كان معدوماً يكون مثل سائر المعدومات وهو قولٌ باطلٌ لأننا نقول لا فرق في العقل بين أن يقال الشيء الفلاني ليس بموجود وبين أن يقال هو معدوم فأنه إذا لم يكن موجوداً يكون

^١ يقال لا أفعله البتة كأنه قطع فعله، ولا أفعله بنيةً بغير اللام لكل أمر لا رجعة إليه، ونصبهما على الحصر، ومذهب سيبويه لا تكون إلا معرفة ونكرة الفراء.
^٢ واجب الوجود هو الذي يكون وجوده من ذاته ولا يحتاج إلى شيء وقد يقال الواجب على ما يقابل الجائز والممكن والممتنع، وعرفوه في فن التوحيد بأنه ما لا يتصور عدمه.

لوجود أنه هو ما به ليجلد صورة كل موجود مفرد لنفسه من أول المكونات لأخرها
وقيل هو الذي به ثبت الموجودات من العقل الأول إلى أن يدخل في العلم الإضافي
وهو هذه المحسوسات والماهية التي هي تعريف الشيء ما هو عرض للوجود به
قيلها فهو جوهرها وهي عرض له تقوم به، والوجود من حيث هو غنى عن
التحديد لأن كل أحد غير غائب عن وجوده الخاص به والوجود من حيث مفهومه
العلم لا جزء له لأنه يضم جميع الأشياء فهو كل لها ولا له جنس فينفرد به نوع عن
آخر، ولا فصل له فيتميز به نوع عن آخر، ولا حد له فينفرد به الجنس والفصل،
ولا لازم له فينفرد به الصفة الملازمة للموصوف، بل هو يعم جميع الموجودات،
ونكر لفظ الوجود بابهامه من غير تعيينه بشيء من الموجودات لفهم أن المراد
باللفظ جميع الموجودات لا نوع دون آخر، وليس في الوجود موجود محكوم عليه
بالتقييد إلا وله وجه إلى الإطلاق، فكل شيء له جهتان: جهة وجوبية. وجهة
بمكانية. كالإنسان مثلاً فإنه مطلق من حيث عقله ومفرد من حيث بدنه، وكالشجرة
فإنها من جهتها المكونية التي تطلب بها النمو والكمال دائماً فهي مطلقة ومن جهتها
الملكية التي هي محسوسها مقيدة، ولكن لا يعرف الإطلاق والتقييد في الأشياء كلها
إلا من عرف الأشياء كلها، ولم يجدد الوجود هذا التحديد الكامل إلا ليعرفنا أن
الحقبة والخليفة والربوبية والمعبودية والمعبودية كلها للوجود الحق المطلق، وهو ذاتي
له سبحانه في جميع هذه النسب المتخالفة والاعتبارات المتباينة بين الحقيقة والخليفة..
الحق... فلا يجوز حصر الذات غير المنحصرة في حقيقة أو خليفة فإله سبحانه غير
المنحصر في خلق أو حق، هو حق خلق. وإذا نظرتم إلى العبد الخلق فلا تفرده
عن ربه الحق من حيث وجوبه الحق مع قطع النظر عن هذه الحالات الطبيعية، مع
أن وجودها بالموجود الحق فإذا عرفتم هذا فحينئذ تكونون نزاهتم الذات المطلقة أن
تتصرف في حقيقة أو خليفة، لأنها مطلقة عن الإطلاق المقابل للتقييد، فتقومون مقام
المثل والبرزخية العظمى، فإن شئتم حينئذ كنتم مجموعاً أحداً لا يتجزأ في حال
وجودكم في كثرتمكم البشرية، وإن شئتم كنتم الجمع الأحدي بعرفانكم أن لا وجود
حقيقة إلا للموجد الأول، فحينئذ تصبحون بعدي العنا معرفة وعلماً كونكم جامعين
الكثرة والوحدة، وحققين نصب السبق في كل منهما، ولا امتياز عن غيركم إلا
جمعكم الجموع كلها فأصبحت أحدية بكم، وتلك الأحدية أحديته تعالى، وكل شيء
غيركم يتميز عن غيره بجزء وخصوص به كعلم النور مثلاً فإنه من نوع واحد

وعالم الظلمة كذلك نوع واحد، والإنسان جامع الجميع، وأنتم لا تفنون لأنكم ذات من لا يفنى ولا تبقون لأنكم غير متميزين عن حضرة الحق حتى يضاف إليكم البقاء بل بقاؤكم عين بقاءه، ولا يلقى عليكم من خارج نواتكم شيء من العلوم والمعارف بل منكم وإليكم، لأن العقل الجزئي سعة العقل الكلي، فإلقاء المعارف منه إليه فيه فما أكمل الإنسان، والحالة هذه لو ملك أمره دون الانقياد إلى بشريته ولم يتعد حدّه المفروض له ولزم الاعتدال بين الإفراط والتفريط، وتحقق بحقيقة إطلاقه في جمعه الجموع، ولما كان الإنسان مجموع العالم المادي كان مجمع النقائص والشرور المخصوصة بالإمكان، فما صدر عنه مما يستحق عليه العقاب يجب أن ينسب إليه نفسه، لأن النقائص ترجع مقام الإمكان، والصادر عنه من الفضائل يجب أن ينسب إليه حضرة الحق سبحانه، لأن الصادر عنه خير محض، ولمثل هذا فليعمل العاملون، ولو لم يكن في الوجود قديم كان عنه هذا الكائن المحدث لما كان في الوجود موجود ولا يقال: كما زعمت بعض الفرق الإسلامية. أن الله ليس بموجود ولا معدوم لأن ما ليس بموجود فهو معدوم وما هو معدوم ليس بموجود.

(التنبيه الثاني: الوجود والحركة والسكون)

في إثبات وجود المعنى القديم على طريق النظر في الحركة والسكون.

أعلموا أخواني رحمكم الله إن أهل الكلام في أصول الدين يستدلون على حدوث العالم بالحركة والسكون فيقولون أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما محدثان وكما لا يخلو كل جسم عن الحركة يُفَرِّط^١ وإن كان قارراً^٢ في مكانه فهو متحرك وإن لم يكن قادراً في مكانه فهو ساكن فقد علم إن الجسم لا يخلو من حركة أو سكون وأما بيان إن الحركة والسكون مُحدث فهو إن الحركة

^١الأصول جمع أصل أسفل الشيء، يقال قعد في أصل الجبل وأصل الحائط، وقلع أصل الشجر ثم كثر حتى قيل أصل كل شيء ما يستند إليه وجوده والكلام في أصول الدين ينقسم إلى أصول وفروع فالكلام بالأصول هو التكلم في المعرفة والتوحيد، والفروع التكلم بالشريعة والطاعة، فالأصول هي موضوع علم الكلام والفروع هي موضوع التكلم بالفقه. وقال بعضهم كل ما هو معقول ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال فهو من الأصول وكل ما هو مظنون ويتوصل إليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع.

^٢يُفَرِّط من أفرط الشيء تركه يقال ما أفرط منهم أحداً وأظنها بفرد كما سيتضح من السياق فيما بعد.

عبارة عن حصول الجوهر^١ في مكان بعد إن كان في مكان آخر ومعلوم إن ما كان مسبقاً بغيره يكون محدثاً وأما بين أن السكون محدث فلأنه لو لم يكن محدثاً ما جاز عليه العدم. لأن العدم لا يجوز على القديم لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه وبالعكس.

المعنى: يقول: إن أهل الكلام أصول الدين يستدلون على حدوث العالم بالحركة والسكون فإذا ثبت حدوث العالم ثبت أن هناك قديماً فيقولون إن أجسام العالم لا تخلو من أن تكون إما متحركة وأما ساكنة، والحركة والسكون محدثان مخلوقان وكل شيء لا يخلو من جسم يُقرّد لنفسه فإن كان هذا الجسم قاراً في مكان فهو ساكن وإن لم يكن قاراً فهو متحرك، والجسم لا يخلو من حركة وسكون. وأما إثبات أن الحركة والسكون محدثان، فهو أن الحركة عبارة عن كون الجسم في مكان غير المكان الذي كان فيه فهي مسبقة وما كان مسبقاً فهو محدث ولو لم يكن السكون محدثاً لما جاز عليه العدم، والعدم لا يجوز على القديم، وما ثبت قدمه استحالة عدمه والمحدث عادم لا محالة.

إثبات الوجود من طريق الحرث

وأما بيان كلما لا يخلو عن؟ من الحدث فهو محدث، وهو أن الحادث أما زوج وأما فرد، وعلى التقديرين يكون متناهياً، فيكون لهذه الحوادث أول ونحن نبين أن الجسم لا يخلو من أول. وكلما لا يخلو من شيء يكون له أولاً فيكون هو أيضاً أولاً. فيجب أن يكون الجسم محدثاً، وقد يستنبط أيضاً من الميزان المعنوي العددي العلم بحدوث العالم، فلنفرض الكلام في اليوم الذي نحن فيه مثلاً فنقول لا تخلو الأيام التي قبله أن تكون متناهية الأعداد أو غير متناهية الأعداد، والقسم الثالث لا يعقل. فإن كانت متناهية الأعداد فلها أول. وهو دليل الحدث وأن كانت غير متناهية الأعداد استحالة وجود اليوم الذي نحن فيه لأنه لا يأتي حتى ينتهي ما قبله من الأيام ما لا ينتهي وتناهي ما لا ينتهي محال.

^١ الجوهر ما به قيام العرض والمقصود الجسم الذي به قيام الألوان والطعوم وما أشبهه فهو جوهرها.

المعنى: يقول: وأما بيان أن كل ما لا يخلو من شيء من الحوادث المكونات هو محدثٌ غير قديم فهو أن المحدث المكون لا يخلو من أن يكون زوجاً أو فرداً وعلى التقديرين: الزوجية والفردية يكون متناهياً إما بالزوجية وإما بالفردية، وكل متناهٍ له أول وكل ما لا يخلو من سبب يكون به أولاً يكون هو أيضاً أولاً، وكل ذي أول فهو محدثٌ وقد يستخرج العلم بحدوث الأشياء من الميزان العددي أيضاً، فلنفرض الكلام لاستخراج ذلك في اليوم الذي نحن فيه، فالأيام التي قبل هذا اليوم لا تخلو من أن تكون متناهية أو غير متناهية فإن كانت غير متناهية استحال وجود اليوم الذي نحن فيه لأنه لا يأتي إلا بعد تناهي ما لا يتناهي، وتناهي ما لا يتناهي محال، فثبت أولية كل شيء وأخريته وما ثبتت أوليته وأخريته فهو محدثٌ وما كان محدثاً فله محدثٌ أحدثه. ناظرُ الرسول من يقولون بقدوم الأشياء لأنهم لا يرون لها زوالاً ولا فناء فقال: أستم تشهدون الليل والنهار واحدهما بعد الآخر؟ قالوا نعم.

قال: أترونها لم يزا ولا يزاان؟ فقالوا نعم.

قال أيجوز عندكم إجتماعهما؟ قالوا لا.

قال فإن منقطع أحدهما عن الآخر وسبق أحدهما والثاني جاء بعده؟

قالوا نعم. قال قد حكمتم بحدوث ما تقدم من ليلٍ ونهارٍ...

ثم قال: أتقولون ما قبلكم من ليلٍ ونهارٍ متناهٍ أم غير متناهٍ؟

فإن قلتم غير متناهٍ فقد وصل إليكم آخرُ بلا نهاية لأوله وإن قلتم متناهٍ فقد كان ولا شيء منهما. قالوا نعم.

فقال لهم: أقلتُم أن العالم قديمٌ غير محدثٍ وأنتم بمعنى ما أقررتم به وبمعنى ما جددتموه؟ قالوا نعم.

قال: فهذا الذي تشهدونه من الأشياء بعضها يفتقر الى بعض لأنه لا قوام له إلا بما يتصل به. يرى البناء محتاجاً بعض أجزائه الى بعضٍ وإلا لم يتسق، وكذا سائر ما نرى فإذا كان هذا المحتاج لبعضه لبعضٍ لقوته وتامه هو القديم، فأخبروني لو كان محدثاً كيف كان يكون وكيف تكون صفته؟ فبهتوا لأنهم علموا أنه ليس للمحدث صفةٌ يصفونه بها إن كانت هذه الصفات صفات القديم.

الوجود والمحدث

وأيضاً مثل ذلك نفرض الكلام في شخص من أشخاص الحيوانات كالآدمي مثلاً فنقول لا يخلو الآباء والأجداد الذين مضوا قبله أن يكونوا متناهي الأعداد أو غير متناهي فإن كانت أعدادهم متناهية ثبتت أوليتهم ومن كان له أولاً فهو مفتتح الوجود، ومن كان مفتتح الوجود فهو حادث وإن كانت أبأوه وأجداده غير متناهيين استحال وجود الشخص الحاضر، لأنه لا يوجد حتى يمضي قبله من الآباء ما لا عدد له وتناهي ما لا عدد له محال^١ كقول القائل: إذا جاء زيد أعطيناه ديناراً ولا نعطيهِ حتى نعطي قبله من الدراهم ما لا نهاية له. فردّه على هذا الترتيب أعطي الدينار لزيد، وأيضاً فأنّه إذا كان يجوز أن يكون حدوثه في العقل سابقاً على ذلك الوقت أو متأخراً عنه، فاختصاص^٢ حدوثه بذلك الوقت مع أنّه جائز في العقل أن يكون قبله أو بعده ليس إلاّ المخصّص^٣ فعلم إنّ للعالم صانعاً أوجده وأيضاً إذا ثبت حدوث العالم ثبت أنّ له محدثاً إذ يستحيل حدوث فعل إلاّ عن فاعل حيّ عالم مريد قادر، ثم نفرض الكلام في ذلك الفاعل فإن كان بينه وبين فعله مشابهة في ذاته وصفاته وأفعاله لزمه من الحدوث ما لزم فعله وأن كان لا مشابهة بينه وبين فعله من جميع الجهات، فهو المعنى القديم على الحقيقة وهو العليّ العظيم.

المعنى: وبعد أن استنبط من الميزان العددي البرهان القاطع على حدوث الأشياء ضرب مثلاً يؤيده بالشخص الآدمي وشفعه بمثله بإعطاء الدينار، وهما كالتمل الذي ضربه بالأيام وأكد ذلك كله بأنه إذا كان جائزاً حدوث شيء من الأشياء بحكم العقل سابقاً على الوقت الذي علمه به العقل أو متأخراً عنه، فاختصاص هذا العلم بذلك الوقت ليس إلاّ لشيء مخصص بنوع من الأنواع، فعلم بذلك أن هذا المخصص حادث لتحدده بالسبق أو التأخير، ولكل حادث صانع، وبما مر من إثباته المحدثان يثبت أن لها محدثاً إذ يستحيل وجود شيء (أكان ذلك الشيء صنعة إلهية

^١ المحال: المستحيل. قال الخليل: المحال الكلام لغير شيء والمستقيم كلام لشيء والغلط كلام لشيء لم ترده، واللغو كلام لشيء ليس من شأنك، والكذب كلام لشيء نقر به.
^٢ الاختصاص: الانفراد.
^٣ المخصص: ضد المعمم.

أو يدوية أو آلية والكل مصنوعات إلهية كما مر) إلا عن فاعلٍ مجمعةٍ به الصفات الأربع: الحياة والعلم والإرادة والقدرة، وقد مر عليها الكلام مستقصى، فإذا ظهر فعلٌ ما من فاعلٍ ما ننظر الى الفاعل فإن كان بينه وبين فعله مشابهةً ما في ذاته أو صفاته أو أفعاله كالكاكتب والصانع مثلاً فإن الكاكتب يصور ما كان ثابتاً في مخيلته بصورة محسوسة معبرة عن كيفية معلوماته، والصانع يبرز مصنوعاته مركبة من أجزاءٍ كتركيبه، فدلنا ذلك على أن كلاهما مصنوعٌ وإن كان لا مشابهةً بينه وبين فعله بحيث يكون فعله إبداعاً، فالفعل مخلوقٌ وفاعله خالقٌ. وقد برهن ابن حزم على حدوث العالم بأن كل شخصٍ في العالم وكل عرضٍ في شخصٍ وكل زمانٍ... كل ذلك متناهٍ ذو أولٍ نشاهد ذلك حساً وعياناً، لأن تناهي الشخص ظاهرٌ بمساحته بأوله وآخره وبزمان وجوده وتناهي العرض المحمول ظاهرٌ بين تناهي الشخص الحامل له، وتناهي الزمان موجودٌ باستئناف ما يأتي بعد الماضي وفناء كل وقت بعد وجوده واستئناف آخر يأتي بعده إذ كل زمانٍ فنهائيه الآن، وهو حد الزمانين، فهو نهاية الماضي وما بعده ابتداء المستقبل وهكذا. وكل جملة أزمنة من أزمنة متناهية. كما قمنا ذات أوائل. والعالم كله أشخاصه ومكانها وأزمانها ومحمولاتها ذات أوائل كما ذكرنا، فالعالم كله متناهٍ ذو أولٍ إذ كل أجزائه لها أولٌ وليس هو غير أجزائه. قال الأمير:

لَهُ الدَّهْرُ أَنْ وَالزَّمَانُ الَّذِي انْقَضَى إِلَيْهِ بِجَدِيَّةٍ بُوَصِّلَ لَهُ فَصُلِّ

التنبيه (الثالث): (الوجود والمعقول والمنقول)

التنبيه الثالث: في بيان إثبات وجود الباري جلّت قدرته بالمعقول والمنقول.

أما المعقول فمن وجهين أحدهما أن الحكمة الإلهية دلّت على أن لكلّ صنعةً صانعاً كالبناء والكتابة وغير ذلك مثلاً وجميع ما يشاهد في الوجود من الموجودات صنعةٌ فلا بدّ لها من صانعٍ بحكم الضرورة إذ يستحيل إيجادها لنفسها والدليل على دوام وجوده فيض جوده أزلاً وأبداً.

والثاني أنه من المستحيل عدم الصانع مع وجود الصنعة من خلق السماوات والأرض وما فيهما وإتقائهما ودوام الفيض واستمراره أبداً مع بقاءهما مثال ذلك أن بقاء الظل^١ الموجود ببقاء الظل المعمود^٢ فمهما دام كان الظل موجوداً بدوامه.

المعنى: ولما أثبت، ثبتنا الله على منهاجه، في التنبيه الثاني من القاعدة الأولى وجود المعنى من طريق الحركة والسكون وغيرهما شرع يعلمنا إثباته من طريق المعقول والمنقول، أما المعقول فمن وجهين: أحدهما أن الحكمة الإلهية دللتنا معرفة أن لا بد لكل صنعة من صانع، لأننا لم نر بناءً إلا ولها بان، ولا كتابة إلا ولها كاتب ووجود هذه المصنوعات من خلق السماوات والأرض وكيفية ارتباطهما وتأثير السماوات في الأرض، وتأثر الأرض بها ووضع كواكب السماء واختلافها في الصغر والكبر وفي الحركة والبطء والسرعة والمناطق الشرقية والغربية والإستقامة وغير ذلك مما عُدَّ في محاله... غير أن السماوات والأرض لا يختصان بمرتبة دون مرتبة فكل ما كان فيه جهته الفاعلية أظهر وجهة القبول أخفى كان باسم السماء أجدر، وما كان بالعكس فباسم الأرض أخرى واستمرار الفيوضات ببقائها، فهما كالظل والشاخص والظل باق ببقاء الشاخص والشاخص كلاهما يطلق عليه اسم الظل كما تقدم، والأشياء علوي وسفليها ظلال لبعضها البعض حاصلة من محازة شمس الحقيقة، وبهذا فسر قوله تعالى (يَتَقَيَّ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجُداً لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ) (سورة النحل: من الآية ٤٨) وأحسن من تكلم من الظاهريين والباطنيين عن ظهور عالم الغيب في عالم الشهادة جلال الدين في التوقيم.

ودوام الفيض

وكذلك إن ملك الله تعالى دائم لا زوال له إذ يستحيل عدمه مع بقاء المعبود ودوام فيضه عليه فإن المفيض ليس بضنين^٣ على ممر الدهور والأحقاب^٤ في

^١الظل: الشيء الحاصل من الشباخص الذي ينتقل بانتقاله ويسكن بسكونه، وبالجمله لا إنانية للظل إلا إنانية الشاخص وكل موجود علوي وسفلي له في مقامه الخاص به حقيقة وله أظلال في العالم الأعلى والأسفل منه فالعلوي ظل للسفلي الذي كان عنه السفلي ظل للعلوي أيضاً فكلاهما ظل الآخر حتى الموجودات الطبيعية والأرضية والمواليد والعناصر لها ظلال صورية حاصلة من مجازات النور.

^٢المعمود: من عمد بالشيء لزمه.

^٣الضنين: البخيل.

^٤الأحقاب جمع حقب بالضم ثمانون سنة وتجمع على حقاب أو أحقاب.

وجوده ووجود كل شيء من العقول^١ والنفوس^٢ والأفلاك^٣ والأركان^٤ والمولدات^٥ من المعادن والنباتات والحيوانات والإنسان على اختلاف الأصناف والأشكال والصور والصفات (في كل ما ينقسم) والأصوات في كل آن لا ينقسم (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) منه بدء كل شيء وإليه أوبة كل شيء آيب.

الوجود والمنقول

يوجد اختلاف في الآية في الكتاب سورة البقرة ١٦٤ وأما المنقول فمن وجهين أيضاً أحدهم ما ندب القرآن المجيد إليه في غير ما موضع منه قوله سبحانه (إن في السموات والأرض^٦ لآيات للمؤمنين، وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق

^١ العقول الكلية والعقول الجزئية مرتبتان من مراتب عالم النور تقدم ذكرهما.

^٢ النفوس الكلية والنفوس الجزئية مرتبتان أيضاً.

^٣ الأفلاك جمع فلك مدار النجوم وهي ثمانية وعددها بعضهم سبعة عشر.

^٤ الأركان: الطبائع البشرية.

^٥ المولدات: ما تولد من الطبائع كعالم الإنسان والحيوان والمعادن والنبات.

^٦ الملوك: العز والسلطان يعني بيد الله تدبير كل شيء والتصرف فيه فإن الملوك باطن الأشياء المُسلط عليها وليس قولنا باطن الأشياء خروجاً عن الوحدة فقد تقرر أن الوجود حقيقة وثيقة ذات مراتب عديدة بحسب تنزلاتها والأسماء والرسوم والكثرات المترائيات فيها إنما هي في مقام ظهورها حقيقة الوجود هي الظاهرة في كل المظاهر وهي الغائبة عن الكل فهي باعتبار الغيب ومرتبة الوجود خالق الكل ومظهرها وباعتبار مقام الظهور عين الكل وحققها وليس بذلك إشعار بوحدة الوجود المؤدية إلى الإلحاد، وإلى ما قلنا أشير بالكلام الإلهي هو الأول والآخر والباكن والظاهر (بال) التعريف فوله الأول يدل على أن لا أول غيره والآخر يدل على أن لا آخر غيره وكذلك الباطن والظاهر أي أن الله باعتبار حقيقة الوجود هو الأول والآخر لا باعتبار الوجود فالوجود لا كلام عنه وتلك الحقيقة منزهة عن كل الاعتبارات حتى اعتبار الإطلاق وعدم الدخول تحت شرط فإذا اعتبرت مطلقة مفيدة بالإطلاق كانت مقام العقل الذي هو مرتبة المشيئة، وإذا أخذت بشرط شيء كانت مخلوقة ممكنة بمراتب الوجود الكثيرة فتلك الحقيقة وجود لا غير في مقام الواجب والفعل والممكن أي في ذات الله وفي فعله عالم المجردات وفي عالم الإمكان بحيث مظاهر الوجود كلها وجوب، ولا يلزم من ذلك شبيهة ولا شريك فوجود المخلوق هو خالقيته تعالى وفعله، والمخلوق لا حكم له على حياله بل هو باعتبار المهيئات محكوم عليه بالوجوب فهو في الخارجيات كالمعنى الحرفي في الذهنيات فالمعنى ليس هو الحرف المنطوق به ولا غيره بل هو هو بوجه وهو غير بوجه، فمن نظر إلى المكونات من حيث تحددها أعياناً فهو الناظر إلى المصنوع فنظرة باطل ومن نظر إليها من حيث إنها فعل الرب وصنعه فهو صادق النظر وقد عرفت آل كاشف الغطاء بالدين والإسلام الوجود أحسن تعريف.

تقدم أنفاً أن السموات والأرض لا اختصاص لهما بالطبيعتين بل تتعداهما إلى كل رتبة من الرتب الوجودية كما ذكر مراراً.

فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (سورة الجاثية ٣، ٤، ٥) وأما المنقول فمن وجهين أيضاً أحدهم ما ندب القرآن المجيد إليه في غير ما موضع منه قوله سبحانه (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (سورة البقرة: ١٦٤) ومنها قوله سبحانه تعالى (قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومنها قوله تعالى (وفي الأرض آياتٍ للموقنين وفي أنفسهم) أي نشهدهم الدلالات علينا في الآفاق وهو ما عدا الإنسان وفي أنفسهم وهو الإنسان (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ إِنَّهُ الْحَقُّ) أي حَتَّى يَتَضَعُ لَهُمْ إِنَّ الْمَشْهُودَ الْمَرْتِيَّ هُوَ الْحَقُّ.

المعنى: يقول: ومن الدلالات على إثبات وجود الحق من طريق المنقول هذه الآيات التي نعرفنا بأن الجميع ما في السماوات والأرض على تعدد هما كما ذكر يدل دلالة قطعية على إثبات صانع مكوّن لها كما في أنفسهم من عجيب معارفها ومداركها وارتباطها بهذا البدن الكثيف ما يدل على وجود مكوّن حكيم كونها فكل هذا ما كان منه مرتباً للعين والقلب أو مرتباً للقلب محجوباً عن العين يبين لنا من غير شك أن المشهود المرتي في كل هذه المظاهر هو الحق سبحانه من حيث وجوبه القائم بالكل لا من حيث الوجود:

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مَرَائِي جَمَالِهِ فَفِي كُلِّ مَعْنَى لِلْحَبِيبِ طَلَائِعُ

أختلاف الليل والنهار تعاقبها ومجيء كل خلف الآخر وزيادتهما ونقصانهما.
أحياء الأرض بتبويض قواها وإثبات نباتها وتوريق أشجارها.
بث: فرق.

روي عنه (ص) أنه قال عند قراءة هذه الآية ويل لمن لا كما بين فكيه ولم يتفكر فيها وهذا دليل على أنه ليس المراد من النظر تقليب الحدة فإن البهائم تشارك الإنسان بها، ومن لم ير من السماء إلا زرقتها ومن الأرض إلا عبرتها يشارك البهائم لا بل هو أدنى منها.
قل انظروا الخ أي من نور ملكوته وأسرار جبروته أو من أسرار المعاني القائمة بالآواني.
تقدم الكلام مستقصى على عجيب صنع الإنسان وأنه جامع المجموعات وأنه عالم صغير والعالم الكبير إنسان كبير وسيأتي.
الآفاق جمع أفق ويسكن آخر ما ظهر للناس من نواحي الفلك وأطراف الأرض وقيل مهاب الرياح الأربع.

فَلَمَّا تَجَلَّىٰ حُسْنُهُ مَتَوَّعًا تَسْمَىٰ بِأَسْمَاءٍ فَهِنَّ مُطَالِعُ

عن الصادق (ع) أن رجلاً سأل أمير المؤمنين (ع) بم عرفته الله؟
قال: بفسخ العزائم لما هممتُ فحال بيني وبين هَمِّي وعزمتُ فخالفت القضاء
عزمي، فعلمتُ أن المدبر غيري، وهذا ضربٌ من آياته في الأنفس وعند الموحدين
آيات الأفاق والأنفس المظهران.

(الكوكب والقمر والشمس)

ويُفَكِّكُ اسْتِدْلَالَ الْخَلِيلِ مِنْ هَذَا الْبَابِ لِلْكُوكَبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتًا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ) (٧٥) فَلَمَّا
جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا
رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَنْ نَم يَهْدِيَ رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ
إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (سورة الأنعام: ٧٩).

١ الملوك: مبالغة في الملك وتقدم بمعانيه.

٢ جنّة الليل يجنه جنا وجنونا وجن عليه ستره وجن الليل أظلم.

٣ أفلت الشمس والقمر والنجم كل غاب.

٤ الحنيف الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق والمخلص ومن أسلم لأمر الله، ولم يلتو
والمستقيم. شرح الشراح هذه الآية الكريمة، بمعنى أن إبراهيم جارى قومه لأنهم كانوا يعبدون
الزهرة والقمر والشمس ليريهن أن المعبود غير ما توهموه وأبان لهم أن كل أفل لا يجوز أن يكون
ربا. وقال سلطان بن محمد: الملوك لا يُسمى به عالم الطبع لا جهة مالكية له بل ليس فيه إلا
الملوكية الصرفة، والمراد بالملوك عالم المثال فما فرقته إن كان المراد بالإرادة أعم من الكشف
الصوري، والمراد بالسماوات والأرض الطبيعيتان وما دام السالك في سرب نفسه المظلم ولم يخرج
بالولادة الثانية إلى فسحة عالم الملوك يكون متحيرا لا يدري من أين وإلى أين ثم إذا أدركته
العناية الإلهية وخرج من قعر سربه يطرا عليه حالات وأطوار وظلمات وأنوار منيرات، فربما
يرى أنوارا عجيبة متلونة بألوان مختلفة وربما يرى كواكب وأقمارا وشموسا ويذهل عن التفكير
واستعمال المقدمات فيظن في بادئ رؤيته كوكبا أو قمرا أو شمسا أنه الله فيصيح به جبريل العقل
ويبين من محوه وينظر إلى أقوال المرئي وتغيره فيعلم أنه ليس به، ولا ضير أن يكون حال إبراهيم
في بادئ خروجه من سربه حال سائر السالك، فيحسب في بادئ رؤيته الكوكب أنه هو ثم ينظر
بعقله إلى زواله وتغيره فيرى أنه ليس به ولا يلزم منه شرك ولا كفر لأن تلك الأنوار ظهورات
نور الأنوار وقد يغلب حكم الظاهر على المظهر بحيث يظن أن المظهر هو الظاهر وهذا الشرح هو

السير من الأضعف للأقوى

وأعلموا أخواني رحمكم الله تعالى إن السموات والأرض في عالم الجسمانيات^١ وملكوت عالم الأجسام أرواحها وهي العقول والنفوس والمرني في سيره بأصغر الأنوار الذي مثاله الكوكب وهو النفس الناطقة والروح الآخر عن عالم الملكوت ثم بأوسط الأنوار الذي مثاله القمر وهو النفس الكلية، ثم بأعظم الأنوار الذي مثاله الشمس وهو العقل الكلي، لأن سير السالك من الأصغر إلى الأكبر ومن الأضعف إلى الأقوى، إذ العقول البشرية ضعيفة كنور الخفاش^٢ بالنسبة إلى جمال الشمس يذوب عن أدراك جمال كبرياء الأعظم، ولو أبتلي بالأقوى تلاشى واتمص ووقع في بحر الغرق^٣ وأنغمس.

المعنى: يقول: شرح هذه الآية الكريمة إن السماوات والأرض المذكورات هنا في عالم الجسمانيات أي عالم الشهادة، وأرواح هذه السماوات والأرض عالم الأجسام الذي هو عالم النور المجرد أي إن قيامها بالفيض الإلهي من قبل عالم النور كقيام البدن بالروح. والمرء سيره في سلوكه إلى الله بأصغر الأنوار الذي هو النفس الناطقة وهي الروح الذي هو آخر ما صدر عن عالم الملكوت وهو النفس الجزئية. وقد جعل الحكماء من قديم الزمان النفس مثلاً لمعرفة الله سبحانه كما سيأتي إن شاء الله. ثم يسير متدرجاً بأوسط الأنوار الذي مثاله القمر، وهو النفس الكلية في عالم الأنوار، ثم بأعظم الأنوار الذي مثاله الشمس وهو العقل الكلي فحينئذ يكون وصل إلى الرتبة القصوى الموصلة إلى معرفة المرتبة الإلهية فسير السالك من الأصغر إلى الأكبر ومن الأضعف إلى الأقوى بحسب الترتيب التعليمي وذلك هو التجلي

شرح المؤلف نفسه لأن النبي يسير بحسب ما يُعلم الناس كلاً بحسب مرتبته، والتجلي الإلهي بحسب قوة السالك واستعداده لثبوت التجلي وحضرة الحق سبحانه لم يتغير عن كيانه وإن ظهر لعبانه، واختلاف المظاهر استعداد السالك وقبولهم قال الأمير:
أثرا عينا بدا في بقلتي
والذي به هام السورى
فجلا عن ناظري الكوكب والبدر
والشمس به كشف الغشي

الجسمانيات عندهم هي عالم الشهادة من علوي وسفلي كأنه نسبة إلى عالم الأجسام الذي هو العقول والنفوس ومفهوم هذا كلامه نفسه الله. الخفاش الوطواط لصغر عينيه وضعف بصره ومنه يقال لمن لا يبصر بالليل دون الخفاش. تقدم الكلام مستقصى عن الفرق والجمع.

الإلهي بالأنوار الثلاثة، لأن العقول البشرية ضعيفٌ نورها كنور الخفاش بالنسبة إلى جمال الشمس بحيث يذوب عند النظر إلى جمال كبرياء النور الأعظم، ولو ابتداءً السالك سلوكه بالنور الأقوى من الأنوار وبدون أن يتدرج إليه من الأدنى إلى الأضعف تلاشى السالك من شدة غشراق التجلي وانطمس ووقع في بحر الماديّات وانغمس لعمى عينيه عن استجلاء النور.

(الكلمات)

واعلموا أخواتي أنّ العقول الفعّالة هي الكلمات^١ العليا والنفوس المدبّرة الأفلاك هي كلماته الوسطى والنفوس البشرية هي كلماته السفلى.

وقول السيّد الرسول منه السلام: أعوذ بكلمات الله التّامّات كلّها من شرّ ما خلق وذرا وبرا إشارة إلى العقول الفعّالة الكاملة التّامة لا إلى النفوس^٢ والأجرام^٣ فإنّ الأجرام نواقص مطلقاً والنفوس متوسّطات بينها في الكمال والنقص وهذا لا يعرفه السالك ما لم يعرف الأنوار الثلاثة المحسوسة في عالم الأجسام وهي الشمس والقمر والكوكب. فإنّ هذه ظلال الأنوار المجردة القاهرة وطلسمات^٤ تلك الصورة فالشمس مثال العقل والقمر مثال النفس والكوكب مثال النفوس الثلاثة المختلفة بالصغر والكبر والإشراق والجلال والنور والبهاء.

^١الكلمات جمع كلمة، وتقدم أن الكلمة غير مختصة بالحروف المركبة ولا غير ذلك، بل كل ما دل على غيره من الكلمات العينية فهو كلمة، وأصل الكلمات الولاية وهي واحدة كسائر صفاته وأفعاله، وكل الكلمات من العقول والنفوس الكتابية أطلال تلك الكلمة وتلك الكلمة تختلف بحسب القوالب، ففي قابل تصوير رحمة رحيمة وفي قابل تصوير سخا وغباً وكل منهما إما تحف وترسخ للقابل وعليه، وإما لا تحق، والذي حقّ له كلمة الرضا لا ينصرف عن الإيمان والذي حقّ عليه كلمة السخط لا ينصرف عن الكفر.

^٢النفس عند ابن سينا كجنس واحد ينقسم في ضرب من القسمة إلى ثلاثة أقسام:

أحدها النباتية وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد ويربو ويتغذى.

والثاني: النفس الحيوانية وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يُدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة.

والثالث النفس الإنسانية وهي كمال أول لجسم طبيعي لجهة ما يفعل الفعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية.

^٣الجرم بالكسر الجسد والأجرام الفلكية الأجسام التي في الفلك مع ما فيها.

^٤الطلسمات: جمع طلسم خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو دفع أذى وهو ضرب من السحر المكتوم وقد كثر قول الصوفيّة (سرّ مطلق، وحجاب مطلق) وهو معرب تالسا ومعناه جزية، أو تالسمس ومعناه لا تكميل ويجمع على طلاس.

المعنى: يقول: شارحاً كلامه السابق إن العقول الفعالة التي مثالها الشمس هي كلمات الله العليا والنفوس المدبرة الأفلاك التي مثالها في عالم الأجسام القمر هي كلماته الوسطى، والنفوس الثلاثة:

البشرية والحيوانية والنباتية التي مثالها الكوكب كلماته السفلى. والذي أرادته (ص) بقوله:

أعوذ بكلمات الله التامات، العقول الفعالة لا النفوس المدبرة الأفلاك، ولا الأجرام وهي ما تضمنه الأفلاك من عالم النور ومرّ بك عن النقص والكمال طرفاً وافب. والنفوس المدبرة الأفلاك بنقصها وكمالها متوسطة بين العقول والأجرام وهذا لا يعرفه السالك لأنه غيب عنه ما لم يعرف له مثلاً محسوساً فيرتقي بالخيال والتصور إلى معرفته، وهذا المثال المحسوس هو الأنوار الثلاثة المحسوسة المرئية الشمس والقمر والكوكب، فإن هذه الأنوار الملكية ظلال الأنوار المجردة القاهرة وهؤلاء رابطة الروحانيات العلوية بالطبائع السفلية، فالشمس مثال العقل الأول، والقمر مثال النفس الكلية، والكوكب مثال النفوس الثلاثة: الإنسانية والحيوانية والنباتية، فالاهتداء الباطني بتلك الأنوار الثلاثة العقول والنفوس والأجرام، هو كالاhtداء الظاهري بالكوكب والقمر والشمس، وأنت تعلم شرح الموحدين لهذه الآية أنه تجلى الجليل للخليل في مراتب التمثيل كما في آية النور، وهو نفس هذا الشرح وإن اختلفت الصيغ. وفي (الحقائق) معرفة الكلمات وتقسيمها وكيف كوّن الله بها.

سير الخليل

فإذا فهم ما قلنا علمنا أن سير الخليل كان في عالم الجسمانيات لا كما ظن بعض الناس من أن سيره كان في عالم الأجسام وكان حال سيره هذا غير عارف بربه ولم يظن لقوله منه السلام ما حكى الله (لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) (سورة الأنعام: من الآية ٧٧)، فإن قوله هذا يدل على أنه قبل هذا الحال كان عارفاً بربه، وإنما اشتبه عليه ربّ عالم الملوك، فبأنه لما رأى تلك الأسوار المختلفة في العظمة والإشراق اختلاف الشمس والقمر والكوكب بالصغر والكبر والنور والظلمة دهش وتحير، وعن حالته تغير ففضيه نور جلال جمال الحضرة

وإشراق كماله، فبادر إلى مثال الكوكب بحسب الترتيب التعليمي خلاف الترتيب الكائن في الوجود العيني^١.

المعنى: يقول: إذا فهم ما قاله عن الأنوار الثلاثة أنها ظلال لما فوقها علم أن سلوك الخليل كان في عالم الجسمانيات الذي هو عالم الشهادة، لافي عالم الأجسام الذي هو المعقول والنفوس كما ظن بعضهم، وكان حال سيره هذا غير عارف بربه في مظاهره في عالم الأجسام، وهذا الذي ظن أن سيره كان في عالم الأجسام لم ينتبه لما حكاه عنه جل جلاله (لئن لم يهدني ربي)، فقوله هذا يدل على أنه كان عارفاً بربه في عالم الجسمانيات فقط، وإنما تطلع الى معرفته ربه في عالم الملكوت أي تجليه سبحانه لأهل عالم الملكوت، لأن له سبحانه في كل عالم تجلياً، وهذا التجلي هو رب العالم الذي تجلى به أي ظهوره لهم بهم، فلما جن الليل رأى تلك التجليات التي هي مظاهر الحق سبحانه، فغشيه نور جلال جمال الحضرة الذاتية مثبتاً له، فبادر الى النور الظاهر كمثال الكوكب الخ... بحسب الترتيب التعليمي بأن يبتدىء من الأضعف الى الأقوى ومن الأدنى الى الأعلى بخلاف الترتيب التكويني فإنه يبتدىء من الأعلى فنزلاً: الاسم عن نور الذات والباب عن نور النور وهكذا، وإنما أظهر إبراهيم الخليل هذا السلوك التدريجي تعليماً للناس، والنبي يسير في الناس بحسب تعاليمه لهم كما ينزل الشيخ ال رتبة تلميذه ويسايره رتبة ورتبة.

ترتيب (التكوين)

فإن أول موجود من قبل الوحدة الذاتية أمره تعالى ثم خلق ناقص فإن أتم ما خلق الله العقل الكلي ثم النفس الكلية ثم النفوس البشرية، وإنما فعل ذلك تنبيهاً على أن سير السالك لا يمكن إلا بالتدريج، كما قلنا من الصغر إلى الكبر ومن الأضعف إلى الأقوى.

واعلموا أخواتي -رحمكم الله- أن العقول الفعالة السابق منها علة وجود اللاحق، وأما النفوس فلا تكون علة لشيء من الأجرام، نعم عسى أن تكون علة لبعض الأعراض كالحياة التي في جسم الفلك، فبأنها فعل من أفعال نفوسها بل هي أيضاً مفعولات معلولات العقول التي تسري في جسم الفلك بواسطة النفوس.

^١ العيني نسبة الى العين وهو الذات.

المعنى: ولما عرفنا، أنهضنا الله لفهم أسرارهِ. أن السلوك لا يمكن أن يكون إلا من الأضعف إلى الأقوى بحسب الترتيب التعليمي لا بحسب الترتيب التكويني، شرع يعرفنا الترتيب التكويني بأنه أول ما وجد من قبل وحدة الوجود الذاتية الأمر الذي هو قديم الميم. -كما ذكرنا- ثم العقل الكلي ثم النفس الكلية ثم النفوس الجزئية غير أن الخليل سار على الترتيب التعليمي تنبيهاً للسلوك بأنه لا يمكن السلوك إلا بالتدرج، فإن السالك كلما ارتفع حجاباً عن بصره شهد حجاباً آخر أرق وأرفع إلى أن تهتك الحُجب كلها دونه، فيكون حينئذٍ العبد الفاني في الله. ثم شرع يعلمنا بأن العقول الفعالة كل سابق منها علة لوجود اللاحق به، أي أصل في إيجادهِ، وأن النفوس ليست علة لإيجاد شيء من الأجرام، لكن ربما كانت علة لبعض الأعراض كالحياة التي في جسم الفلك، فإنها من أفعال نفوس الفلك لا بل هي أيضاً معلولات العقول، لأن النفوس تستمد من العقول فهي معلولة لها، وما استمدت من النفوس راجع إلى ما استمدت منه النفوس، فالحياة التي بجسم الفلك من العقول أصلاً إلا أنها استمدت من النفوس والحقيقة إن العوالم كلها معلولة لله، وإن العلية ليست كما توهم المتوهمون، مثل علية البناء للبناء والنار للنار والشمس للتببيض والتسويد، بل هي بالتشؤن بمعنى أن المعلول لا بد أن يكون شأناً من العلة ومتقوماً بها، لأن تقابلهما تقابل التصايف والمتضايفان غير منفكين في الخارج وفي الذهن، كقولك كتابة زيد فالكُتابة مضافة إلى زيد وزيدٌ مضافٌ للكتابة، وكلاهما غير منفكٍ عن الآخر فلو لم تكن العلة داخلةً في قوام المعلول لم يكن المعلول، والحال إن المعلولية التي هي السبب بين العلة والمعلول غير ذات المعلول لمن تصوّره بكنهه سفكاً عن تصور العلة والعلية في الحق الأول عين ذاته، كما أن المعلولية الممكن عين ذاته وإن ذات العلة علمٌ وإرادةٌ كله كما أنه وجودٌ كله. ولما لم يكن قوام المعلول فارغاً من العلة كان قوامه علماً وإرادةً لله تعالى.

(المثل للإفاضة (التكوين)

ولا تفهمون هذه العلة^١ والمعلولية فيما بين هذه الجواهر إلا بأن تتصوروا في أنفسكم مثلاً من المحسوس، وهو أن ضوء الشمس متى وقع على ضوء القمر

^١علها العلية وهي السبب الذي بين العلة والمعلول.

ينعكس^١ منه على المرأة، ثم على الماء ثم على الجدار. فهذه الأنوار بعضها نور الشمس وبعضها عكس نوره، وبعضها عكس عكسه، وبعضها عكس عكسه وهذا إلى آخر المراتب. فكما أن نور الشمس أقوى وأشرف من عكسه فعكسه أشرف من عكس عكسه، وعلى هذا فالنفوس عكوس تلك الأنوار والأجسام الفلكية ظلالها والعقول إشراقها والعقل الأول الذي انبجس^٢ من بحر الجود وانفلق^٣ صبح وجوده من شمس الوجود هو نور الأنوار ومفيض الآثار الذي نخوض الآن في شاطئ بحره ونفري^٤ عباب نوره هو ينبوع النور ومدبر الأمور. وأخرها عكس الكل. وأوسطها نور^٥ بالنسبة إلى عكسه الذي تحته. وعكس^٦ بالنسبة إلى عكسه الذي تحته. وعكس^٧ بالنسبة إلى نوره الذي فوقه. فهذا ما أردنا إبراده هاهنا والله الهادي والمرشد لا رب سواه.

المعنى: يقول : ولستم تفهمون هذه العلة في العقول الفعالة الغيبية، ولا المعلوية التي كانت بها النفوس عن العقول حتى تتصوروا لها مثلاً محسوساً وضرب المثل بضو الشمس ينعكس على القمر ثم الضو المنعكس ينعكس على صفحة المرأة، ثم هذا الضو المنعكس على المرأة ينعكس على صفحة الماء، فهذه الأنوار أولها نور الشمس الحقيقي، والثاني عكس نور الشمس، وبواقي أنوار المراتب عكوس^٨ عن عكوس، وكلما كان العكس أقرب إلى النور كان أشرف وأقوى، فالنفوس عكوس أنوار العقول، والأجسام الفلكية ظلالها أي عكوسها، والعقول إشراق العقل الأول (أي عكس نوره) المتفجر من بحر الجود الأزلي والمنشق صبح كيانه من شمس الوجود الأبدية، وهو منبع الأنوار وهو الذي نخوض بمعارفنا شاطئ بحره ونجتأ بما نعلمه أماد نوره وآخر الأنوار عكس ما قبله، وأوسطها نور^٩ بالنسبة لما بعده وعكس^{١٠} بالنسبة إلى ما فوقه. وقد شرح سلطان بن محمد قوله تعالى «يتفيا ظلاله عن اليمين والشمال سجداً لله وهم داخرون» فقال: إن النور الحقيقي هو الله سبحانه وفعله المعبر عنه بالمشيئة فعالم العقول بالنسبة إلى المشيئة كالشخص وهكذا عالم المال وعالم الطبع وعالم الجنة والشياطين، فظل كل عبارة عما دونه من

^١ العكس القلب ورد الشيء إلى أوله.
^٢ انبجس الماء انفجر وتفجر وتبجس أيضاً.
^٣ انفلق: انشق.
^٤ نفري: نجات ونشق.

العوالم وقد استعرض ابن أبي الحديد إفاضات التكوين فقال: مثل هذا القول وأطال إلا أنه سمي هذه العكوس أضواء، فإذا رددت هذه الأنوار إلى مصدرها الأول رأيتهما هي حقيقة إلا تكثرها وتوحدُها وكنت في رتبة الجمع، وإذا اعتبرتها عوالم كل عالم لنفسه وكل مكون لذاته لم تزل في رتبة الفرق والذي عليه المعول أن تحتفظ بالاعتبارين، فليست هي الحق الأول في كثراتها وأنواعها ولا هي غيره في حقائقها ووجوبها ولعل هذا هو الذي عناه الشيخ بقوله:

وذلك النورُ أشخاصٌ مفرقةٌ في إيما صورةٍ أبصرته حسنا
لكنه صمدٌ تعنو الوجوه له والعين تدرك منه قدرَ ما منا

خلاصة التنبيه الثالث من القاعدة الأولى.

أما إثبات وجوده جل جلاله من طريق المعقول فمن وجهين:

أحدهما أن كل مصنوع لا بد له من صانع بقسم الضرورة إذ يستحيل إيجاد نفسه، والثاني أنه يستحيل عدم الصانع مع وجود الصنعة من وجود خلق السماوات والأرض وإتقان صنعتها ودوام الفيض الإلهي عليهما مثل بقاء الظل ببقاء الشاخص والفيض الجلالي مستمرٌ أبداً ، وفي استمرار بقاء الوجود من عالم العقول والنفوس إلى آخر المكونات. وأما إثباته عن طريق المنقول فمن وجهين أيضاً: الأول ما ندب إليه القرآن الكريم بقوله سبحانه: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْخ) (سورة البقرة: من الآية ١٦٤)

ويكفيك من هذا الباب استدلال الخليل بالكوكب والقمر والشمس، قال سبحانه (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (سورة الأنعام: من الآية ٧٥) الخ فالسماوات والأرض هنا عالم الشهادة وأرواحهما التي بها قيامهما عالم العقول والنفوس، والمرء يجب أن يكون سلوكه إلى الله من الأصغر إلى الأكبر ومن الأضعف إلى الأقوى، فيستدل أولاً على وجوده سبحانه من النفس الناطقة التي مثالها الكوكب في عالم الشهادة ثم من النفس الكلية التي مثالها في عالم الشهادة والقمر ثم من العقل الكلي الذي مثالها في عالم الشهادة الشمس. أي يستدل على إثبات الوجود من أمثلة الأنوار الغيبية الثلاثة:

النفس الناطقة، والنفس الكلية، والعقل الكلي. وأمثلتها التي يستدل بها الكوكب والقمر والشمس كما مر ولو ابتدأ السالك الى الله سلوكه من الأقوى الى الأضعف لتلاشى وفني لشدة إشراق النور. وكلمات الله الدالة عليه والمرشدة إليه سبحانه ثلاث: عليا ووسطى وسفلى. فكلما ته العليا، العقول الفعالة، والوسطى، النفوس الفلكية، والسفلى الأجرام السفلية. ولا يعرف السالك هذا في الأنوار المجردة لأنها غيبٌ عنه. وإنما يعرفه في الأنوار الثلاثة من عالم الشهادة: الكوكب والقمر والشمس هُنَّ ظلال الأنوار المجردة القاهرة وهذه الأنوار الثلاثة هُنَّ مثال العقل الجزئي أيضاً والنفس الناطقة الإنسانية والنفوس الثلاث الحيوانية والنباتية والإنسانية. يعني بالنفس الإنسانية هذه النفس التي بها حياة البدن لا النفس الروحانية الناطقة.

فسير الخليل كان في عالم الجسمانيات المحسوسات لا في عالم العقول والنفوس وكان حال سيره هذا غير عارفٍ برب عالم الملكوت، بل كان عارفاً برب العالم المحسوس أي لم يعرف بعد التجلي في عالم الشهادة فلما تجلى له رب عالم الملكوت دُهِشَ لعظمة التجلي وجلال الإشراق، فغشيه نور جلال الجمال الإلهي مثبتاً له، فيادر الى مثال الأنوار الثلاثة في عالم العقول بحسب الترتيب التعليمي من الأضعف الى الأقوى بخلاف الترتيب التكويني، وإنما أظهر الخليل ذلك تعليماً للسالك أن يسيروا من الأضعف الى الأقوى. والعقول الفعالة السابق منها علة لوجود اللاحق والنفوس علةٌ للحياة التي بجسم الفلك فقط لا علةٌ للتكوين، ولا تفهم هذه العلة والمعلولة إلا بضرب مثال محسوسٍ فينقلنا الخيال بواسطته الى العالم المجرد والمثل هو انعكاس نور الشمس على القمر ثم منه على القمر، وهكذا الى آخر المراتب وهذه العكوس بعضها نور الشمس، وبعضها نور نوره وهكذا...

فالنور واحدٌ وتعدد بتعدد العكوس والإفاضات. وعلى هذا فالنفوس عكوس أنوار العقول والأجسام الفلكية عكوس النفوس أو ظلالها والعقول إشراق العقل الأول الذي أشرق عن حضرة الحق سبحانه وآخر الأنوار عكس الكل وأوسطها نورٌ بالنسبة الى ما تحته وعكس بالنسبة الى ما فوقه.

التنبيه الرابع: في إثبات وحدة المعنى القرم

اعلموا أخواني رحمكم الله إن الله تعالى واحدٌ أحدٌ من حيث الاسم أحدٌ من حيث الذات لا إثنان كما زعمت الثنوية^١ دلنا على ذلك إنهما لو كانا اثنتين أو ما زاد. كما زعمت النصارى بالثالوث وقالت به فلا يخلو من أمرين أما أن يكونا قادرين أو عاجزين أو أحدهما قادر والآخر عاجز، فهذه أقسام لابد لهما من بطلان أن يكونا عاجزين لعدم قدرتهما على الإيجاد ولا قائل به.

وأما الاثنان إذا كانا قادرين فنقول:

هل يقدر أحدهما على أن يمنع الآخر عن أرادته؟

فإن كان له قدرة ظهر عجز الآخر عن مقاومته وثبتت القدرة لهذا فكان أحق زائدة بالتأله.

الثنوية اختصت بالمجوس فإنهم أثبتوا أصليين مدبرين قديمين يقسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد ومسائلهم تدور على قاعدتين إحداهما سبب امتزاج النور بالظلمة والثانية سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الإمتزاج مبدأ والخلاص معادا. قال صاحب (بيان السعادة) في شرح قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) (الأنبياء: من الآية ٢٢) لكون الآلهة حينئذ تلمي القدرة وإلا لم يكونوا آلهة وتمازية القدرة تقضي أن يكون كل منهما قادرا على دفع الآخر عن مراده، فإن قيل إن مرادهما يكون قريبا للحكمة فلا ينبغي التدافع يقال الحجة بصفة إمكان التدافع لا بوقوعه، وصحته مستلزمة للفساد وهذا هو استدلال المتكلمين وبيانهم للأية والتحقيق في بيان الآية أنه لو فرض الإهانة فإما أن يكونا قديمين قويين أو حادثين ضعيفين أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا حادثا والآخران خلاف الفرض ومثبتان للتوحيد، وإن كانا قديمين واجبين والوجوب من صفات الوجود، والوجود متاصل في التحقق وتحقق كل شيء لا يكون إلا بتحقق الوجود وهو حقيقة واحدة لا تكثر فيه كما مر مرارا فنكتله لا يكون إلا بأجزاء تضم إليه وكذلك الوجوب فإذا كان القديمان واجبين بالذات كانا واحدا في حقيقة الوجود وتعددهما لا يكون إلا بشئ يضم إليهما ليصح الاتصاف بينهما ويتم الانضمام وهذه الضميمة لا يجوز أن تكون من جنس ذات المهيئات المادية ولا النورية المكونة ولا تكون إلا من جنس المضموم إليه ليصح الانضمام، وإذا كانت من جنسه تكون هي هو فلا تعدد بينهما، وإذا كانت من غير جنسه يصبح مركبا من نوعين وذلك محال، ويكون المفروض للهيئ أصبح ثلاثة، ولما كانت الثلاثة مشتركة في حقيقة الوجود لا تكثر فيه فلا يكون التعدد إلا في ضمائهم أيضا وأقلها ضميمان فيصير الثلاثة خمسة وهكذا. وهذا البرهان بعد إتيان المقدمات من أشد البراهين وأتمها لأنه يؤخذ من النظر إلى حقيقة الوجود من غير اعتبار شئ آخر معها، وسمي برهان الفرجة (أي الفصل) لأنه لا يجوز أن يكونا اثنيين إلا بفواصل وإذا كانت الفاصل كانا متباينين، ولا تحصل المعرفة التامة بالله إلا برفع الخجب والمظاهر ونفي الأسماء والصفات وكشف سبحات الجلال من غير إشارة وذات للعارف كما ورد عنهم اعرافوا الله بالله، يعني لا بظواهره، والحاصل أنه لو كان الواجب متعددا لزم انقلاب الواجب ممكنا وفيه بطلان العدالم وفناء السموات والأرض لأنها ممكنة والممكن ما لم يستند إلى واجب لم يوجد، وصيرورة التعدد واحدا وهو المطلوب أو عدم انتهاء عدد الواجب وهو خلاف المدعي.

وإن لم يقدر على صاحبه في قمعه فهو عاجز، وأن أستويا في القدرة فقد اتحدا وأتحد الذاتين والهيئتين لا يكون إلا بعد المقاومة، لأنهما بعد الاتحاد إن بقيا موجودين فهما إثنان وإن عدم أحدهما فلا اتحاد لأن المعدوم لا يتحد بالمعدوم ولا بالموجود، وأن قلت إتيهما تهادنا هذا لفعل الخير وهذا لفعل الشر وهذا للإيجاد وهذا للإعدام. قلت اجتماع الضدين مستحيل في بديه العقل ويلزم من المهادنة وجود ثالث فوض إلى كل منهما ما يشاء فعله وكان هو أصلاً لهما وكاتا فرعين عنه فثبت لنا التوحيد وبطل الشرك والاتحاد الذي هو صيرورة الذاتين والهيئتين واحدة.

المعنى: يقول: بعد أن أثبت وجود الحق سبحانه مُدلاً على وحدته، إن الله واحدٌ أحدٌ من حيث الاسم واحدٌ أحدٌ، من حيث الذات، لا كما تزعم الثنوية القائلة بالهين إله للخير وإله للشر، إذ لو كانا اثنين أو ثلاثة كما زعمت النصارى فلا تخلو من أن يكونا عاجزين أو قادرين، ولا من قائل بأنهما عاجزان، فلم يبق إلا أنهما قادران فسأل القائل بذلك هل يقدر أحدهما من منع الآخر من مراده أم لا، فإن كان أحدهما قادراً على منع صاحبه من مراده كان أحق بالتأله، وإن لم يقدر فهما عاجزان، ومنع الاثنان من التأله، وإن زعم أنهما أستويا في القدرة فقد اتحدا، فكانا شيئاً واحداً وبعد الاتحاد إن بقيا موجودين بقيا اثنين وبطل الاتحاد، وإن عدم أحدهما فلا اتحاد بواسطة العدم وإن زعم أنهما تهادنا أن يعمل كل منهما عملاً مخصوصاً به من الخير والشر، فالمهادنة لا تكون إلا بعد مقاومة واجتماع الضدين مستحيلٌ بداهة، إذ فاعل الشر وفاعل الخير ضدان، فكيف اجتماعهما على الاتفاق ويلزم لذلك إله ثالث فوض لكل منهما ما يشاء لأن يفعل، وهذا الثالث يكون أصلاً لهما وهما فرعاه فبذلك وبإبطال هذه الزعم جميعاً ثبت التوحيد العيان على الأضداد بعض الأدلة وقد تناول صاحب (الحجة) ذلك بحُجج قوية كما هو مشهور عنه ومن أرادها حُججاً لا تَرُدُّ فليرجع إلى كتاب الاحتجاج فيرى رد النبي على اليهود والنصارى والثنوية والدهريين، قال للثنويين: ما الذي دعاكم لما قَلِّتموه، قالوا: وجدنا العالم صنفين خيراً وشرّاً فأفكرنا أن يكون الفاعل واحداً، فالتلج محالٌ أن يُسخنَ والنار محالٌ أن تبردَ قال: قد رأيتُ سواداً وبياضاً وحمرةً وصفرةً وخضرةً وزرقةً وكل واحدةٍ ضد سائرهما لاستحالة اجتماع مثلين منهما في محلٍ واحدٍ، كما أن الحرَّ والبرد

ضدان لاستحالة اجتماعهما في محل واحد، فهلا أثبت بعدد كل لون صانعاً قديماً ليكون فاعل كل ضد من هذه الألوان غير فاعل الضد الآخر ثم قال: فكيف النور والظلمة وهذا من طبعه الصعود وهذا من طبعه الهبوط؟ أريتم لو أن رجلاً أخذ شرقاً والآخر أخذ غرباً أيجوز أن يلتقيا قالوا لا. قال فوجب ألا يختلط النور والظلمة فأفحموا. وردَّ اليهود والنصارى ردّاً مُخجلاً مضحكاً.

صحة الاتحاد

وأما إذا كان الاتحاد لمنزلة ظهور الواحد في مراتب الأعداد فيظهر العدد فأنه صحيح من هذا الوجه ويكون الدليل مخالفاً للحس^١ فيكون له وجهين كالكتابة عن حركة يد الكاتب حتماً وبدليل أن الله تعالى خالقها وأنها أثر القدرة القديمة للمحدث. وأيضاً معلوم أن الواحد أصل وما زاد فرع ومتى ثبت الأصل تقدم وجوده على الفرع والفرع يفتقر إلى الأصل والأصل لا يفتقر إلى الفرع كما قلت شعراً:

فأفراد كل ليس كلاً أنا نعم ولا هو غيري لإتحادي بجملتي
فما الفرع عين الأصل في واحدة ولا الأصل عين الفرع في أحديّة

وبالجملة فلا حاجة لنا في إقامة الدليل في أثبات الوجدانية لله تعالى فإنّ المشاهدة^٢ تمنع عن الجدل في الله وفي وحدانيته، وقال الله تعالى (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (سورة إبراهيم: من الآية ١٠) ولكن يقال للمشارك نحن وإياك مجمعون على واحد وأنت زدت عليه فما الدليل على أثبات الزائد فهو يتكلف طلب الدليل عليه لا نحن.

المعنى: ولما أثبت وحدانية الله سبحانه وأن الاتحاد بين شكلين متباينين محال، قال: وأما إذا كان الاتحاد هو ظهور الواحد في مراتب الأعداد تتركب منه وبه

^١ الحس: إحدى الحواس الخمس، وعند الحكماء الحس المشترك هو القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات بالحواس الظاهرة.
^٢ المشاهدة إحدى الرتب الثلاث عند الصوفيين وهي الفراسة والمكاشفة والمشاهدة وسيأتي الكلام عليها مفصلاً عند تكلمه عنها.
فاطر: خالق.

تظهر، فهو صحيح من هذا الوجه، ولكن هذا الاتحاد مخالف للواقع المحسوس ولا يُعرف إلا بالعقل، فيكون حينئذٍ للاتحاد وجهان: ظهور الواحد في مراتب الأعداد ودلالته على التكوين بتنزل الوجود في عالم الغيب كالكتابة مثلاً، فإنها حركة يد الكاتب حتماً وهي الحقيقة أثر قدرة الله القديمة لا قدرة الكاتب المحدث (أنسا قلمً والاقتدار أصابع)، والاتحاد المذكور عند الصوفية ليس المراد به صيرورة الذاتين ذاتاً واحداً، فإن ذلك محال بل هو انسلاخ التعددات العارضة لكل كليّ بظهور أمرٍ أقوى منه حتى يعود واحداً كما كان، فبين الإنسان الواصل إلى رتبة العقل وبين العقل أن الإنسان يأخذ عن الله بواسطة العقول والنفوس ويأخذ عنه بحكم وجوبه بلا واسطة، وكذلك الأعداد فإنها وإن كانت دلالة الأشياء المحدثه فإنها دلالة الفيوضات عن الواحد جل جلاله، وأيضاً معلومٌ لا مرية به أن الواحد أصل الأعداد، وما زاد عليه من العدد فرعٌ له والأصل بكل شيءٍ متقدمٌ على الفرع وكذلك ما زعموا من تعدد الآلهة، فالأول هو الأصل وما زاد عليه مما زعموا هو الفرع. وستشهد على حقائقه هذه بما نظم.

إنني لست أنا كل الأشياء لانفراد كل الأشياء عني وانفرادي عنها، ولا كل مجموع الأشياء بمختلف الأشياء غيري لأنني مُتَّحِدٌ بجملتي، وجملتي هي الكل الذي لا يتجزأ (وقد علمت جمع الإنسان للجموعات) وأنا غير الأصل الذي كانت عنه المكونات لأنني فرعٌ عنه والأصل لا يكون عين الفرع في المظهر الواحد المنفعل عن ذات الأحد، كما أن الفرع لا يكون عين الأصل في الحقيقة الأحدية، وبالجمله فإنه لا يرى حاجة لطلب الأدلة على وحدانية الله فإن مشاهدة الكَمَلِ تمنع من الجدل والتحكُّل في إثبات وجود الله وحدانيته قال سبحانه (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (إبراهيم: من الآية ١٠) وعلى المشرك إثبات الزائد على الإله الواحد لا علينا.

تنزيه (الحق حتى عن الأحمر)

وقد قيل التوحيد أن يتحقق أن الله عزّ وعلا مبدع الأحد وخالق الواحد وأن الواحد عبْدٌ من عبيده والأحد حدٌ من حدوده إذا كان الله عزّ وجل قد تنزّه عن كل

إسم 'وعلا عن كل صفة، وكل مسمى ألا ترى إن الواحد هو أصل الأصول والأعداد وبه تركب الأزواج والافراد وأن العدد خارج عن صفة المعدود وأن الأحد هو اسم أول يوم يُعرف من الأيام فيتعالى أن يتسمى به مبدع الأسماء..

يقول: والتوحيد أن تتحقق أن الله عز وجل مبدع الأحد أي مكونه على غير مثال وكأنه أراد قديم الميم، وهذا لا ينافي ما ورد في كتب الدين من أن الأحد اسم خاص للمعنى، فإن المعنى منزلة عن الأسماء والصفات، وهي واقعة على الاسم وهو سبحانه خالق الواحد الذي هو محدث السيد محمد وإن تتحقق أن الواحد عبث من عبده، والأحد حد من حدود معرفته، حيث أن المعنى منزله عن كل اسم، وعليه عن كل صفة، لأنه لو كان له اسم وصفة لكان ذلك الاسم هو الدليل عليه، (وليس عليك

إن أسماء الله سبحانه عبارة عما يدل عليه من لفظ أو مفهوم أو جوهر عيني، وإطلاق الاسم في الأخبار على الذات العينية كثيرٌ والفرق بين الاسم والصفة إذا اعتبر في الاسم معنى من المعاني كالفرق بين المشتق ومبدأ الاشتقاق كالعلم والعالم، فإن العلم لا يدخل تحت شرط لأنه مجرد قائم بذاته يضم الشروط كلها بخلاف العالم، ولذلك لا يصدق على الذات الموصوفة به فيقال زيد قائم بذاته يصدق عليه العالم، وذات الباري علم قائم بذاته كما أنه عالمٌ، وللأسم اعتباران الأول كونه إسما ومرتبة للمسمى وبهذا الاعتبار لا يكون له وجودٌ مغاير للمسمى، والثاني كونه رقيقة من المسمى ونفسية له، فقولك زيدٌ لا يكون الحكم فيه إلا على المسمى إلا إذا اعتبرنا ألفاظه مثل الكلمة والمركب والأحرف وغير ذلك، فهذا الاعتبار لا يكون الاسم مظهر للمسمى ولا دالاً عليه، وإلى هذين الاعتبارين أشار سبحانه بقوله: إن هي إلا أسماء، يعني أن الأشياء برمتها دالة على الله، وكل دال على شيء فهو اسم له. ليست سميات ومنظوراً إليها ومستقلات مغايرات لله "سميتوها أنتم" يعني أنكم صرتم محجوبين عن المسمى ناظرين إلى الأسماء. والناس في هذا النظر إلى الأسماء خمسة أقسام ناظرٌ إليها من حيث أنها أسماء الله، غافلاً عن وجودها وعن النظر إليها، أو شاعراً بالنظر إليها، وهو الذي يعبد المسمى بابقاع الأسماء عليه ويكون موحداً، وناظرٌ إليها من حيث أنها سميات غافلاً عن المسمى وهو الذي يعبد الاسم دون المسمى يكون كافراً، وناظرٌ ينظر إليها مستقلاتٍ وإلى الاسم مستقلاً عنها وهو الذي يعبد الاسم والمسمى ويكون مشركاً، وناظرٌ ينظر إليها من حيث أنها أسماء غافلاً عن نظره إليها وهو المجذوب الذي رفع عنه القلم ولا حكم له في الكثرات، وناظرٌ ينظر إليها من حيث أنها أسماء شاعراً بنظره وهو الكامل الجامع بين الطرفين. والنظرات الثلاث الأخيرات الأول منها هو الواقع في النشأة الموسوية (وهي مادية بحتة) والثاني الواقع في النشأة العيسوية (وهي روحانية بحتة) والثالث الواقع بالنشأة المحمدية (وهي مادية بحتة) وهي نظرة الكامل وإلى ذلك أشير بقوله تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) البخ (الفصح: ٢٩) واعتبر ما ذكر من تقسيم الاسم بحيث الكافر والمشرك والمجذوب والكامل، ونشأت الكامل الثلاث بالمرأة فقد تنظر إلى المرأة وهيئتها من غير صورة فيها. وقد تنظر إليها من حيث رؤية الصور فقط من غير شعور بها وبشكلها، وقد تنظر إليها من حيث استكمالها وصفاتها وإلى الصورة فيها، وقد تنظر إلى عكس الصور فيها فقط شاعراً بنظره وما ورد في جواب هل الخلق في الله أم الله في الخلق من قوله أخبرني هل أنت في المرأة أم المرأة فيك يشير إلى هذا، وكل ما ذكر من تقسيم السماء على ركب السلاك لا يخرج عما ذكر من الفئات الثلاثة وفي الأصفى فصول إضافية عن الاسم والمسمى. المبدع المكون على غير مثال.

غيرك من يدل) وكيف يُسمى. وتعالى الله، بإسم هو سماه وبصفة هو أقامها، ألا ترى أن الواحد هو أصل الأصول والأعداد وبه تتركب الأزواج والأفراد، وأن العدد غير المعداد، والأحد هو أول يوم يُعرف من الأيام، فكيف يسمى به مبدع الأيام وحيث عرفت مما تقدم معنى الاسم والمسمى هان عليك أن تعلم أن الاسم إذا أردت به ذات المسمى فهو ذات المسمى وإذا أردت به غير المسمى فهو غير المسمى وما نُزّه به الباري عن الاسماء والصفات فهو الحد المجهول: لم يفرقوا بين المسمى واسمه ولغير رسم الاسم لم يتعبدوا.

خفاء التوحيد

فدقق فيه فكرك فهو خفي لقول الرسول (ص) الشُّرك في أمتي أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على المسح الأسود.

وإذا كان الشرك خفياً فالتوحيد أخفى وأخفى.

فالواحد والموحد عبدان لله تعالى مُقرَّان في العبودية، فالواحد هو أول مُبدع أبدعه الله تعالى بغير زمان وجعله عين الوحدة المُفيض بلطائف حكمه على العالمين. الروحاني والجسماني. وجعلهما مفعولين تحت أحاطته، ثم سماه عقلاً كلياً. والموحد هو الرسول في زمانه والإمام في عصره وليس له شبيهاً ولا نظيراً ولا شريكاً في منزلته إذا كان الواحد هو الفاعل والموحد هو المفعول به والمبدع جل جلاله قد تنزّه عن كلام الواصفين، إذ فما من صفات خلقه فتحقق إن أسمائه وحجبه وصفاته عبيده. وإبه تعالى غير مسمى ولا موصوف وهو منزّه عن الاسم والصفة.

المعنى: يقول: فدقق أيها المؤمن المُنتقِبُ عن التوحيد في فكرك ناظراً الى قوله الشرك في أمتي خفي لا يُعرف ولا يُحس، ولعلك نظرت الى ما تقدم آنفاً من تقسيم نظر الناس الى الاسم والمسمى، وكيف أن الإشراك بهذا التقسيم لا يُحس إلا بنظر ثاقب ومع خفاء الشرك هذا الخفاء الشديد، فالتوحيد أخفى وأخفى، فالواحد والموحد عبدان لله مُقرَّان بالعبودية، لأن الواحد ابتدعه الله على غير مثال وجعله ذات الوحدة التي أفاضها على مكوناته. كما تقدم. وجعل العالمين عالم الشهادة وعالم الغيب مفعولين له فكيف يكون هو الله القديم والموحد هو الرسول الداعي الى الله

وهو الامام في الناس وليس له شبيه ولا مثيل فكيف بمبدعه جل جلاله والموحد فاعل والموحد مفعول به فكيف يكون فاعل الفعولات مفعولاً به تعالى الله، فتحقق بهذا التحقيق. إن حُجِبَ الله أسماؤه وصفاته عبيده وهي جميعاً السيد محمد وهو تعالى لا موصوف ولا مسمى ومنزه عن كل اسم وصفة

قال الأمير:

إذا وصفَ العشاقُ معنىَ جمالكم فتنزَّيهُ عن كل وصفٍ له وصفي
وإن عبَّروا باللفظ عنه فإبني أقول مُعَيِّدُ اللطفِ جَلَّ عن اللطف
وإن عرفوه بالأسامي فإنما به للأسامي والكنى تمَّ لي عرفي

الصفات والأسماء طريق لا مقصر:

فإن التوحيد هو أن تنفي عن الخالق صفة المخلوق الذي لا ينفي عنه صفة الخالق، ولا يجوز في الحكمة نفي ما كان منفياً، لأن الخالق لم يزل منزهاً عن صفة خلقه ولم يزل المخلوق منفياً عنه صفة الخالق، فإن قيل الأسماء والصفات زائدة على الذات قلنا هذا هو الشرك بعينه. وأن قيل هي هو قلنا لا يجوز في الحكمة عبادة اسم ولا صفة، إذ كاتا يدلان على مسمى أو موصوف فوجب أن يكونا طريقاً لامقصد، لأن كل اسم وصفة محدود إذ كاتا داخلين تحت الإحاطة والهجاء التي هي حروف أ ب ت ث. ألم تسمع قوله تعالى (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) (النجم: من الآية ٢٣).

المعنى: يقول: بعد أن نزه حضرة الحق جل جلاله عن الأحد والواحد، وأنه لا يجوز أن يكون موحداً فيكون مفعولاً به، والموحد هو الفاعل فالتوحيد أن تنفي عن الحق الخالق صفة العبد المخلوق، لأن المخلوق المكون لا يجوز أن يتصف بصفة الخالق عز عزه غير أن هذا العبد المخلوق لا تنفي عنه صفات الخالق، لأن أهميات الصفات الإلهية الأربعة التي هي الحياة والعلم والإرادة والقدرة. كما مر. ملازمة لكل كائن من إفاضات الوحدة على المكونات هذا عدا عن غيرها من الصفات التي يتصف بها الإنسان كالرحيم والكرم وما أشبه ومعاني هذه الصفات

المتجلية بالإنسان هي لله خالصة، ولذلك لا يُنفى عن المخلوق صفة الخالق لأنه لا يجوز في الحكمة نفي إلا ما كان منفياً أصلاً، وهذه الصفات غير منفيات، لأنها لله لا لغيره (وقد مر بك أن الإنسان جامع لجميع الجموعات من أعلى درجات الجبروت إلى أسفل دركات الناسوت) ولا يجوز في الحكمة نفي هذه الصفات، فالخالق منزلة عن صفات الخلق كالعجز والموت وما أشبه، فيجب أن تنفي عن المخلوق صفة الخالق كما ذكرنا. فإن قيل إن الأسماء والصفات زائدة على الذات قلنا هذا هو الشرك ولزمننا القول بالهين وآلهة وإن قيل هي الذات قلنا لا يجوز في الحكمة عبادة اسم ولا صفة من حيث أنهما دلالة على مسمى موصوف فأبطلنا العبادة حينئذ، فوجب إذ ذاك أن يكون الاسم والصفة طريقاً مؤدية إلى الله لا غاية مقصودة. لأن كل اسم وصفة محدودان داخلان تحت الإحاطة وتحت حروف الهجاء، قال الله تعالى (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا. التَّح) (النجم: ٢٣) (ومر شرحها) غير أن هؤلاء السنة يزعمون أن صفات المعاني التي هي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر زائدة على الذات، بمعنى لو كشف عن المكلفين الحجاب لرأوها خلافاً للمعتزلة، ويزعمون أن سبب إنكار من أنكرها هو أنهم شهدوا الذات في مرآة الصفات، ومن المعلوم أن المرآة قد تخفي عن نظر الرائي حالة نظره إليها متعرفاً على ما يتجلى فيها، فحكموا بعدم وجودها إذ ما كان موجوداً يجب أن يكون مشهوداً، فحيث لا شهود لا وجود، وقال بعضهم لا أرى بأساً باعتقاد أحد طرفي النفي والإثبات ولكن (آل كاشف الغطاء) قال: إن صفات الله منتزعة من حاق ذاته وحاق حقيقته المقدسة وذاته في أشد ما يكون من الوحدة، والبساطة وهي منشأ تلك الصفات من غير تكثر أو شيء زائد على الذات وخطل من قال بالزيادة

والأخبار عن أهل العصمة مستفيضة بذلك، والأشعرية (وما اضلهم) يزعمون أن الله عالم يعلم زائد على ذاته حيّ بحياة زائدة عليها وهكذا. وقد ذكر صاحب (حجة العارف) للصفة والموصوف والاسم والمسمى وفرق بين أسماء الخلق والحق بأن أسماء الحق أشخاص وأسماء الخلق عبارات وقد أتى تحقيق ذلك بـ (الدين والاسلام) لآل كاشف الغطاء.

الحيرة:

وبالجملة ماثمٌ إلا الحيرة^١ وصورة الحيرة في ذلك إن من اثبت أعيان الأسماء والصفات زائدة على الذات المسماة والموصوفة، فقد اثبت العدد والكثرة في الله سبحانه، وهو واحد من جميع الوجوه، فكيف يكون هذا؟ وإن قلنا لا يلزم من هذا إثبات العدد على وجه ما، فثم ما هو أشد علينا من العدد وهو أن تكون الذات كاملة بغيرها وكل كامل بغيره ناقصاً في ذاته. ومن نفى أعيان الصفات فر من الكثرة والنقص. لكن تلقاه أمر آخر وهو أن الحكم لا يقدر من جهة الدليل الذي نصبتموه على معرفة الله تعالى. إن ثبت هذه الأحكام للذات مجردة فإثباته إذا ثبت كونه قادراً لنفسه وقع الفعل أولاً وهو محال، وإثباته لنفسه قادراً محال.

المعنى: يقول بعد أن عرفت أن الله سبحانه لا يجوز أن يُعرف باسم ولا صفة، ولا يعرف بغيرهما، قال وبالجملة ما هناك إلا الحيرة وصورة الحيرة في ذلك أن إثبات الأسماء والصفات على أنها زائدة على الذات التي سميت ووصفت يثبت التعدد والتكثر في الذات الأحدية، وهي واحدة من جميع الوجوه، وإذا قلنا أن الصفة هي الموصوف، والاسم هو المسمى كما تقدم فلا يلزم من هنا التعدد ولا الكثرة في الذات الأحدية على وجه من الوجوه، فهناك ما هو أشد من العدد وهو أن تكون الذات كاملة بغيرها، وكل كامل بغيره ناقص بنفسه، ومن نفى الصفات نفى الكثرة والنقص في الله سبحانه، لكن تلقاه أمر آخر وهو أن الحكم على وحدانية الله تعالى لا

^١ الحيرة مصدر حار يخار حيرةً وحيراً وحيراً وحيراناً: نظر إلى الشيء فغشى بصره، ولم يهتد سبيله وسياتيك تعريفها باصطلاحهم.

قال أرسطوطاليس إن واجب الوجود لذاته عقل لذاته وعقل معقول لذاته، وأما أنه عقل فلأنه غير محبوب ذاته عن ذاته أو بغيره والأول يعقل ذاته ثم من ذاته يعقل العالم بصفة واحدة من غير احتياج إلى انتقال وتردد من معقول إلى معقول، وإنه ليس يعقل الأشياء على أنها أمور خارجة عنه، فيعقلها منه كحالنا عند المحسوسات، بل يعقلها من ذاته وليس كونه عقلاً وعقلاً بسبب وجود الأشياء المعقولة، حتى يكون وجودها قد جعله بل الأمر بالعكس، أي عقله الأشياء جعلها موجودة، وليس للأول شيء يكمله فهو الكامل لذاته المكمل لغيره فلا يستفيد وجوده من وجود كمالاته، ولو كان يعقل الأشياء بواسطة التعلم كحال البشر لكان وجودها متقدماً على وجوده، وكان قبوله معرفة الأشياء بالقوة والاستعداد لا بالفعل من حيث يكمل بما هو خارج عنه وإذا فرضنا أنه لم يزل ولا يزال موجوداً بالفعل فيجب أن يكون له من ذاته الأمر الأكمل الأفضل لا من غيره، وإذا عقل ذاته عقل ما يلزمها لذاتها بالفعل وعقل ما يصدر عنه على ترتيب الصور عنه وإلا فلم يعقل ذاته بكنهها ولئن كان ليس يعقل بالفعل فما الشيء الكريم له وهو الناقص كماله فيكون حاله كحال النائم ولئن كان يعقل الأشياء من الأشياء فتكون الأشياء متقدمة تتقوم بما يفعله ذاته.

يمكن من جهة هذا الدليل الذي زعمته بأن تثبت أحكام النوع للذات مجردة عن الاسماء والصفات، لأنه إذا ثبت أنه قادرٌ لنفسه (والقدرة صفةٌ من صفاته) وقع الفعل أزلاً معه وهو لا شك قبل فعله ولا تُعرفُ القدرة إلا بعد إيجاد الفعل، وذاك مُحالٌ وهذا التحقيق كما تراه قوي الحجة سديد المرمى، الذي أعطاه إياه هو مشاهداته التي أرته حضرة الحق سبحانه به لا تسعه الألفاظ ولا التصوير، ومن المجاز البعيد وضيق خناق اللغة ما ينعنون به حضرة الحق سبحانه والذي رأيناه عند الموحيين وغيرهم أن الله كاملٌ بنفسه مكملٌ لغيره كما تقدم عن أرسطاليس.

ثم إن القلب لا يجد ذلك الجلاء^١ بقياس الشاهد على الغائب لاسيما وقد عرف مأخذ^٢ العقول من أين هو ومن أين تركب براهينها وأدلتها، فالقصور بها منوط^٣ والأقدام على هذه الأمور غير حسن الإمكان وكل ما لا يمكن حصوله إلا بالمشاهدة والرؤية والتعريف فحصوله من غير هذا الطريق أفتيات^٤، على المقام وجرأة فالأولى لأصحاب العقول بالموجود وأحكام الصفات ولا سبيل لمعتراض لنفيها ولا لإثباتها، فإن العقل أعجز عن أن يقف على مثل هذا بل على أقل شيء فما ذلك إلا حيرة^٥ في حيرة، فلو كان الله ظاهراً لما صح هذا الخلاف. ولو كان الله

الجلاء: كشف الأمر وإظهاره.

المأخذ: المنهج جمعه مأخذ ومأخذ الطير مصايدها أي مواضعها التي تؤخذ منها.

منوط: معلق ولعله من ناطق الدار أو مأخوذ من قولهم هو منوط بالقوم أي دخل فيهم.

أفتيات الكلام نابذعه وأفتات في أمره: مضى عليه ولم يستشر أحداً، فلان لا يفتات عليه أي لا يفعل شيء دون أمره ونقول لمن أحدث شيئاً في أمرك دونك قد أفتات عليّ فيه ومنه قول الحريري، ما تأوّه لعيش فات ولا لدهر أفتات.

قال ابن عربي: الحيرة معرفة ذاته تعالى بأحد الطريقين: الأدلة العقلية والمشاهدة، فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة والدليل السمعي أو ما إليها وما صرح وما أدرك العقل بنظره إلا صفات السلوب لا غير، وهي نفي التركيب ونفي الجسم والعرضية ونفي تجليه للحوادث ونفي الشريك ونفي الاحوال ونفي الاحتياج، ويسمى هذا معرفة، والشارع قد نسب إلى الله أموراً كالظهور والتجلي والصورة وصف الله بها نفسه تحليها الأدلة العقلية إلا بتأويل يمكن أن يكون مقصود الشارع ويمكن ألا يكون وقد لزمه الإيمان والتصديق بما وصف به نفسه لقيام الأدلة عنده بصديق هذه الأخبار عنه أنه خبر بها عن نفسه في كتبه مثل (إيا حسرتي على ما فرطت في جنب الله، أينما تولوا فثم وجه الله، ولتصنع على عيني، إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وما أشبه. أو على السنة رسله، فتعارض هذه الأمور مع طلبه معرفة ذات الله تعالى والجمع بين الدليلين أوهم في الحيرة، فرجال الحيرة هم الذين نظروا في هذه الدلائل واستقصوها غاية الاستقصاء إلى أن أراهم الله ذلك النظر إلى العجز والحيرة فيه قال (ص) اللهم زمني فيك تحيراً فإنه كلما زاده الحق علماً به زاده تحيراً، لاسيما أهل الكشف لاختلاف الصور عليهم عند الشهود، فهم اعظم حيرة من أصحاب النظر في الأدلة بما لا يتقارب، فإذا علمت أن ثم ما لا يُعلم فذلك هو العلم بالله وكان الدليل على العلم بالله عدم العلم به، فإذا فتح الله للبعد باب الانكار وتلاوة القرآن وتفرغ المحل من النظر إلى الممكنات

غير ظاهر ما كان الله وما كان إلّا أنا ولا بدّ من الله، فلا بدّ من الخلاف والله اعلم وأحكم.

المعنى: يقول: إن القلب لا يعرف هذا الأمر المبهم بأن يقيس أسماء الله سبحانه وصفاته على أسماء الأشياء وصفاتها، وقد عرّف من أين يؤخذ العقل من الحجج والبراهين والأدلة، فالعقل لا يؤمن إلّا بما تعقله وعرفه بالإقدام على هذه الأمور افتياتاً على الحضرة الإلهية، ولا يمكن معرفة الأسماء الإلهية والصفات الأزلية إلّا عن طريق المشاهدة والرؤية، وادعاء حصول هذه المعرفة من غير هذا الطريق محلّ وافتيات على الذات العلية، فالأولى لأصحاب العقول الوقوف عن القول بأحكام الصفات والأسماء، إذ لا سبيل لمتعرض لنفيها ولا لإثباتها لأن نفيها نفي الذات الأحدية، وإثباتها يوجب الشرك، والعقل أعجز من أن يقف على معرفتها، بل على أقل شيء منها فما كان هذا الاختلاف بين معرفة الذات والأسماء والصفات، لأنه يكون حينئذٍ مرئياً مدركاً، وتعالى الله ولو كان الله ظاهراً ما كان هو الله المنزه عن الحدود والإدراك والرؤية، وما كان الظاهر إلّا خلقه الذي هو أسماؤه وصفاته، ولا بد من الله وإلا قلنا بالتعطيل وبطل الوجود، ونعوذ بالله ولا بد حينئذٍ من الخلاف بمعرفة الذات والأسماء والصفات، قال الشاعر:

ما وَحَدَ الواحِدَ مِنْ واجِدٍ إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَدَهُ جاجِدُ
توحيدُ مَنْ ينطِقُ عن نَعْيِهِ عارِيَةً أبطلها الواحِدُ
توحيدُهُ إيّاهُ توحيدُهُ ونعتُ مَنْ ينعتُهُ لاجِدُ

والحضور والمراقبة مع طهارة الظاهر بالوقوف عند الحدود المشروعة وغيض البصر عن العورات وغيرهما وإرساله في الأشياء التي تعطيه الاعتبار وتزيل التفكير في نفسه جملة حصل له تجلٍ إلهي فوصفه بقدر ما جاءت به الأنباء الإلهية يُطلق الأوصاف إيماناً خالياً من غير تحقق لمعانيها، فيكون بحسب ما يعطيه ذلك الأمر، فيتخيل أنه بلغ المقصود فيقوم له تجلٍ آخر بحكم آخر فيكون حكمه فيه حكم الأول، فتتوالى التجليات، فيعلم أن لا نهاية لها ويعلم أن الهوية الإلهية لا يصح أن تتجلي له فيزيد حيرة فيها لذة وحيرة المكاشفين أعظم من حيرة أصحاب النظر فهؤلاء ما برحوا بالأكوان التجليات أشد من حيرة النظر، قال الأمير:

واحيرتني عنك إذا لم تزد في حيرتني فيك بنور الدليل

ولكن ابن عربي: قال إن الأسماء الإلهية تُنسب، وإضافات ترجع الى عين واحدة إذ لا يصح هناك كثرة بوجود أعيان فيه، ولو كانت الصفات أعياناً زائدة على الذات وما هو إلا بها؛ إله لكانت الألوهية معلولة بها، فلا يخلو من أن تكون هي عين الإله أو لا تكون السماء والصفات أعياناً زائدة على ذاته، وليس له صفة ثبوتية إلا صفة واحدة لا يجوز أن يكون له اثنتان فصاعداً، إذ لو كان لكانت ذاته مركبة منها أو منهن والتركيب في حقه مُحال فإثبات صفة زائدة ثبوتية على واحدة مُحال.

خلاصة التنبيه الرابع:

إن الله سبحانه واحدٌ أحدٌ من حيث الذات ومن حيث الاسم، لا اثنان كما زعمت الثبوتية ولا ثلاثة كما زعمت النصارى، فلو كان اثنان لكانا إما قادرين وإما عاجزين أو أحدهما قادرٌ والآخر عاجزٌ، ولا بدُّ من إبطال نسبة العجز الى أحدهما لتصح الألوهية، وإن استويا في القدرة فقد اتحدا، فإن بقيا اثنين بعد الاتحاد فلم يكن اتحاداً وإن لم يبقيا اثنين ثبتت الوحدة، وإن قيل تهاننا هذا لفعل الخير وهذا الفعل الشر فاجتماع الضدين مستحيلٌ بداهةً، ويلزم للمهانة وجود إله ثالث فوض الى كل ما يشاء له أن يفعل فثبتت الربوبية له دونهما، ولا تكون المهانة إلا بعد مقاومة فثبت التوحيد وبطل الشرك، والاتحاد مُحالٌ إلا إذا كان بمنزلة ظهور الواحد في مراتب الأعداد، لأن الواحد يرافق مراتب الأعداد كلها لكن يكون للاتحاد حينئذٍ وجهان:

وجهٌ للوحدة، ووجهٌ للكثرة في مراتب الأعداد كالكتابة مثلاً، فإنها حركة يد الكاتب حتماً، وبالحقيقة هي أثرُ القدرة القديمة لا المحدث، لأن الفاعل هو الله فقط، والواحد أصلٌ للأعداد، والأصل متقدم على الفرع، فثبت التوحيد وبطل الشرك، والمشاهدة تمنع من الجدل في الوجدانية، والتوحيد كما قيل: أن يتحقق أن الله مبدع الأحد وخالق الواحد، وإن الواحد عبدٌ من عبيده والأحد حدٌ من حدود معرفته، فالواحد أصل الأعداد والعدد خارجٌ عن صفة المعدود، والأحد اسم أول يومٍ من الأيام، فما الذي أدخل حضرة الحق في هذه الأشياء. فنقق في فكرك، فالأمر خفي جداً ونقيق كثيراً، قال (ص) الشرك في أمتي أخفى من ديبب النملة السوداء في الليلة الظلماء، والتوحيد أخفى من الشرك وأخفى، والواحدُ والموحدُ عبدان لله، الواحد أول مبتدع جعله الله عين الوحدة المُفاضة على المكونات، والموحد هو

الرسول الى الخلق، والموحِّدُ فاعِلٌ والموحِّدُ مفعولٌ به، فكيف يجوز أن يكون سبحانه موحِّدًا فيكون مفعولاً تعالى الله. فحقيقة التوحيد أن تنفي عن الخالق صفة المخلوق العاجز الذي لا تنفي عنه صفة الخالق التي بها قيامه وأفاضها عليه من اسمائه الذاتية كالحياء والعلم والإرادة والقدرة، ومن غيرها كالكريم والعليم وما أشبهه، فهذه لا يجوز نفيها عن المخلوق وإلا لفني المخلوق وبقيت صفات الخالق فقط، بل يجب إرجاعها الى أصلها، فالخالق منزلة عن صفات المخلوق التي هي الأعدام الإمكانية، والمخلوق منفيٌ عنه صفات الخالق التي هي كل ما يقوم به المخلوق. قال أحدهم ما معناه تنزلُ الله سبحانه عن عروش صفاته ورَفِيع كبريائه بصفاته الإمكانية لطفاً منه ورحمةً ومنأً، فأعطاك من صفاته وأسمائه ما جعلك سميعاً بصيراً عليمًا قديرًا، فمن الحكمة أن تُرجع إليه صفاته التي أعطاك وتسترجع صفاتك منه فلا تنازع الكبرياء والعظمة ولا العلم والقدرة، فإذا قلنا إن الصفات زائدة على الذات أشركنا والعياذ بالله كالأشاعرة، وإن قلنا هي الذات عبدنا الموصوف المسمى وتعالى الله وبالجمله ما ثمَّ إلا الحيرة فمن أثبت أعيان الصفات زائدة على الذات فقد أثبت الكثرة في الذات، والله واحدٌ من جميع الوجوه، وإذا قلنا الذات هي الصفات فلا يلزم من هنا تكثرٌ تلقنا ما هو أمرٌ وهو ثبوت الاسماء والصفات للذات مجردة عن المظاهر، فإنه إذا ثبت كونه قادرًا لنفسه وقع معه الفعل أزلاً، لأنه لا يثبت أنه قادرٌ إلا بعد الفعل وذلك محالٌ، فإثباته قادرًا لنفسه محالٌ، وهذه المعارف لا تعرف بقياس المشهود من أسماء الذوات وصفاتها، ولا يمكن حصولها إلا بالمشاهدة، وإحاطها من غير هذا الطريق افتياتٌ على مقام الله، فإن العقل أعجز من أن يقف على هذا، وما ذاك إلا حيرة في حيرة، فلو كان الله ظاهراً لما كان الله بعظيم سلطانه وقهره وما كان إلا الأسماء والصفات، وإلا النظر للذات ولا بُدَّ من الله وظهوره وحينئذٍ لا بُدَّ من الخلاف.

(التنبيه الخامس: في إثبات وحدة (الباري تعالى وظهره في المنقول)

أعلموا أخواتي رحمكم الله تعالى. إن الاستدلال على ذلك في القرآن المجيد كثير منها قوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) (الأنبياء: من الآية ٢٢)

وقوله تعالى (لا تَتَّخِذُوا الْهَيْنَيْنِ إِبْنًا وَاحِدًا فَيَأْيَسَ قَارِهُنِيَّانِ) (النحل: الآية ٥١) فدلّت هذه الآيات على وحدة الباري تعالى.

وأما الدليل على أثبات ظهوره تعالى من القرآن المجيد قوله تعالى (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (آل عمران: من الآية ١٨) وقوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ الْإِخْلَاصُ: ١، ٢) فإن قيل هل هو هو قلت: لا إله إلا هو، وإن قيل كيف أرادته قلت: وإن بمنسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو.

(الوحدة والثنوية)

وان قيل كيف قدرته؟ قلت (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (آل عمران: من الآية ٦).

في بيان السعادة لما كان الهين مشتملاً على الجنس والعدد أكدّه باثنتين إشعاراً بأن النهي عن اتخاذ هو بالنسبة إلى العدد كما فعل الثنوية لا إلى الجنس فإن أخذ الإله مأبوراً مع وصف الوحدة كما قال: إما هو إله واحد، إثباتاً مؤكداً بالوحدة ولم يقل بل اتخذوا إلهاً واحداً إشعاراً بأن كونه إلهاً ليس يجعل جاعل حتى يؤمر بالتخاذ، بل هو أمر ثابت أخذ أم لم يؤخذ.

في بيان السعادة أيضاً (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، كلام منقطع عن سابقه والشهادة حفظ القضية المشهودة أو ما في حكمها أو الإخبار بها وإخبار الله بالتوحيد لجملة الأشياء عبارة عن خلقها مفضولة على التوحيد واقتضاء التوحيد مع ما يجاورها، وهذا إخبار من الله لها عن توحيدها صانعها ووجنته وأحديته وإخباره تعالى بالتوحيد لذوي العقول في مقام العلم بخلق الآيات الأفاقية وجعلها بحيث تتركها العقول الصافية دالة على وحدة خالقها وخصوصاً الآيات الكبرى الدالة بالسنة أقوالهم وأحوالهم على التوحيد المشار إليه بقوله تعالى (سنزيهم آياتنا في الآفاق) وبإنشاء الآيات الأنفسية وجعلها دالة على وجود الحق وصفاته المشار إليه بقوله (سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (فصلت: من الآية ٥٣) وفي مقام المشاهدة بظهوره تعالى في كل شيء المشار إليه بقوله تعالى (لو لم يكن بربك أنه على كل شيء شهيد) (فصلت: من الآية ٥٣).

في بيان السعادة: لا اختصاص لأرحام بالأرحام الجسمانية فإن النفوس الحيوانية والبشرية أرحام اللطيفة السيارة الإنسانية وهي التي بها تتوجه الأشياء إلى غاياتها وكمالاتها، وبها يتوجه الإنسان إلى الآخرة وبها يتوجه الله إلى الأشياء وإلى الإنسان وهي المسماة بالمبدئ الساري، فتلك اللطيفة بوجه وجه الله وبوجه وجه الأشياء، وهي التي يكون خطاب الله متوجهاً إليها والمراتب العالية للنفس الإنسانية كل بوجه رجع للأعلى منها ولذلك فسر البطن فيما ورد من أن الإنسان سبعة في بطن أمه بالولاية، فالإنسان ما لم يدخل تحت الولاية التكليفية بالبيعة الخاصة حاله حال النطفة المستقرة في الرحم ولا تظهر السعادة والشقاوة إلا بعد الدخول في الولاية، ولذلك كان عليّ قسيم الجنة والنار ومن لم يدخل في الولاية لا يخرج من الدنيا إلا بعد عرض الولاية عليه، وظهور عليّ لديه حتى ينكر أو يقل فيشفي أو يسعد. روي أن الله يبعث ملكين يخلقان في الأرحام ما شاء الله يقحمان بطن المرأة من إلى الرحم وفي النطفة الروح المنقولة من لصلاب الرجال إلى أرحام النساء فينفخان فيها روح الحياة ويصوران البدن بإذن الله، ثم يوحى الله إليهما أن اكتباً قصاتي عليه واشترطاً لي البداء، فينظران فإذا اللوح المحفوظ يقرع جبهة أمه فيبلى أحدهما ويكتب الآخر ثم يجعلان الكتاب بين عيني. قال الشراح في آخر هذا الخبر ما معناه إحقاق الملكين من فـه

وإن قيل كيف علمه؟ قلت: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) (الأنعام: من الآية ٥٩).

وإن قيل كيف حياته؟ قلت: (هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (سورة البقرة: من الآية ٢٥٥).

وإن قيل كيف تدبيره قلت: (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (سورة الفصص: من الآية ٨٨) ناقص

وإن قيل كيف ملكه؟ قلت: (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (المزمل: من الآية ٩).

وإن قيل كيف عسكره؟ قلت: (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) (سورة المدثر: من الآية ٣١).

وإن قيل كيف إحصائه؟ قلت: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) (سورة الزمر: من الآية ٣٦).

وإن قيل كيف لطفه؟ قلت: قال لرسوله المكرم (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) (الأنعام: الآية ٥٢)

المرأة كناية عن دخولهما من الجهة الغيبية التي بها بقاء الأم وإلا فالملك خارج عن الجهات وكتابة الفضاء والقدر كناية عن استخراج ما أودع فيه بالقوة عن محلها التي هي بالفعل الذي سيكون منه. فلقوة تتأثر بتأثر المحل الذي هي فيه واشتراط البداء لله إن معنى البداء أن يستوجب معاقبة ما على فعل ما فيكتب عليه العقاب فإن فعل ما يكفر فعلته بتوفيق الله محي عنه العقاب فيقال بدا لله وكذلك إن فعل حسنة ما يستوجب عليها إثابة ما فيكتب له الثواب عليها فيفعل ما يوجب محو تلك الحسنة فتصح فيقال بدا لله. وهذا هو لو حال محو والإثبات (يمحو الله ما يشاء ويثبت) فاشتراط البداء يكون مغناه إن ما أودع في الإنسان بالقوة يتأثر من الأسباب الخارجية فتصرفه عما أودع فيه من خير وشر فينبو لله به.

المفتاح جمع مفتاح بمعنى الخزن أو مفتاح بالكسر بمعنى المفتاح جاء شرحها في بيان السعادة لا تدع مع الله إلها آخر من الأصنام والكواكب والأهوية ولا تدع مع علي في ولايته وليا آخر.

التوصيف بالمشرق والمغرب للإشعار بوجه الحكم. جاء في بيان السعادة: ولا تطرد الذين يدعون ربهم في الولاية يعني ادغ الطالب للدين ولا تطرد الداخل فيه بقول ولاية علي والبيعة الولائية معه، فإنك بُعِثت لدعوة الخلق إليه لا لطردهم عنه ولا تطرد عن نفسك الذين يدعون ربهم في الولاية لا يريدون من دعاء غير وجه الرب، ووجه كل شيء بحسب للتكوين فما يكون به توجههم إلى الله هو ملكوتهم المثالي أو ما فوقه بحسب مرتبة لاداعي، وهذا معنى الوجه في المربوب، وأما في الرب لما كان سبحانه متوجها إلى الخلق للتكميل

وإن قيل كيف عزته قلت: (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته) (سورة الزمر: من الآية ٦٧)

وإن قيل هل ينسب إلى الزوجة والولد حضرته؟ (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصبح مما يخلق ما يشاء سبحانه) (سورة الزمر: من الآية ٤).

وإن قيل إتأعجزون فبأي وسيلة نطلب فضله قلت: (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قطوا وينشر رحمته). (سورة الشورى: من الآية ٢٨)

وإن قيل إتأعجزون فكيف نطلب علوه؟ قلت: وأتوبوا إلى ربكم واسئلوهم (سورة الزمر: من الآية ٥٤)

وإن قيل إتأعجزون فكيف نذكره قلت: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) (سورة الأنعام: ١٦٢) لاشريك له.

كل وجهه إلى الخلق ما يتوجه إليهم به وما يتوجه إلى الخلق هو ملكوته أيضاً، وفي هذا دليل على ما قلت العرفاء العظم من أن السالك ينبغي أن يكون دائم الفكر ودائم الحضور، فإن الفكر والحضور عندهم التفكير في ملكوت الرب والحضور عنده وغاية تلقين الشيخ الذكر للمريد ودعاء المريد بالذكر المأخوذ هو حصول وجه الرب نقل عن الصادق: وقت تكبيرة الأحرار، تذكر رسول الله واجعل واحداً من الأئمة نصب عينيك، وفي الأصغر معرفة مواجهة الله من كل جهة. قل الأمير:

للخلق في كل وجه
للخلق وجهه
منه به
منه به

جاء في بيان السعادة أيضاً: ما قدروا علواً أو ما قدروا لولاية حق قدره ولما كان المقصود التعريض بالأئمة عطف بيان حالهم على إشراكهم (ص) كنه قل ما قدروا الله حق قدره، لأنه لا يمكن قدر الولاية غيبة الأمر أن الأشياء خرجوا من بعض الحدود البشرية والإنسانية وغيرهم ما خرجوا، وفادت الأحدية وكذلك المشيئة التي تغير عنها بالولاية التي هي غلوبة على مطلقة من الحدود والمحدود لا يقدر على إبرك المطلق.

هو الذي ينزل المطر النافع للإعانة من الجذب ويسمى المطر باسم الرحمة أو المراد الرحمة بواء أكلت مطراً أو غيره فيكون تصميماً بعد تخصيص.

جاء في بيان السعادة: أتوبوا إلى ربكم واسئلوهم: أتوبوا إلى ربكم المضاف الذي هو على. والإجابة إليه ليست إلا بالحضور إليه بمعرفة بالانوارية الذي هو الحضور عند الله والمعرفة بالله، وأسئلوهم بالخروج من أفتيتكم وقصوتكم وليس إلا الحضور عنده.

إن صلاتي ونسكي اهتماماً بالخاص تصميماً بعد تخصيص وتأكيد لما يفهم اقتزاً فاته (ص) فإنه يكن في فعله وأوصفه شريك له لم يكن في العلم شريك له لأن روية الشريك تقتضي المنعية من الرئي والمرئي الذي هو العلم الذي فيه شريك المنعية تقتضي الشريك له في وجوده وكون الشريك في وجوده يقتضي الشريك في صفته.

وإن قيل كثرت سبلتنا فكيف نرجوا برّه قلت: (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو) (غافر: من الآية ٣) وكثير من هذه الآيات مما يدل عليه السيد الرسول منه السلام بالإشارات بلغة هو مثل قوله تعالى (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ومثل قوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) ومثل قوله (والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) فإن هو من المضمرات وهو أعرف المعارف لا يخص بها إلا حاضراً موجوداً ومعروفاً ظاهراً يسمع ويرى يدل عليه قوله (يحيى) لموسى وهارون (أنتي معهما أسمع وأرى) (سورة طه: من الآية ٤٦) وكذلك قوله حكايه عن إبراهيم الخليل (فيه) في إنكاره على أبيه (إذ قال لإبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) (سورة مريم: ٤٢) فنسبه إلى الجهل فتبها إشارة تغني عن العبارة والله الهادي والمرشد لارب سواه.

جمع تعالى في أوصافه بين الجمال والجمالية والقهرية واللطيفية والحقيقة والإضافية يوههم تعدداً وكثرة في الموجودات نفى الكثرة وأثبت التوحيد.

إن هو ضمير للمفرد المنكر الغائب وفي تعريفهم (الله هو) لفظ مركب من هو هو جعل اسماً معرباً بلام ومعناه الاتحاد بالذات. قال الحافظ هو على سبعة أوجه:

أولاً: إن الاسم مشتق أو علم أو إشارة والاسم المشتق كلي لا يمنع من وقوع الشبهة فيه، والاسم العلم قائم مقام الإشارة فهو فرغ عليها، والإشارة أصل والأصل أعظم من الفرع. فقولك هو أعظم الأسماء كلها.

ثانياً: إن الحق سبحانه فرد لا يمكن نعته بصفة إلا نعت الفردانية والإخبار عنه بعين ذاته، وذلك محل لجميع الأسماء المشتقة عن الأنباء عن ذاته المقدسة، وأما لفظ هو فإنه ينبئ عن كنهه المخصوصة المبرأة من جميع جهات الكثرة فاسم هو لوصوله إلى كنه الصمدية أشرف الأسماء.

ثالثاً: كلصفات المشتقة لا تعرف إلا دالة على الصفات، والصفات لا تعرف إلا بإضافة إلى المخلوقات، وأما لفظ هو فإنه يدل عليه من حيث هو هو وهذا الاسم يوصل إلى الحق ويقطع عن الخلق.

رابعاً: إن الأسماء المشتقة دالة على الصفات، ولفظ هو دال على الموصوف، والموصوف أشرف من الصفة وذلك لأن ذات الباري سبحانه ما كانت بالصفات بل هي لغاية الكمال استلزمت صفات لأكمل، فلفظ هو يوصل إلى بنوع العزة.

خامساً: إن لفظ هو مركب من حرفين هاء وواو، والهاء أصل الواو (فهو) حرف واحد يدخل على الواحد الحق سبحانه.

سكساً: إن الهاء أول المخارج والواو آخرها (فهو) الأول والآخر، والهاء باطن المخارج والواو ظاهر ستر المخارج فهو الباطن والظاهر.

سابعاً: إن هذا الحرف الذي وضع لتعريف ذات الحق غير معلوم والحقيقة غير مطومة وذات الحق سبحانه أولى بالتعريف عن الكيفية، فمنه قولك هو ومنك إليه قولك هو. لقول ولعل من هذا قول عبدالله بن سبأ لأمر المؤمنين أنت هو. قال أمير المؤمنين: ومن هو.

المعنى: يقول: بعد أن أستشهد بتلك الآيات التي يتضمن جميعها لفظ هو: إن هو أعرف المعارف وإن كان من المضمورات ولا يُخصُّ بها إلا حاضراً موجوداً وذلك لأن هو يشار به إلى مقام الغيب لتعنيهِ في الأذهان أودعاء تعينه، وهو وإن كان ضميراً علمَ واسمَ لمقام الغيب مجرداً عن جميع الاعتبارات حتى اعتبارات التعين بخلاف جميع الأسماء، فإنها اسمٌ للذات باعتبار جميع الصفات. فالهاء من هو تنبيه على معنى ثابت، والواو إشارة إلى الغائب فلذلك هي أعرف المعارف.

(التنبيه الساوس): وجوب المعرفة في إثبات ظهور (المعنى) (القرين بزلاته خلقة خلقه

اعلموا أخواتي رحمكم الله إن الله (ﷻ) ما أوجد العالم والجن والأنس إلا ليعبده، ومحال أن يعبده قبل معرفته. وقال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون^١ أي ليعرفون. ولا فوز في الآخرة إلا بمعرفة الله تعالى.

فبان لكم وجه الحكمة في حال المعرفة ووجوبها، وإن إيجاد الخلق بسببها لاعتب ولا عن حاجة تتعلق به تعالى، لما ذكرناه من وجوب المعرفة على الخلق لفوزهم بمعرفة خالقهم الظاهر بينهم بقدرته القاهرة الباطن عنهم بحكمته الباهرة.

^١ جاء شرح هذه الآية الكريمة في بيان السعادة: إن الله تعالى كان غيباً مطلقاً لم يكن منه خبر ولا رسم ولا اسم فأحب أن يتجلى فيعرف كما في الحديث القدسي كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف. فخلق الخلق لأن يتجلى عليهم فيعرفوه ولا يتجلى عليهم إلا إذا صاروا خارجين من أنانياتهم ولا يخرجون بأنانياتهم إلا بارتياض النفوس بما قرره الله تعالى لذلك وليس إلا العبادات الشرعية، وأيضاً لا يخرجون من أنانياتهم إلا إذا صاروا عبيداً له خاضعين من عبودية أنفسهم وليس المقصود من العبادات ولا العبدية إلا أن يصيروا عارفين له متصلين به منتهين إليه فالمقصود من قوله إلا ليعبدون إلا ليعرفوني لكنه أداة بهذه العبارة للإشعار بأن المعرفة لا تكون إلا بالعبادة أو بالعبدية. عن الصادق قال:

خرج علي بن الحسين فقال: أيها الناس إن الله تعالى ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبده، واستغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه. فقال له رجل ما معرفة الله بأبي أنت وأمي؟

معرفة أهل كل زمان إمام زمانهم. قلت وإذا نظرت إلى قوله: فخلق الخلق لأن يتجلى عليهم ليعرفوه، ولا يتجلى عليهم إلا إذا صاروا خارجين من أنانياتهم وجدت به نقصاً فاضحاً لأنه أكد التجلي للعالم ليعرفوه، وحصر رؤية التجلي بأهل الرياضة فقط، فمن لم يكن من أهل الرياضة فما الحجة عليه، وما أورده عن زين العابدين دليل قاطع مهما تأوّلوا:

أراك تسأل عن نجد وأنت بها وعن تهامة هذا فعل متهم

ظهوره بذاته

ولما أوجب عليهم معرفته بذاته لم يجز في الحكمة والعدل أن يظهر بغير ذاته لئلا يحول عن كيانته وتكون المعرفة بغير ذاته فيكون المعروف غيره.

لكون القديم لا يظهر في المحدث، وأن كان ذلك كذلك ووجب ظهوره بذاته ليُعرف فيُعبد. لم يجز في الحكمة الإلهية ظهوره بذاته الأزلية كسفاً لكونه لا يثبت لها شيء في الوجود من الموجودات. لأن الشيء من كونه شيء في الموجودات ولأن الشيء هو من المتكررات التي هي المراتب قال الله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وهو الوجود والذات.

(المن والباطل)

فإذا ظهر حكم وحدة الوجود وأحدية الذات لا تقدر الكثرة على ظهور حكم لها في حال انعقادها للوحدة. وإذا ظهر الحق^٣ زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

نقدم أن الشيء يُطلق ويساوق الوجود من أعلاه إلى أسفله. جاء في بيان السعادة إلا وجهه أي وجه الله أو وجه ذلك الشيء وإن كان رجوع الضمير إلى الله جاز أن يكون وجه الله الذي به يتوجه إلى الأشياء، وأن يكون وجه الشيء الذي يتوجه به إلى الله يعني كل شيء هالك إلا وجه ذلك الشيء الذي يتوجه به إلى الله، فتكون لأدنى ملاسبة. اعلم أن الوجه اسم لما يتوجه به ولا اختصاص له بوجه البدن، وأن في كل شيء لطيفة إلهية غيبية هي مقومة لذلك الشيء ومُقيّبة ومُشخصة له، وهي فاعليته تعالى وعلمه وقضائه وتلك اللطيفة هي تحفظه وتربيته وتبلغه إلى كماله الخاص به إن لم يعقه عائق، وهذه اللطيفة هي التي بها تتوجه الأشياء إلى غاياتها وكمالاتها الخاصة بها. وبها يتوجه الإنسان إلى الآخرة وإلى الله تعالى وإلى خلقه، وبها يتوجه الله إلى الأشياء وإلى الإنسان فتلك اللطيفة بوجه وجه الأشياء وبوجه وجه الله، ولما كانت تلك اللطيفة هي المسماة بالولاية التكوينية المعبر عنها بالحلل من الله وهي ما بها توجه الأشياء تكويناً، ولإنسان توجه آخر تكليفي وذلك التوجه التكليفي لا يكون إلا بالولاية التكليفية المعبر عنها بالحلل من الناس، لأنها لا تحصل إلا بواسطة المظاهر البشرية بالبيعة الخاصة بالولاية، وبها يدخل الإيمان في القلب وتحصل نسبة الأبوة في الدين أي الولاية التكليفية أو الحاصل بالولاية التكليفية. وبالأنبيا والأولياء وبكل مطيع لله ورسوله، وقد فسر وجه الله في أخبار كثيرة بما نكرنا. إذا علمت هذا فاعلم أن تحديد الوجود في الموجودات وتعيينه اعتباري محض، لأنها لا وجود لها، وإنما الوجود والبقاء لتلك اللطيفة بالذات، وللحدود والتعيينات بالعرض والأشياء المتكررة الممتازة التي هي تلك الحدود هالكة غير موجودة من الأزل إلى الأبد، وتلك اللطيفة موجودة من الأبد إلى الأزل، فالباقى من كل شيء هو تلك اللطيفة والهالك كل ما سواها من الحدود والاعتبارات، وهذا معنى قوله (لا يثبت لها شيء في الوجود في الموجودات من كونه شيئاً الخ). الحق من أسمائه تعالى وهو الموجود حقيقة، المتحقق وجوده وإلهيته، والباطل ضد الحق، وهو ما لا يثبت له عند الفحص وربما أراد بالحق الجق المخلوق به وهو المشبهة. والباطل التعينات والماليات وإن الله بمضمون قوله تعالى (بل يذاه منسوطتان ينفق كيف يشاء) (سورة المائدة: من

المعنى: يقول: لما أوجب الله سبحانه على عباده معرفته بذاته ولا تجوز معرفته بذاته وإلا يكون زائلاً عن كيانه وتكون المعرفة التي كلف بها عباده وخلقهم لأجلها بغير ذاته وبطل حكم في عرفوني، ويكون المعروف غيره والمعبود سواء، وكذلك لم يجز في الحكمة الإلهية ظهوره بذاته كشفاً فيحترق ما دونه ويتلاشى. قال سبحانه: كل شيء هالكٌ، وهي المراتب الزائلات من الأعراض والمهيات إلا وجهه وهو الوجود الواجب في المكونات، وهو الذات الأحدية فإذا ظهر حكم الوجود وأحدية الذات بإرجاع الخطوط إلى مبادئها والحروف إلى نقطتها لا تُقدر الكثرة على ظهور حكم لها في حال انقهارها للوحدة العظمى. إذ لا وجود للأشياء مع وجوده ولا ظهور لها مع ظهوره وعلى تقدير ظهورها ووجودها فلا وجود لها من ذاتها:

من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عينٌ مُحال

وهذه هي رتبة الجمع عند الصوفية، فلم يبق إلا رأي السيد أبي عبد الله عن مواليه الكرام ظهر من حيث هو فرأيناه من حيث نحن. ولو ظهر المعبود في حد ذاته تبادرت الأجسام محترقات.

(أهل التوحيه طائفتان)

وقال الرسول (ص) أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) أي عَم، إذ الوجود والعدم نقبضان وهما لا يجتمعان. أعلم إن أهل التوحيد طائفتان الأولى نكرت إن هذا الوجود جوهرٌ بسيط شعاع لا يقع به لمس ولا يُدرك شيء من الحواس وإنما تراه من حيث أنت فإذا جنته بالحقيقة لم تجد شيئاً مدروكاً ولا محسوساً. وقلوا هذه الصورة تشبه المراب تعالين ببصر الطبيعة

الآية ٦٤) على سبيل الاستمرار يطرد بإضافته فشرقية بطلان لتعينات والمهيات وبطلان القوى والنفقات والاستعدادات، وبغيره، وكما أنه يطرد بخلقه سموات الأرواح وأراضي الأشباح بطلان الماهيات، بها يقف الحق عليها ابتداء، كذلك يطرد ذلك عنها استمراراً وأنها من أنفسها في فناء لا بقاء لوجودها أنين، ومن موجدتها في بقاء بسبب تجدد إفضلت الوجود عليها، وكما يطرد بخلقتها البطلان ابتداء واستمراراً عن المهيات يطرد بخلقتها البطلان والنفقات عن القوى والاستعدادات التي تكون في علم الأكون.

الجوهر: ضد العرض وهو ما قبله بنفسه وتقدم الحديث عنه وسيلتي.

فإذا جئت بدليل العقل وفكرة الحق فإذا جنته يذهل العقل وإذا بدل ونظرت بعين اليقين لم تجد شيئاً يدرك ولا صورة تلمس بل قوة لاهوتية أزلية.

المعنى: يقول مستدلاً على الوحدة والظهور بقوله (ص) أصدق كلمة قالها العرب قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل، والباطل ما لا ثبات له عند الفحص وهو عدم الوجود والعدم نقيضان، والعدم لا شيء، فالوجود كل شيء وهو حضرة الحق سبحانه كما تقدم في تعريف الوجود الوجود والحق والباطل، فاهل التوحيد في تعريف الوجود قسمان: قسم لا يرى الوجود شيئاً مدركاً فهو كالسراب يرى بالبصر الطبيعي كالماء، فإذا جنته ذهل لبك لأن الذي رأيته كالماء لم تجده شيئاً، ومن نظر بعين اليقين والبصيرة لم يجد هذا الظهور الوجودي شيئاً يدرك ولا صورة تلمس بل قوة لاهوتية أزلية، وأنت تعلم شرح الموحدين لقوله سبحانه (أو كسراب بقية) الخ. وهل أراد بما ذكر مطلق الوجود الساري في الموجودات، لأن كل ما ظهر في عالم الشهادة فائض عن عالم الغيب، وكل ما برز في عالم الملكوت فهو فائض عن بحر الجبروت، فلا وجود للأشياء إلا منه ولا قيام لها إلا به ولا نسبة لها معه إذ هي عدم محض، وعلى توهم وجودها فهي حادثة فانية ولا نسبة للوجود مع عدم ولا للحادث مع القديم، ولا ينافي هذا ما أراده من إثبات الوجود العيني، لا بل ما أراده برأي هذه الطائفة الأولى لأنهم أهل كشف وشهود، وهذه هي الحقيقة بعينها والصورة المرئية (في الأصغر) كل الوجود مع انفراد الذات عن الأسماء والصفات قال الأمير:

لمغيب قلبي في هوالكم مشهد كل البرية مطلق ومقيّد

وقلت الطائفة الثائية: إن الباري جلّ جلاله علم ضعف الإنسان وقلة صبره على معلنة مالم يحتل عقله، وعلم عجزه عن إدراك ما ليس بينه وبينهم مغايرة ولا مجتمعة، ألم يبلغكم ما جرى للمبشرين من بني إسرائيل الذين اختارهم موسى، واختير موسى هو اختير الله تعالى لما طلبوا رؤية الحق جهره، وسماع كلامه كلاً مجزئاً عن المظاهر كيف أخذتهم الرجفة وماتوا جميعاً، فلما سأل موسى

رَبِّهِ (ﷺ) فِيهِمْ أَمْرَةٌ بَرَشَ الْمَاءِ عَلَيْهِمْ. وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ النُّورِ فَعَاشُوا وَأَيْضاً لِمَا طَلَبَ مُوسَى الرُّوْيَةَ مِنْ اللَّهِ فِي الْمُنَاجَاتِ حَيْثُ قَالَ:

(رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) (سورة الأعراف: من الآية ١٤٣)، وَكَانَ التَّجَلِّي مِنْ نَوْرِ اللَّاهُوتِ دُونَ النَّاسُوتِ بِمَقْدَارِ شَرَاكِ النَّعْلِ. وَقِيلَ إِنَّمَا بَدَأَ لَهُ لَمْعَةٌ مِنْ نَوْرِ قَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ عَلَى مَاتَقَلِّ، فَلَمْ يَثْبُتْ مُوسَى وَهُوَ الْاسْمُ الْأَعْظَمُ. وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا كَيْفَ حَالٍ مِنْ هُوَ دُونَهُ إِذَا ظَهَرَ الْحَقُّ بِلَاهُوتِيَّتِهِ وَذَاتِيَّتِهِ كَشْفًا.

إِذَا لَوْ ظَهَرَ بِذَاتِهِ كَشْفًا لَتَلَاشَى كُلَّ شَيْءٍ لِعَظَمَةِ إِشْرَاقِ ضَوْءِ شِعَاعِ نَوْرِ اللَّاهُوتِ، وَلَمْ يَجْزِ ذَلِكَ فِي الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَلَا فِي الرَّحْمَةِ الرَّحْمَاتِيَّةِ^٢ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

إِينَاسِ (الْمَخْلُوقِ) بِالصُّورَةِ

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يُسْتَطَاعُ النَّظَرُ إِلَّا بِحَدِّ الْإِقْتِدَارِ^٣، فَوُجِبَتِ الْحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ (الظُّهُورُ) لِتَأْنِيسِ الْخَلْقِ بِالصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ رَحْمَةً مِنْهُمْ لَهُمْ وَإِشْفَاقًا مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ.

الْمَعْنَى: وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ قَالَتْ إِنَّ الْبَارِيَّ عَلَّمَ ضَعْفَ الْإِنْسَانِ عَمَّا لَا يَحْتَمَلُ، وَعَلَّمَ عَجْزَهُ عَنْ مَا لَا يَغْيِرُهُ فِي الْحَقَائِقِ الْوُجُوبِيَّةِ مِنْ جِهَةِ عَقْلِهِ الْوُجُوبِيِّ وَعَجْزَهُ حَتَّى عَمَّا يَجَانِسُهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ عِلْمُهُ يَقْصُرُ كُنْهًا

^٢ صَعِقًا: مَغْشِيًا عَلَيْهِ.

^٣ الرَّحْمَةُ الرَّحْمَاتِيَّةُ هِيَ الَّتِي لَا تَخْتَصُّ بِشَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ وَبِحَالٍ دُونَ حَالٍ وَبجِهَةٍ دُونَ جِهَةٍ، بخلاف الرَّحْمَةِ الرَّحِيمِيَّةِ فَإِنَّهَا مُخْتَصَّةٌ بِالْإِنْسَانِ، وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ سَالَكًا إِلَى الرَّحْمَنِ فَالْأَرْوَاحُ الْعَالِيَةُ وَجُودُهُمْ رَحْمَةً رَحْمَاتِيَّةً رَحْمَةً رَحِيمِيَّةً وَلَا تَمَازِيضَ بَيْنَ الرَّحْمَتَيْنِ هُنَاكَ، إِذْ لَا يَتَمَيَّزُ جِهَةً غَضَبٍ فِيهِمْ وَالْأَرْوَاحُ الْخَبِيْثَةُ قَدْ يَتَصَفَّوْنَ بِالرَّحْمَةِ الرَّحِيمِيَّةِ، لَكِنْ الْأَغْلِيَّةُ مِنْهُمْ مُتَصَفِّوْنَ بِالْغَضَبِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّحْمَةَ الرَّحْمَاتِيَّةَ عِبَارَةٌ عَنِ إِفَاضَةِ الْوُجُودِ عَلَى الْأَشْيَاءِ وَإِتْقَانِهَا وَإِكْمَالِهَا بِالْكَمَالَاتِ بِفُطْرَتِهَا، وَهَذَا جَائِزٌ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ أُخْرُوبِيَّةٌ كَانَتْ أَوْ دُنْيَوِيَّةٌ أَنْاسِيٌّ كَانَتْ أَوْ غَيْرَ أَنْاسِيٍّ. وَلِذَلِكَ قَالَ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (سورة طه: ٥) وَيُفَسِّرُوهُ بِاسْتَوَاءِ نَسَبِهِ إِلَى الْجَلِيلِ وَالْحَقِيرِ وَوَرْدِ يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالرَّحْمَةُ الرَّحِيمِيَّةُ عِبَارَةٌ عَنِ إِفَاضَةِ الْكَمَالَاتِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ الْمَرْضِيَّةِ عَلَى الْمُخْتَارِينَ مِنْ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَلِذَلِكَ وَرَدَ أَنَّ الرَّحْمَنَ وَالرَّحِيمَ اسْمَانِ رَفِيقَانِ أَحَدُهُمَا أَرْقُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَلِذَلِكَ أَيْضًا جَازٍ أَنْ يَتَصَفَّ الْإِنْسَانُ بِالرَّحِيمِ وَلَا يَتَصَفَّ بِالرَّحْمَنِ. مُصَدَّرٌ اقْتَدَرَ عَلَى الْأَمْرِ قَوِيٍّ. وَفِي نَسْخَةٍ إِلَى حَدِّ الْاِقْتِدَارِ، وَالْأَوَّلَى أَوْلَى.

وحقيقةً عن أنه الأشياء وأقلمها، ولذلك أوجبت الحكمة الإلهية ظهور الله لهم كهيم، وقص علينا مجتزئاً تثبيثاً لما قاله ما جرى للسبعين رجلاً من بني إسرائيل الذين اختارهم موسى، واختيار موسى هو اختيار الله لما أخبر قومه أن الله كلمه وقربه قالوا لا نؤمن لك حتى نسمع كلامه، فسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء لأن الله أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه:

وفي اقترابي لها منها سمعت نداً
عن جانبي ومن خلفي ومن قبلي

فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً، فأخذتهم الصاعقة فماتوا فسأل الله فأحياهم، فقالوا لو سألت ربك أن يُريك تنتظر إليه فتخبرنا فنعرفه، فقال إن الله لا يرى ولا يُعرف إلا بآياته، فقالوا لن نؤمن لك حتى تسأله، فأوحى الله إليه أن سلني ما سألوك . فقال موسى: ربي أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني. فتجلى الله للجبل بآيةٍ من آياته، وروي أنه بدت له لمعةٌ من نور قائمةٍ من قوائم العرش، فلم يثبت لها موسى وهو الاسم الأعظم والحجاب الأقدم، فكيف حال من هو دونه إذا تجلى الله سبحانه بلاهوتيه كشفاً بدون حجاب، إذن لتلاشى كل شيءٍ لعظمة الإشراف، ولذلك لم يجز في الحكمة الإلهية ولا في الرحمة الرحمانية ظهوره بنوره الذي هو نوره، ولأنه لا يُستطاع النظر من الإنسان إلا بحد اقتداره على الرؤية والنظر أوجبت الحكمة الإلهية الظهور بالصورة البشرية رحمةً منه بخلقه لأن رؤية النور المجرد فوق استطاعتهم قال الأمير:

حكائي على طور التجلي صفاؤها فكانت لعيني في اجتلا العين جلوتي
فما شهيدته العين معنى فذاتها ومن هيئة فهي المثال لهيئتي

(الظهور تأنيساً وتلبيساً)

ولكني أقول: وبالله التوفيق إنه لما وجب أولاً ظهور المعنى بذاته ليعبدوه وحده بلا شريك لكونه يستحيل غيبته عن خلقه كما يستحيل عدمه، وجب في

الحكمة الإلهية أن يظهر لكل جنس كجنسه تائبساً للمؤمنين وتلبساً على الجاحدين المنكرين، لأنه القادر على الإطلاق فلا يعجزه شيء من الأشياء، فهو مع كل شيء بصورة ذلك الشيء، ولا صورة له ولا قيّدته صورة ما ولم يكن مع كل شيء إلا معها فقد تعالى الله عن ذلك، بل هو عين كل شيء سوى تقييد الشيء وتعيينه، فان هذا لا يجوز الإشارة إليه لأنه لم تقيده صورة قط.

وفي هذا خبرٌ روته الثقة عن مولانا عزّ عزّه أنّه قال: لو أراد الله أظهر أمره لما جهله أحد، ولو أراد ستره لما عرفه أحد، ولكن أظهره مستوراً وستره ظاهراً.

المعنى: وبعد أن شرح قول الطائفة الثانية بأنه لا يمكن أن يرى إلا متجلياً قال: ولكني أقول إنه لما وجب ظهور المعنى بذاته ليُعرف فيُعبد بذاته لكونه يستحيل عليه أن يغيب كما يستحيل عليه أن يعدم، لأن ما غاب فلم يرَ يوشك ألا يكون شيئاً، وجب في الحكمة الإلهية أيضاً أن ظهر لكل جنس من الأجناس كصفته تائبساً للمؤمنين ليعرفوه فيعبده فيفوزوا بعبادته وتلبساً على الكافرين ليحق عليهم العذاب بما اكتسبوا، فهو سبحانه صاحب القدرة المطلقة التي لا يتقيد بصورة ظاهرٍ مع كل شيء بصورة ذلك الشيء، ولم يتقيد بصورة واحدة لأنه إن كان مع كل شيء بصورته فهو جامع الصور، وجامع الصور لا صورة له ولا يتقيد بصورة من جميع الصور البواقي دونها، وهو محال لأنه الصورة الجامعة للصور لا بل هو سبحانه عين كل شيء وحقيقته بالوجوب الإلهي الساري في المكونات، إلا أنه لا يجوز أن يجوز أن يُعينَ شيء من الأشياء فيُحصر ويحدّ تعالى الله، فبطلت الإشارة حينئذٍ لأن الإشارة لا تكون إلا لشيء مُعين. فلو أراد الله سبحانه إظهاراً أمر برؤيته للجميع لما جهله أحدٌ بما أبدى من معاجز وقدر، ولو أراد ستره عن الجميع لما عرفه بما أبدى من العجز أحدٌ، ولكنه ظهر بالمعجز والقدر مستوراً بإظهاره العجز والصور، غير أنك إذا حددت بصر الإيمان تجده في كل شيء ومع كل شيء، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، وفوق كل شيء، وتحت كل شيء، ومحيطاً بكل شيء، وقريباً من كل شيء، بقرب كل هو وصفة وبحيطة هي نعتة، فيبعد عن الضرفية والحدود وعن الأماكن والجهات، وعن الدور بالمخلوقات، وامحَق الكل بقوله الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو، هو كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه

فأهل الحدود إنما يشهدون الكون دون المكوّن، وأهل السير من المريدين يشهدون المكوّن ثم الكون:

لقد ظهرت فما تخفى على أحد
لكن بطلت بما أظهرت محتجباً
إلا على أكمة لا يعرف القمر
وكيف يُعرف من بالعزة استترا

العجز والمعجز

وجعل للظهور علامة وللسر علامة، فالقدرة علامة الظهور والعجز علامة السر، فالكافر لا يعتبر العجز قدرة ويجعل القدرة سحراً، والمؤمن يعتبر العجز قدرة، فإذا علمتم ذلك وتحققتم إنّ القدرة هي علامة الظهور كما ذكرنا لا غيرها، فاعلموا إنّ العجز من القادر قدرة، إذ لو كان المنزه عندنا غير متمكّن من الظهور بالعجز لم يكن قادراً من حيث الظهور بالعجز، فما يكون قادراً من هذه الجهة ولو كان يكفي القادر في ثبوت القدرة له أنّه قادر بالقوّة لا بالفعل على بعض المقدورات، لكانت قدرته في بعض المراتب ليست بالفعل هذا، إذا أستمّر على أن تكون قدرته على ذلك الظهور، الذي نزّه عنه قدرة بالقوّة أبداً. لكنّه يسوق ما وقّت إلى ما قدر، فيعطي الأشياء وأوقات الأشياء، ويظهر بالقدرة والعجز يتفصل ذلك فيما لا ينتهى تفصيلاً غير متناه، فصحّ إنّ القدرة الكاملة هي التي تقتضي ظهور القادر الكامل بالعجز والمعجز، ظهوراً يشهد إنّ القادر قادراً على أن يظهر بالعجز والمعجز، فالمولى عزّ عزّه أظهر العجز كما أظهر المعجز لكمال قدرته، والخلق المنزوج رأوا ذلك عجزاً من حيث عجزهم، وأهل الصفوة والبصائر رأوا ذلك قدرة وحكمة، من حيث درجاتهم ومنازلهم سلام الله عليهم.

فالمحوا إخواني هذه النكتة الواضحة الخفية، فإنها سرّ الأيمان، وهي أول درجة من معارج اللّزم التقية ولا يدركها إلّا من هو صافي الأنمعية.

المعنى: يقول: جعل الله لظهورك علامة، وهي القدرة ولستره علامة وهي العجز، والكافر يعتبر القدرة سحراً. فإذا تحقق أن القدرة علامة الظهور، فاعلموا أن

^١ القوة هي الاستعداد الموجود بالنفس لتعلّم علم ما فإذا تعلّمته صارت القوة فعلاً.

إظهار العجز من القادر قدرة، إذ لو كان الذي نزهناه عن العجز غير قادرٍ على إظهار العجز على نفسه لم يكن قادراً من هذه الجهة، بل كان قادراً من وجهٍ عاجزٍ من وجهٍ، ولو كان يكفي ثبوت القدرة له أنه قادرٌ بالقوة على إظهار الفعل دون إخراجهِ إلى حيز الفعل، لكانت قدرته في بعض مراتب القدرة قوةً واستعداداً بدون فعل، أي كان عدم إظهار العجز عجزاً، فالأشياء التي يريد سبحانه فعلها يعطيها أوقاتها التي قدرها لها ويعطي أوقات الأشياء التي يريد بها الفعل التقدير الذي قدره للفعل بها، فيظهر سبحانه بالقدرة والعجز في حينها يتفضل ذلك الإعطاء للأشياء وأوقات الأشياء عجزاً ومعجزاً فيما لا يتناهى تفصيلاً غير متناهٍ، لأنه سبحانه لا يزال على مر الدهور يظهر بالعجز في حينه وبالقدرة في حينها، فصح أن القدرة الكاملة هي التي تقتضي ظهور القادر الكامل بالعجز والمعجز، ظهوراً يشهد أن القادر قادرٌ على إظهارها جميعاً، فالولى عز عزه أظهر العجز في كثير من المواطن، كما أظهر المعجز لكمال قدرته على إظهار الحالين، والممزوجون رأوا ذلك عجزاً من حيث عجزهم وأهل الصفوة رأوا ذلك قدرةً، فالمحوا هذه النكتة الواضحة أتم الوضوح بأن العجز من القادر قدرةً، الخفية أتم الخفاء، لأن العاجز لا يجوز أن يكون قادراً، فهذه النكتة أول درجةٍ من سلم التقية، ولا يدركها إلا من كان صافى الأعمية، ومن لم يعتقد أن العجز من القادر قدرةً أثبت أن القادر عاجزٌ فيكون خرج من الدين. قال الأمير:

أمنت بالمعجز والعجز ففزت بالمطلب والكنز
وأصبح السائب عن كل محروز من الأكواف في حرزي

قال جلال الدين العجز والمعجز الباب والحجاب لأنهما محل الصفات والنعوت والاستقرار والثبوت.

الظهور بالصورة

ودليل آخر هو ماورد في كتاب الأسوس «إن الباري جلت قدرته لما أراد امتحان العلم النوراني - وهو أعلم بهم - ظهر لهم بصورة طفلٍ صغير ثم بصورة

شاب شديد مفتول السبال، ثم بصورة شيخ كبير، وأظهر فيهم قدرة واحدة في الأحوال الثلاثة فلما اختلفت عليهم الصور ولم تختلف عليهم القدر قالوا له أظهر بما شئت كيف شئت فأتت أنت». ذلك بتوقيفه لهم ألا تراهم كيف ثبتوا على معرفته بالقدرة لا يبالون باختلاف الصور وظهوره في العجز والقدرة.

وليل آخر وهو ماورد في كتاب الله (ﷻ) أن الله (ﷻ) تجلى لموسى (عليه السلام) مخاطباً إياه من الشجرة والنار فقال سبحانه تعالى (فلما أتاهم نُودِي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين) (سورة القصص: ٣٠) وقال سبحانه (فلما جاءها نُودِي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) (سورة النمل: ٨) يا موسى إنه لنا الله العزيز الحكيم وقوله سبحانه الله يعني من أن يكون منحصرًا ظهوره حينئذٍ وقبله وبعده في ذلك التلبس وفي غيره من الصور وغير الصور. وقوله ياموسى إنه. أي الذي دعاك.

وليل آخر وهو ما ورد في الخبر النبوي الصحيح أن رسول الله (ص) قال «أريت ربي في أحسن صورة».

وفي الصحيح أيضاً إن الله جلّت قدرته يتجلى يوم القيامة في صور متنوعة متعذرة، ويتحول من صورة أدنى إلى صورة غيرها بالعكس. وذلك سبب ظهوره بحسب العلامات التي بينه وبين عبادته، التي هي عبارة عن ظنونهم الإعتقادية فيه. كما قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، وذلك في مقتضى مشيئته وعلمه وحكمه، وفي رواية أخرى «فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفونها بها فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فيأتيهم الله في صورته التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا سبحانه ربنا...» والحديث بطوله.

نكر أن موسى أقبل نحو النار يقتبس منها فإذا شجرة ونارٌ تلتهب عليها، فلما ذهب نحو النار يقتبس منها أهوت إليه ففزع منها وعدا ورجعت النار إلى الشجرة، وهكذا ثلاثاً، فناداه الله يا موسى إني أنا الله رب العالمين. قال موسى فما الدليل على ذلك. قال ما بيمينك؟ قال عصاي قال إليها... إلخ.. قلوا لم يكن خوفه من النار نقصاً ولا من الحية، بل الخوف في هذه الحال يرجوعه إلى الوحدة وانسلاخه من الكثرات واحتفاظه بمقام بشريته يدل على كماله وقوة نفسه وحق البشرية الخوف من النار المحرقة والحية المؤذية، وحفظ حقوق الكثرات في مثل هذه الحال من أتم الدلائل على الكمال.

المعنى: يقول: مستشهداً على ظهوره سبحانه بما في الأسوس من تجليه للعالم، وأنه ظهر للملائكة الروحانيين وأمكنهم من النظر إليه بلطف ذواتهم، فوصفوه بما رأوه وما ورد عن النبي من إثبات تجليه كما في الصحيح وغيره. والرواية الأخيرة وردت في صحيح مسلم وفي تعليق النووي عليه وغيره من الإصحاحات وفي رسالة الأسفار لابن عربي وفي شرحها للجلي. وحُجِبَ ما أعظمها وأقواها وأوضحها وأجلها على إثبات الظهور البشري.

نفي الحلول

فقد بان بآته تعالى يتلبس بأي لباس شاء وفي أي صورة شاء مما يُعرف ومما يُنكر من غير حلول^١ ولا اتحاد نعوذ بالله من ذلك. فأنهما من أنواع الأجسام وهما من في حقّه باطل لتقدّمه تعالى عليهما.

وأما المَعْقُول في حلول الشيء في غير المحل فإن المحل أي الحال تبعاً لذلك المحل^٢ في أمر من الأمور وواجب الوجود لذاته يمتنع أن يكون تبعاً لغيره، فوجب أن يمتنع عليه الحلول وقد برهنّا أن الاتحاد محال^٣.

المعنى: يقول: لقد بان لكم فيما تقدم أنه سبحانه يتلبس من هذه الموجودات بأي لباس شاء في أي صورة شاء مما يُعرف كالظهور البشري والنوري، ومما يُنكر، كتجليه بالأشياء كلها مما به قوامها، وذلك الظهور من غير حلول بالأشياء ولا اتحاد بها، وتعالى الله بل إنه سبحانه يغير ولا يتغير بتقلب القلوب والأبصار، فإن الحلول والاتحاد خاصان بالأجسام، والله سبحانه منزّه عن الأجسام ومتقدم عليها، وأما المَعْقُول بأن يحل الشيء بمحل آخر، فإن الحال في محل لا بد أن يكون تبعاً لذلك المحل في أمر من الأمور، كالمسائل يُحفظ بالأواني، والجماد يستقر في مكان والحيوان يأوي إلى ما يقيه الحر والبرد، فالمسائل تبع للأنية لحفظه، والجماد تبع للمكان لاستقراره، والحيوان لوقايته وهكذا، وواجب الوجوب محالّ عليه أن يكون

^١ الحلول مصدر حل بالمكان نزل به وفي اصطلاح العلماء اختصاص شيء بشيء بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر، ويزعم، أن الحلولية فرقة من المتصوفة وهم أصحاب المنصور بن الحلاج.

^٢ المحل اسم مفعول من أجله بالمكان جعله حُجْلَةً.

^٣ مصدر تحد الشيطان صار واحداً كامتزاج الماء بالماء.

تبعاً لشيء من الأشياء، وقد برهن عن الاتحاد أنه محالّ فيما تقدم عندما تكلم عن الوحدة ورد القائلين بالاثنية، وطبيعي أن الشيء لا يتحد بالشيء إلا إذا كان من جنسه ونوعه، كاتحاد الماء بالماء والخمر بالخمر. ومن حججهم على نفي الحلول أنه لا وجود للأشياء مع وجود الله، والحلول يقتضي وجود السوى (الغير) حتى يحل فيه معنى الربوبية، والفرض أن السوى عدم فلا يتصور الحلول: ونزهه عن حكم الحلول فماله سوى وإلى توحيده الأمر راجع. وتقدم قوله: مؤمن السوى لا يتصل بحضرة الحق.

ومما يدلّ أيضاً على نفي اعتقاد الحلول على القائلين بالتجليات الإلهية في الصور قوله منه السلام «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا خَلَقَ أَدَمَ عَلَى مِثَالِ صَوْرَتِهِ».

وفي رواية أخرى على صورة الرحمن وليس المراد بها صورة الذات، لأن الذات عرية عن المادة ولا صورة لها إلا من حيث التجلي فقط، كما تجلّى جبرائيل (عليه السلام) في صورة دحية وغيرها من الصورة البشرية كتمثله للأعرابي ولمريم (عليها السلام) بشراً سوياً، حتى إن الرسول الأعظم رآه مراراً كثيرة في صور مختلفة وما رآه في صورته الحقيقية إلا مرتين - على ما نقل - وأنّ تمثله في صورة دحية يعني إنّ ذاته اتفقت صورة دحية، بل يعني أنّه ظهر بتلك الصورة للسيد الرسول منه السلام مؤدياً عن جبريل ما أوحى الله إليه، وكان جبرائيل حالاً في ظهوره عند أداء الوحي بصورة دحية عند الرسول، وكان دحية في منزله والرسول يرى جبرائيل يؤدي الوحي، وغيره من الصحابة يرى دحية يرعى للرسول حقّ صحبته، فلو كان ظهور جبرائيل على صورة دحية عند أداء الوحي على طريق الحلول لكان دحية في تلك الحالة غائباً عن منزله حاضراً بين يدي الرسول ورئيساً الرسول كلثامهما في حالة واحدة. دحية في تلك الحالة في منزله، والرسول يرى جبريل في صورته يؤدي الوحي على خلاف ما يرى غيره كأنه دحية.

ففي أصحّ الرويتين دلالة تشير إلى نفي اعتقاد الحلول من هؤلاء السادات، وهي رؤية السيد الرسول إنّ المرئي هو جبرائيل في صورة ممثلة لا هو دحية فإن جبرائيل منزّه عن الصورة الحسية، لأنّه الروح الأمين الذي جعل الله له في خلقه هذه الصورة التي يظهر بها في أي صورة شاء، فإذا ثبت وصحّ ووقع أن يظهر ملك مخلوق حيث شاء بأي صفة شاء، فمشينة الله تعالى أولى بالإطلاق من قيد

الصورة وقيد عدم الصورة، بحيث يظهر إن شاء في الصورة وإن شاء في غير الصورة من غير حلول ولا تشبيه أصلاً.

المعنى: ومما يدل على نفي الحلول قول النبي: «إن الله خلق آدم على صورته أو على صورة الرحمن»، والمراد التجلي لأن الذات ليس لها صورة كتجلي جبرائيل بصورة دحية وبغير صورة دحية، كتجليه للأعرابي وكتمثيله لمريم (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) (سورة مريم: من الآية ١٧) وقد رآه النبي بصورة مختلفة وما رآه بصورته الحقيقية إلا مرتين، وتمثل جبرائيل كصورة دحية عند أداء الوحي للنبي ودحية في منزله وبين صحبه والرسول يراه جبرائيل والناس يرونه دحية (إذا رأيتم دحية عندي فلا تطيلوا الجلوس)، فهذا يدل دلالة قطعية على نفي، لأنه لو كان حالاً به لما جاز وجود الصورتين صورة دحية وصورة جبرائيل حالاً بدحية، وكذلك لا يجوز أن يحل جبرائيل بدحية في حال أن دحية في منزله أو بين صحبه وهو عند النبي يؤدي الوحي، ففي أصح الرويتين (وهما رؤية النبي) جبريل بعينه، وصورته ورؤية الناس إياه بصورة دحية وأصحهما رؤية النبي. دلالة تشير إلى نفي الحلول ومع هذا فجبريل منزّه عن الصورة الحسية لأنه الروح الأمين قال الفارض:

ولستُ على غيبٍ أحيلُك لا ولا	على مستحيلٍ موجبٍ سلبٍ حيلتي
وكيف وباسم الحق ظلُّ تحقُّقي	تكون أراجيف الضلالِ مخيفتي
وها دحيةً وافى الأمين نبيُّنا	بصورته في بدء وحي النبوة
أجبريل قل لي كان دحية إذ بدا	لمُهدي الهدى في صورة بشرية
وفي علمه عن حاضريه مزينة	بماهية المرئي من غير مربية
يرى ملكاً يوحى إليه وغيره	يرى رجلاً يُدعى إليه بصحبة
ولي في أتم الرويتين دلالة	تنزهه عن رأي الحلول عقيدتي

فإذا جاز التصوُّرُ لملك مخلوق بأي صورة شاء فانه سبحانه أولى بالإطلاق من قيد الصورة ومن قيد عدم الصورة.

المرتبة الجامعة

ولا يكون ظهوره ومشينته مقيداً ولا محصوراً حال ظهوره في الصورة بها وفيها، ولا مقيداً حال ظهوره بغير الصورة، ولا منحصرأ في الصورة، بل يكون جامعاً لم يزل ولم يزل بينهما مع عدم انحصاره في مفهوم ذلك الجمع أيضاً، فإن مقامات الكشف في التوحيد إما أن يكون كشف ظاهرية الحق، أو كشف باطنية، أو كشف ألوهيته الجامعة، أو كشف التنزيه عن الحصر في هذه المرتبة الجامعة، أو كشف التنزيه عن التنزيه الذي يقتضي التمييز عن الامتياز^١ عن الجمعية، فإنه سبحانه مع هذا التمييز والتنزيه عنه له أن يظهر في هذه المقامات، ويتميز فيها جمعاً وفرداً، فإذا جاز ووقع أن يكون لملك مخلوق قدرة التلبس بأي صورة شاء بلا معنى الحلول فيه جاز وصح أيضاً أن يتلبس الحق سبحانه تعالى بصورة القتالين بالتجليات بعد فناء أنانيتهم في توحيده. فافهموا ذلك فإنه من أخص أسرار الأيمان وأجلها، فتمسكوا به فهو العروة الوثقى التي هي حقيقة الأيمان في معرفة الرحمن^٢.

المعنى: يقول: لا يكون ظهور الله سبحانه ومشينته في ظهوره مقيداً في الصورة التي يكون ظاهراً بها، ولا محصوراً بغيرها من الصور، بل يكون في حال

كشف الشيء بكشفه كشفاً ومكاشفة رفع عنه ما يواريه، والكشوف عند السالكين كثيرة كشف عالم الحس وهو أن تعلم ما يفعل الناس في بيوتهم ثم كشف عالم الخيال والفرق بين كشف عالم الحس وبين عالم الخيال إذا رأيت صورة شخص أو فعلاً من أفعال الخلق أن تغلق عينيك، فإن بقي لك للكشف فهو في خيالك ثم الكشف المعدني والنباتي بأن تعرف خواصهما ثم الكشف عن عالم الحيوان أن تسلم عليك وتعرفك، ثم الكشف عن سريان الحياة السببية في الأحياء ثم كشوف التجليات الإلهية من الأدنى إلى الأعلى

الامتياز مصدر امتاز كامتاز كنيماً واستماز استمازة كل منهما انفصل عن صاحبه وانعزل. العروة كل ما يؤخذ باليد من خلقه، ويقال ذلك أوثق غرى الإيمان والصحابة غرى الإسلام وعندهم العروة الوثقى الولاية التي هي عبارة عن البيعة الخاصة، والبيعة وإن كانت محسوسة فالإتصال المراد منها لا يدرك بالابصار، ولا يتعقل بالعقول وذلك أن الإنسان حين تولده يزداد جوهر نفسه متجهاً إلى الإنسانية وكلما فعل فعلاً يؤدي إلى الإنسانية صار اسماً لذلك الفعل وتزوب بجهة السابقة بذلك الفعل فإذا بلغ مقام عقله يصيح قابلاً لتصرف الشيطان والرحمن ويكون متصرفاً والين بالأنفة (الروبة) ويصير فعلاً معقوداً بالولاية تتحقق نسبة الأبوة والبنوة بين التابع والمتبوع والأخوة بين الأبياء، ولذلك قال عيسى أنا ابن الله، ولكون الأفعال والفعليات مهما كانت فهي بدون الولاية قشور بلا لب ورد: لو أن عبداً عبد الله تحت الميزاب قائماً ليله صائماً نهاره ولم يكن له ولاية لمرد ولكنها أصل الكل ورد في الخبر أنها مفتاحهن.

تجريد من الصورة وفي حال ظهوره بها جامعاً للإثنين المتباينين: الظهور والبطون، ولم يزل كشف الحُجُب للسالكين في توحيده دائماً أبداً كلما رُفِعَ حجاب تجلي آخر، إما كشف ظاهرية الحق التي هي ظهوره للخلق كالخلق وهو التشبيه، وإما كشف باطنيته التي هي بطونه عن الجميع في غيبه المنيع أو كشف ألوهيته الجامعة بين الحق والخلق، كما تقدم عند قوله العبد الحق والحق الخلق (ومن هنا تعلم كيف أن المرتبة الإلهية هي اليقين الثاني) (أي هي التجلي بمرتبة الخالق لأهل مرتبة اليقين الثاني)، أو الجامعة بين البطون والظهور معاً، أو كشف التنزيه عن الحصر في رُتَبِي البطون والظهور والحق والخلق، أو كشف التنزيه عن التنزيه، لأنه إذا نزه سبحانه مثلاً عن البطون والظهور كان هذا التنزيه تحديداً، فيجب حينئذٍ التنزيه عن هذا التنزيه الذي يقتضيك أن تفرزه وتفرده عن الإفراز عن ألوهيته الجامعة بين البطون والظهور والتنزيه والتشبيه، وهو سبحانه مع الإفراز، له أن يظهر في جميع مقامات الظهور التي ذُكرت والتي لم تذكر، وله أن يتميز في كل واحد منها، وله أن يجمع بينها في آنٍ واحد، فإذا كان يجوز لملك مخلوق أن يستطيع الظهور بأي صورة شاء بلا حلول بتلك الصورة، جاز لله سبحانه أن يتجلي بصورة الذين يقولون بتجليه بعد فنائهم بتوحيده:

أليس قلتم إن إبليس له تصرف فكيف من أنشأ الورى

فافهموا ذلك فإنه أخص أسرار الإيمان وهو العروة الوثقى التي هي حقيقة الإيقان في معرفة الرحمن. قال الأمير:

أنافى هواها مُشْهَدٌ ومغيبٌ فأعجب لكوني؛ واصفٌ ومجردٌ
ومنزلة ومشيبة وموحدة ومعددة ومقربٌ ومُبْعَدٌ

(التجلي للأهل الأكوان)

ودليل آخر: وهو مما ورد في الآثار إن الله جلّت قدرته لما تجلى لبني آدم يوم الأنفلة وأشهدهم على أنفسهم بعد اعترافهم وتعريفهم بالربوبية كما نطق به

التنزيل (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى (سورة الأعراف: من الآية ١٧٢) فكان هو المتجلي بلا واسطة، وهو تعالى لم يزل متجلياً يراه أهل خاصته في الأكوان الستة. وهي الكون النوراني والكون الجوهراني والكون الهوائي والكون المائي والكون الناري والكون الترابي، فهو متجلياً يراه كل شخص بما يستحق من رؤيته إلى أن ظهر لهم في البشرية الناسوتية بالصورة المرئية، فهو سبحانه لم يزل مشاهداً في جميع الأكوار والأقوار لا يتغير ولا يحول ولا يزول عن كيانه فهو ظاهر في البشرية كما هو ظاهر في النورانية.

جمع الإنسان للأكوان الستة

فلما خلق الله تعالى آدم (عليه السلام) من تراب وجعله طيناً لازباً ثم حملاً مسنوناً ثم جعله صلصالاً كالفخار ونفخ فيه من روحه، وجعل فيه من كل كون جزءاً، فالجزء الذي فيه من الكون النوراني نور بصره الذي يبصر به كل شيء، ومن الكون الجوهراني قلبه وهو بلا عينين ولا أذنين ولا فم، بل هو جوهر يدرك كل شيء ويحيط به وهو ملك الجسد.

إن معنى آدم ليس محصوراً في أبي البشر فقط بل يقال آدم الملكي وهو آدمنا، وأدم الملكوتي، وأدم الجبروتي، وأدم اللاهوتي. وذلك لأن لكل من هؤلاء الأوادم أبناء من نوعه فقد مر عليك أن لكل عالم من العوالم مثلاً بالعالم الذي فوقه كان تكوينه عنه فكل ما في عالمنا عالم الطبع له صورة ومثال ينحو من التفضيل في عالم المثال بحيث لو رآه راء لقال هو هو بعينه، ولعالم المثال حقيقة ومثال في عالم العقول العرضية وله حقائق أيضاً في عالم العقول الطولية ينحو أبسط وأتم مما في هذا العالم بحسب الترتيب التعليمي من حيث الصعود من الأدنى إلى الأعلى، ويغير عن كل عالم بالدر بالنسبة لما فوقه انادي هو آدمه، وكل عالم أحق باسم آدم من الذي دونه لأن يكون بالتولد أكثر منه فأدم اللاهوتي الذي يعبر عنه بالحقيقة المحمدية والحق المخلوق به وغير ذلك بحسب أفعاله أحق باسم آدم من الجبروتي والجبروتي أحق باسم آدم الملكوتي إلخ... وبنو آدم كما مر. في كل مرتبة هم المنقسمون إليه أي الكائنون عنه حتى تصل إلى الإنسان الذي هو العالم الصغير فينبوه المدارك والقوى للعقل أقبل فأقبل أي إلى الدنيا والدار السفلى فتوجه عن الحق للعالم الأسفل، فكان المنفور إليه في كل مرتبة هو ظهورها، قال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) إلخ (الأعراف، ١٧٢) هذا بحسب سلسلة النزول بالتكوين وأما بحسب سلسلة الصعود لا يخفى. وعندما علمت أن الأشياء والأسماع على حقائقها اللغوية، بل الأحق بحقائقها عالم الطبع فلا حاجة لها لتأويلات المفسرين وتكلفاتهم ومجازاتهم.

لأزبا: لاصفاً مشتداً.

الحمأ: الطين الأسود.

المسنون: مفعول من سن. الطين عبله فخاراً.

الصلصال: الطين الخمر خُطِبَ بالرمل.

ومن الكون الهوائي أنفاسه التي تتردد في جسده، وهو هواء داخل خارج قابضٌ باسط باردٌ ممترجٌ معتدل.

ومن الكون المائي رطوبة جسده وليونته وتعطسه ودموعه وبصاقه ومخاطه وبوله وعذرت^١ وغانطه.

ومن الكون الناري في طباعه الأربع من سائر جسده، وهي تتضج مأكله ومشاربه وتتغذى بالحرارة وتسلس جسده وتسوي أعضائه، وكلما حل شيء في جسده أخرج حرارة نارية.

ومن الكون الترابي جسده ولحمه وعروقه وجلده وشعره، وهذا كله في كلما دبّ ودرج.

وفي العارفين الكون السابع، وهو الرجعة البيضاء والكرة الزهراء وكون رؤية أهل خاصته في الأكوان الستة دليلاً على إثبات ظهور المعنى بالصورة التي ظهرت للبشر كالبشر، ليصح الوجود ويثبت للعيان ولا يحول ولا يزول وإنما وصفنا هذه الأكوان الستة أبداً حتى يصح وجوده ولو لم يكن كذلك لم يصح وجوده.

المعنى: يقول : ولما خلق الله آدم من ترابٍ ونفخ فيه من روحه، بأن جعل فيه الحياة، وأهله لمعرفة، جعل فيه من كل كون من الأكوان الستة جزءاً يقوم بواجبه من قيام البدن المشترك فيما بينها، وتلك الأكوان تشمل كل ذي روح، وخص الإنسان بالكون السابع، وهو المسمى قدس المعرفة، وهو العقل يعرف به المظاهر الإلهية. وقد تعرف الأكوان الستة من ذكره تنزل الوجود، وذكره الطبيعة المطلقة والحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة، وقد تكلمنا عنها بما تفهمه تماماً إذا رجعت إليه وتفهمه أيضاً من قول الناسخ البغدادي:

خمسٌ ولكنهم بالفعل أربعةٌ كلٌ بصاحبه بالمزج منعقدٌ
وبانفراد تراهم غير ذي جسدٍ وباجتماع تراهم كلهم جسدٌ

قال الأمير:

وفي الخمسة الأكوام ما زلت سالكاً
وفي كونها النوري شاهدت نارها
الى كونها المائي وهو غباب
بغير حجاب والمثال حجاب

وقد مر بك من عجيب تركيب البدن ما لا تحتاج الى إعادته، وعن القلب كلام مستقصى، فارجع إليهما إن شئت.

(التفصيل بالظهور)

وسئل مولانا الصادق منه السلام من أين يظهر الحق؟.

قال: من بين الخلق ولكن أكثرهم لا يعلمون فإن من اشتداد ظهوره في نوره بحيث تضعف الإدراكات عنه، فيسمى ذلك الظهور حجاباً.

وقال موسى الكاظم منه الرحمة: أول شيء كلف الله عباده به قال لهم لا تنكروني في أي صورة ظهرت، فظهر في الصورة البشرية فأنكروه. وإنما ظهر لهم كم رحمة منه وتفضلاً ومنّة وطولاً وجوداً وعدلاً وإشفاقاً عليهم، إذ قد علم منهم أن ليس باستطاعتهم أن يثبتوا له إذا ظهر من حيث هو، فتلطف بهم كما تلطف لأهل النور، ولو ظهر لهم بكمال نورانيته لأطفأ الأنوار وأعمى الأبصار وأحرق كل الكون، ما علا وما سفل وما بينهما، وكان غير جائز بالحكمة ولا ثابت في العلل، لأن النور الحقيقي هو يدرك به ولا يدرك لأنه عين الذات من حيث تجرّدها عن النسب والإضافات.

المعنى: يقول: مستشهداً على إثبات التجلي بالصورة الأينية، بقول الإمام جعفر، يظهر الحق من بين خلقه بدون أن يتغير عن كيانه، فيشتد ظهوره بنوره بحيث تضعف الإدراكات المتوجهة إليه عن النظر الى ذلك النور القاهر، فينعكس ناظرها إليها فيكون ضعفها عن استجلاء النور حجاباً كثيفاً.

الحجاب كل ما حال بين شينين والحجاب عند أهل الحقيقة هو شدة الظهور بإشراق النور فتمتنع الأبصار عن رؤيته سبحانه فيرجع نور الناظر إليه فيرى صورته ومثله فكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء وظهر بكل شيء وفي كل شيء وقبل كل شيء ومن كل شيء. الطول الامتنان والإحسان.

مشهودة لا يراها في الأنعام بها خلق وقد شوهدت بين الخلائق بي

وقال الكاظم: أول ما كلف الله عباده أن لا ينكروه في أي صورة ظهر وظهر فأنكروه، وإنما ظهر لهم بهم رحمة وامتناناً، ولو ظهر بنورانيته لأطفأ الأنوار (مراتب عالم النور) وأعمى الأبصار، فأحرق الجميع، فاضمحت المكونات واحترقت من نور السُّبُحات. قال ابن عربي بعد أن قسم الحُجُب:

وأما حجب العناية وهي حجب الإنشفاق على الخلق من الإحراق، فهي الحجب التي تمنع السبحات الوجهية ما أدركه البصر من الخلق، والسبحات أنوار ذاتية بينها وبينها حجاب الأسماء الإلهية، والسبحات في العموم باللسان الشامل أنوار التنزيه.

(النور الجبرو لا يرى)

وهذا لما سئل الرسول هل رأيت ربك قال: (نور أنسى أراه)، أي النور المجرد لا يمكن رؤيته. وكذلك أشار الحق في التنزيل لما ذكر نوره في مراتب المظاهر فقال تعالى (الله نور السموات والأرض)^١، فلما فرغ من ذكر مراتب التمثيل^٢ قال (نور على نور)، فأحد النورين هو الضياء والآخر هو النور المطلق

جُزء المر من لباسه عراه، والنور المجرد كناية عن تعريته من لباس التعينات. قد مر بك أن السماوات لا اختصاص لها بالأفلاك الطبيعية والكرات العلوية وما سوى ذلك بل كل ما فيه علو وقاعية بالنسبة إلى ما دونه فهو سماء بالنسبة إليه والأرض اسم لما فيه تسفل وقبول. وكذلك السماوات والأرض اسمان للموجود منهما الممتاز بتعين السماوي والأرضي أو اسمان لنفس مهياتهما من دون اعتبار الوجود معهما. فإذا علمت أن السماوات والأرض لا تخصص لهما صح أن يقال أن الله بحسب مظهره الذي هو العقل الكلي أو الروح الكلي الذي هو رب النوع الإنساني نور السماوات والأرض بالوجوه المذكورة من تعدد السماوات والأرض، أو بحسب مظهره الذي هو عالم المثال نور السماوات والأرض أو بحسب مظاهره التي هي لطائف الولاية والنبوة والرسالة نور السماوات والأرض في العالم الكبير أو في العالم الصغير بالوجوه السابقة أو بحسب مظهره الذي هو ضياء الشمس نور السماوات والأرض الطبيعيين بالمعنى المدرك لكل أحد أو بحسب مظهره الذي هو مثال أولياته(ع) الظاهرين في صدور السالكين نور السماوات والأرض في العالم الصغير إن لم يكن ذلك المثال قويا على إنارة الأرواح أيضاً أو بحسب مظهره الذي هو القوة الواهمة، والمتخيلة والخيال، أو بحسب مظهره الذي هو المدارك الباطنة أو المدارك الظاهرة. يعني أن كل رتبة عالية سماء للرتبة التي هي دونها وتلك الرتبة أرضها ويتجلى الله لأهل تلك الرتبة فتشرق بنوره هي وأرضها، ومن هنا تعلم شرح الشيخ للسماوات السبع والأرضين السبع. مراتب التمثيل: المشكاة والمصباح والزجاجة. مثل سبحانه نوره الساري في مراتب المظاهر في تزلزلات الوجود بالمفاعيل التي ظهرت عن نوره كما تعلم بمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة

الأصلي الأحدثي، ولهذا تَمَّ فقال (يهدي الله لنوره من يشاء)، أي يهدي الله بنوره الظاهر المتعين في المظاهر والساري فيهما، إلى نوره المطلق الأصلي الأحدثي.

ولما سئل بن عباس عن رؤية الرسول لربه تعالى أخبر إنَّه رآه، فأخبر بقول عائشة وقولها عن رسول الله (ص) وقد سألته عن رؤية ربه (ﷺ) وهو قوله «نورَ أنى أراه» فراجع السائل ابن عباس فقال له: ويحك ذاك إذا تجلَّى في نوره الذي هو نوره. أي إنما تتعذر الرؤية والإدراك باعتبار تجرّد الذات عن المظاهر والنسب والإضافات. أمّا في المظاهر فمن وراء حجابية المراتب فالإدراك ممكن كما قيل شعراً.

كَالشَّمْسِ يَمْنَعُكَ اجْتِلَاؤُكَ نَوْرَهَا فَإِذَا اكْتَسَتْ بِرَقِيقٍ غَيْمٍ امْكُنَا

المعنى: ولما عرّف عن عدم إمكان رؤية الحق بكمال نورانيته قال مستشهداً بما سئل به النبي هل رأيت ربك؟

قال: نورَ أنى أراه. أي أنه نورٌ مجردٌ لا تمكن رؤيته، ولما ذكر من امتناع رؤيته سبحانه مجرداً عن المظاهر أشار سبحانه بقوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِثْكَاهٍ فِيهَا مُصْبِحًا) الخ. يعني تجليه سبحانه من وراء حجابٍ للتمكن من الرؤية، فلما فرغ سبحانه من ذكر مراتب تمثيل نوره بظهوره من وراء المشكاة

الزجاجة كأنها كوكب دري فتجلى الله سبحانه بغلاف في جوف غلاف، غلاف علوي في جوف غلاف سفلي لكل من المراتب لتلا يكون متجلياً بحقيقته فتحترق المكونات من سطوع السبحات وظهوره سبحانه لكل رتبة بصورة تلك الرتبة فإذا أريد بالنور (بقوله سبحانه نور على نور) تجلي المشينة كانت الشجرة الذات العلوية والمصباح نفس المشينة والزجاجة عالم الأرواح مطلقاً والمشكاة عالم الطبع. وإذا أريد بالنور العقول كانت الشجرة مطلق عالم المشينة والزجاجة عالم النفوس والمشكاة عالم الطبع وإذا أريد بالنور عالم النفوس كانت الشجرة المشينة والعقول والمادة الأولى والزجاجة عالم البرزخ والمشكاة عالم الطبع، وإذا أريد بالنور الولاية أو النبوة أو الرسالة أو الأجزاء ظاهرة أو الروح أو العقل أو القلب أو النفس البشرية أو مثال الشيخ، كان تطبيق سائر هدايته والمشكاة كما إذا قلنا: إذا كان النور الولاية كانت الشجرة صاحب الولاية والزجاجة علمه صفاء الزيت وصفاء الموالى مثلاً وتلك المظاهر جميعها نورٌ على نور في شدة الإضاءة في الموجودات المقيدة وواردٌ عليها وجميع ذلك يدل على أن جميع تلك الأنوار مظاهر تجلي فعله سبحانه، يتجلى لكل رتبة من ورائها ومن وراء ورائها (غلاف في جوف غلاف) وكل هذه الوجوه أرادها المؤلف كما يتضح من كلامه بقوله (يهدي الله لنوره المتعين في المظاهر والساري فيها) وهذا التحقيق والذي قبله مختصران من بيان السعادة.

والزجاجة والمصباح. كما مر قال «نورٌ على نورٍ»، أي هذه الأنوار نورٌ على نورٍ، فأحد النورين المذكورين هو الضياء المنبعث عن النور المطلق الأحدي، والآخر هو النور الأحدي، يهدي الله بنوره (أي الضياء) الذي كانت عنه الأنوار جميعها مُجردها وبسيطها وعرضيها إلى معرفة نوره الذاتي المطلق. قال ابن عباس لسائل سأله هل رأى رسول الله ربه: قال نعم.

وأُنكرت عائشة الرؤية بحديث عن رسول (ص) وقيل (إنها أنكرت الرؤية متأولةً) فقال ابن عباس: إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، أي بذاته كشفاً لا تمكن رؤيته. أي أن رؤية الذات الأحدية مجردة عن الأسماء والصفات والنسب والإضافات لا تمكن، أما بالتجلي في المظاهر فالإدراك ممكن لكل ذات:

محجوبةٌ يُظهرها حجابها كالشمس يجلوها على الطرف الطفل

وما ذكر من تعدد السماوات، وأن لكل سماء مشكاةً ومصباحاً وزجاجةً للتمكن من المشاهدة، وذلك هو التجلي لكل عالمٍ بشاكلته، ولئلا يبقى عليه أسمائه وصفاته، فنوره الساري في المظاهر جميعها جوهريةا وعرضيةا هو ضياء نوره المطلق الأحدي، وليس ضياء النور غير النور من حيث رتبة الجمع، وهو غيره من حيث رتبة الفرق.

النور والضياء والظلمة

وإلى مثل هذا أشار الرسول (ﷺ) في بيان الرؤية الجنانية^١ المشبهة برؤية الشمس^٢ والقمر، فأخبر عن أهل الجنة أنهم يرون ربهم وإنه ليس بينه وبينهم

^١ الجنانية نسبةً إلى الجنان يدل على ذلك ما بعده خلافاً لما في سائر النسخ كما قال الشيخ عبد الهادي حيدر.

^٢ الشمس الحقيقية التي هي حقيقة شمس عالم الطبع هذه نزلت عن مقام غيبها، وظهرت بفعل البارئ تعالى الذي هو المشيئة، ثم نزلت وظهرت بالنفوس في مراتبها، ثم ظهرت بعالم الطبع بصورة هذه الشمس المحسوسة، وكما أن هذه الشمس حركتها كروية دورية، وبكرويتها وبورتها يظهر الليل والنهار هنين كذلك الشمس الحقيقية حركتها في كل عوالمها كروية لكن كروية معنوية لا مجسوسة، فإن كل عالم من العوالم مشتمل على قوسي الصعود والهبوط. وقد مر بك أن للعوالم مثالا صاعداً وهو أن تبدئ من هنا فصاعداً رتبة رتبة إلى عالم المشيئة ومثالا نازلاً بالعكس أي أن تبدئ من هناك وكل مرتبة لها هاتان الجهتان: جهة صاعدة وهي الجهة العلوية وجهة نازلة وهي الجهة السفلية، ولها وسط بين تينك الجهتين وهو حقيقة تلك المرتبة كما عند الرداد، فيبعد وصول النور إلى الوسط الذي هو أولسط قوس النزول يختفي تدريجياً وعند ذلك يكون الليل بحسب ذلك

حجاباً إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن، فنبه على بقاء الرتبة الحجابية وهي رتبة المظهر.

وإذ قد نبهتكم على إثبات النور الحقيقي إنه يدرك به وهو لا يُدرك. والضياء يُدرك ويُدرك به، والظلمة تُدرك ولا يُدرك بها، ولكل واحد من هذه الثلاثة شرفاً يخصه.

فشرف النور الحقيقي من حيث الأولوية والأصالة^١، إذ هو سبب إنكشاف كل مستور. وشرف الظلمة هو إنه باتصال النور الحقيقي بها يتأتى^٢ إدراك النور مع نَعْر ذلك قبل الاتصال. وشرف الضياء هو من حيث الجمع بالذات بين الأمرين واستزاد ذلك حيازة الشرفين. وللنور الحقيقي ثلاث مراتب أخرى:

أحدهما المدركة للوجود المحض المطلق الحقيقي. والثانية مشاركة مالمزم الحقيقي المطلق أيضاً. والثالثة اختصاصه بالجمع الذي وراء الظهور والظهار.

المعنى: يقول: وإلى مثل ذكر فيما سبق من أن الإدراك ممكن بالتجليات فقط، فقد أشار (ص) في بيان إمكان الرؤية بصفة الشمس والقمر مظهري الجلال والجمال بقوله: أن أهل الجنة يرون ربهم وليس بينه وبينهم حجاب إلا رداء الكبرياء (المظهر الجلالي)، فدل بقوله: رداء الكبرياء على وجهه، على بقاء رتبة المظهر الذي هو الاحتجاب، فالاحتجاب مظهر، وإذ قد نبهنا أن النور الحقيقي يُدرك به ولا يُدرك فلنعلم أن الظلمة تُدرك ولا يُدرك بها، فهي ضد النور، وإن الضياء جامع بين النور والظلمة يُدرك به ويُدرك، ولكل واحد من الثلاثة النور والضياء والظلمة شرف يخصه، فشرف النور أنه أصل الأنوار وشرف الظلمة هو أنه لولا اتصال

العالم وبعد ذلك يرتقي تدريجياً إلى أواسط قوس الصعود وحين شروعه بالظهور يكون النهار بحسب ذلك العالم أيضاً يعني أن النورة كروية كما هي هنا مع هذه الشمس، فعند إشراق الشمس على الجهة العلوية من كل مرتبة دائرة دورتها إلى أن تشرق على الجهة السفلية يكون الليل صار عند الجهة العلوية بحسب تلك المرتبة لا كما عندها، وهذه هي الليالي المقسومة بها القرآن الكريم لا ليالي الشيخ حبيب عيد وبكيان الليل عند الجهة العلوية يكون النهار عند الجهة السفلية وهكذا ولا اختصاص الليل النهار بعالم الطبع وليل كل عالم ونهاره بحسبه وكذلك يجب أن يكون ولعل هذا هو معنى تعدد الشمس والأقمار في الأخبار (عن بيان السعادة باختصار).
الأصل: الأصل الشريف الجيد، والرأي الجاند.
نقلى الأمر تهياً له وسهلت طريقته.

النور بها لا يتسنى إدراكه، لأن النور المجرد لا يرى، وشرف الضياء هو جمعه بين النور والظلمة يدرك به ويدرك.

ما ظاهر إلا ويغربُ شخصه
عن باطن من غير ما إنكار
كالنور يستره الضياء وإن غدا
مع ستره ستراً لذات الباري

وللنور الحقيقي الأول ثلاث مراتب أخر:

الأولى: هي المدركة للوجود المحض إذ لولاه لم يدرك.

الثانية: مشاركته للوجود من حيث الإطلاق والتعيين.

الثالثة: جمعه بين ظهور الأشياء وإظهاره إياها، أي النور الحقيقي المطلق من قيد التعينات تستشرق به العقول والأفهام، فتدرك الوجود الذي به قيام الموجودات. وقد مر بك أن الوجود حقيقة واحدة لا تكثر فيها ذات مراتب عديدة بحسب مراتب الموجودات، ولا النور الحقيقي لم يدرك الوجود، والوجود يشارك النور بعدم التقيد، فيكون حقيقة واحدة كالوجود متعيناً مع كل ذات في الموجودات مع إطلاقه عن التعين في شيء من الأشياء محسوسة كانت أم معقولة، وبه ظهرت الأشياء الموجودة، أي علة إيجادها وإظهارها ترى به وتعرف به.

(تحاو العلم والوجود والنور)

فأما وجه اتحاد العلم مع الوجود والنور فهو من جهة أن كلا منهما من شأنه كشف المستور، وأما الكشف الخصوصي بالوجود فهو من جهة أن الوجود لما كان واحداً في الأصل وعرضت له التعددات المختلفة فقد عليم أن ثمة معدّات متفاوتة القبول، فصار الوجود من هذا الوجه سبباً لمعرفة الماهيات المعدومة. إذ لولاه لم يعلم أن ثمة ماهيات أصلاً. وأما العلم فيكشف الماهيات المعدومة قبل الكشف الوجودي، ويعرف بكيّفية قبولها للوجود وتوابع ذلك من بقاء وفناء وتركيب وبساطة وغير ذلك من اللوازم. وأما كشف النور فهو متأخر عن الكشف

الوجودي، لكنه يشترك الوجود والعلم والنور ولا تميز بينهم في إن كلاً واحد من حيث وحدته وإطلاقه. ولا يدرك ولا يرى بل لا تعدد بينهم في الحضرة الأحدثية الذاتية، ويتميز الوجود عن العلم بكون المعلومات تعدد العلم من حيث الكائنات في مرتبة العلم لا غير خلاف الوجود. فإن المعلومات تعددت وظهرت للمدارك. وأما الفرق بين النور الحقيقي الوجود المحض، فهو من جهة أن الوجود يظهر للمدارك بقابلية المعلومات المعدودة المتعينة في علم الحق والنور المحض الذي لا يمكن إدراكه إلا في مظهر موجود لا يغير وجود الحق تعالى.

المعنى: وإنما ظهر الحق تعالى بالصورة لإثبات وجوده وعيانه وتيقنه. لأن ما يقع عليه اسم الظهور يوشك أن لا يكون شيئاً. بل إنما الصورة التي ظهرت للخلق هي هو إثباتاً لوجوده، وإنما نظر العالم إليه من حيث شاكلتهم. كالناظر إلى المرأة ينظر إلى نفسه، وإنما ظهر إلى عالمه بالصورة المرئية الموائمة المجانسة بالأسماء والصفات. واحتجب بالأب والأم، وأظهر أكل الطعام وشرب الشراب، من حيث ناسوتية العالم ليقرب إلى عقولهم، ولو أظهر للعالم لاهوتيته لم يثبتوا رؤيته، وإنما ظهر كذلك ليجانس الخلق، وهو يتعالى ويحلّ عن ذلك كله، وإنما أورد ذلك الظهور إثباتاً لحجته، فيحتج عليهم بنفسه. فهو باطن وأن ظهر، وهو ظاهر وإن بطن، حاضر في غيبته غائب في حضوره لشدة نوره. فمن كان الحق مرآته يرى ظلمة الكون من وراء نور مرآة الحق، وتكون ذاته دائم المشاهدة وإليه الإشارة بأنه أبيض الوجه في الدارين، ومن كان العقل مرآته يرى ظلمة الكون بنور مرآة الحق. فالأول هو المتقرب بالفرائض، والثاني هو المتقرب بالنوافل.

ودليل آخر في امتناع ظهور الذات المقدسة مجرداً عن المظاهر مما ورد في الخبر الصحيح: إن الله سبعين حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات نور وجهه عباده وما أدركه أحد من خلقه.

اعلموا إخواني رحمكم الله: إن كل موجود ظاهر بالوجود من خلف سبعين حجاب من نور وهي حجب الصفات الإلهية، ومن ظلمة وهي حجب الصفات الكونية ستة وأربعون، منها صفات إلهية نورانية، وإحدى وعشرون منها صفات كونية ظلمانية.

والنور الوجودي المطلق الرحماني يسمّى وجهاً باعتبارين، باعتبار مواجهة جميع الحقائق الكونية. وباعتبار مواجهة كل حقيقة غيرها، بأثر وشعاع مضاف إليها منه، فإنه مرآة يتجلى ويتراءى لكل حقيقة نفسها، وغيرها من وراءه، فكان هو المواجه لكل شيء، والسبحات هي أنوار ذاته، وأما البصر الإلهي فهو عبارة عن تعيين نور وجودي يتعلّق بهيئة معنوية أو صورة أو بضوء شعاع معنوي أو صوري أو صبغة معنوية أو صورية بواسطة أو بغير واسطة، فباعتبار تعلّق هذا النور بوحدة أو فاعلية أضيف إلى اليمين، وباعتبار تعلّقه بكثرة أو قابلية نسب إلى اليسار. فنقول: لولا إن نور وجوده الوجهي الطالع من مطلع اسم الله المشتمل على جميع الأسماء والصفات محتجباً بهذه الصفات السبعين المذكورة، وكانت هذه الحجب مرتفعة، ولو تجلّى ذلك النور بكشف هذه الحجب لأحرقت سطوة هذا النور الوجهي وقوة غلبة سناه التي هي قوة سجيته وسلطنة واحدة وجلالها، وغلب إطلاق جلالها كل نسبة وإضافة وكثرة منسوب إليها فعل أو قبول أو أفعال يدركها نور بصره تعالى، ويلحق ذلك المدرك بسلب النسب والإضافات عنه إما إلى عدم محض وإما إلى وجود يجب.

فاقتضت تلك الحكمة البالغة إسبال تلك الحجب على الدوام، وإمداد الخلائق من ورائها بما يقتضي أحكام أعداد أنوارها من أفعالها وآثارها، لبقاء الموجودات المعركة ببصره تعالى، ولا تخترق فيفنى العالم بالكلية، وهذا على تقدير رجوع ضمير بصره إلى الحق تعالى. ومن هنا بالتبعيض، وأمّا على تقدير عود الضمير إلى الخلق فمن فيه للتبيين، فمعناه إن كل سالك ينطلق عن قيد أنانيته الوهمية المحدث له ويتخلص من قيد المراتب الوهمية الخلقية، ويؤهل للحصول على تجلّ من تجليات النور الوجهي المطلق، ولو انكشفت هذه الحجب السبعون المذكورة عما بينه وبين النور الوجهي لأحرقت أشعة وحدة هذا التجلي الوجهي كل كثرة ونسبة وإضافة كان يدركها بصر السالك قبل هذا التجلي، بحيث لم يقع نظره إلا على وجه كل شيء وهو الموجود الواحد، فكان شاهداً ببصره الظاهر إن كل شيء هالك، وهي المراتب الخلقية -إلا وجهه- الذي هو الوجود المواجه لكل شيء، وإن الحكم والتأثير في كل شيء ليس إلا له، وإليه مرجع كل شيء، ولا حول ولا قوة إلا له وبه، وعلى هذا التقدير الأول ترتفع الحجب أصلاً، وعلى الثاني ترتفع عن نظر

المالك الشاهد حال شهوده التجلي الظاهري، فافهموا وما فهمكم إلا بالله العلي العظيم، فلو ظهرت ذاته المقدسة بدون الاحتجاب بهذه الصفات لاحترقت المراتب وأهاليها بشدة سطوع أنوار جمالها وجلالها وتلاشت بالكلية والله العليم الخبير.

(التنبيه السابع: في بيان حكمة ظهور الحجاب بالبشرية لأتمته لهم)

اعلموا أخواتي رحمكم الله أن أشد حجاب يحجب الخلق عن معرفة أولياء الله تعالى وأنبيائه ورسله منهم السلام رؤية المماثلة والمشاكلة والمجانسة، وهو حجاب عظيم قد حجب الله تعالى به الأكثرين من الأولين والآخرين كما قال الله تعالى حكاية عنهم (ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يأكل مما تسأكلون منه ويشرب مما تشربون) (سورة المؤمنون: من الآية ٣٣) (ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون) (سورة المؤمنون: ٣٤) ثم قالوا كما حكى الله عنهم بقوله (وقالوا لو لا أنزل عليه ملكٌ ولو أنزلنا ملكاً لفضي الأمر ثم لا ينظرون، ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون) (سورة الأنعام ٨: ٩) يعني من هذه القمص البشرية. وكذلك قال الله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً، قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) (سورة الإسراء ٩٤: ٩٥)

فالسيد الرسول هو الناطق بالآيات والمعجزات المشير إلى مولاه العين بالدلالات، وهو الاسم الأعظم والحجاب الأكرم والنفوس المحذرة والعين الناضرة والجنب الحريز والذكر العزيز، والعرش الرفيع والكرسي الواسع والعقل الكلبي الفعّال الذي ظاهره الرسالة وباطنه الجلالة، اخترعه معناه من نور ذاته وحركه من النور بعد سكونه، فهو الواحد الذي أبداه الأحد مولاه لإيجاد موجوداته وهو ظاهر صفاته وباطن كلماته، إن ظهر معناه أشهده ظهوره وإن بطن أخفاه تحت تلك نور، فهو قديم بالنور محدث بالظهور لا هو هو فيكون معه إلهاً ثانياً ولا هو غيره فيكون عنه منفصلاً باتناً. يدعو إلى مولاه وينبئه إلى معناه. فهو الأول في الإيجاد والآخر بعد نفاذ الأعداد. الظاهر على كل شيء بوجود الفيض والإمداد. يعلم الأسماء فلا يغرب عن علمه مثقال ذرة إلى آخر الأبدان وهو رب العباد.

يدل على ما ورد في قوله (يحيى) (إن إلينا إيمانهم ثم إن علينا حسابهم) وقوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَّمَ الْقُرْآنَ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كُنْتُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (سورة الزمر: ٤٦) وهو الحجة للحق على الخلق والرسول الناطق بالصق لنلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسول فكل رسول ظهر في كل جيل وملة فهو هو بلا شبه ولا ريب بليل قوله تعالى (هذا نذير من النذر الأولى) وقوله تعالى (لا نفرق بين أحد من رسله)، وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) وإنما اقتضت الحكمة الإلهية أيضاً بأن يظهر لهم فهم ليفهموا عنه ما يوحى إليهم من معالم الدين كما قال الله تعالى (لَمَّا ظَنَنَّهُوهُ بَشَرًا وَاسْتَخَفُّوهُ) فقالوا (أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسفر) أي تعب وعناء في النار إلى يوم القيامة، وذلك أن الباري تعالى أوجد الميم من مائتين، روحانية نورانية وجسمانية بشرية، فيقابل بروحانيته عالم الروحانيين و(يلاقى) ويقابل بمادة بشرية عالم البشر، فيكون معهم ويكون هو كهم كما قال تعالى (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) فيجتسمهم ويشكلهم بما يمثله، لأنه لو برز إليهم في هيئة الروحانية لما أظفوا مقابلته ولم يفهموا عنه ما يوحى إليه ولهذا من الله عليهم بقوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قوله: (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) لينبئ به عند التجلي صفات الربوبية ويطبق به مشاهدة الحضرة الإلهية ويتلقى به أنوار الأسرار الفردانية ويسمع به خطاب الإشارات القدسية، وينشئ به عطرة النفحات الروحانية ويعرج به إلى المقامات العالية، وهو المشار إليه بقوله: لست كالحكم، إذ معناه ليس كمثله شيء ولا يحيط به شيء فرد أخذ صمد لا في شيء ولا من شيء ولا على شيء ولا قائم بشيء ولا ملحق إلى شيء، ولا هيكل ولا شعباً ولا صورة ولا جسماً ولا محيزاً ولا مكيفاً ولا مؤلفاً ولا مركباً (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، فهذا بوقاً كافياً وشرحاً شافياً فيما اقتضته الحكمة في إرسال الرسل في أوقات متعددة، وظهر لهم فهم بالصورة البشرية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وبه نفسي وعليه توكل.

القاعدة الثانية: في بيان إثبات وجوب المعرفة بالله تعالى على الإنسان المعادل البالغ

الرشد

التنبيه الأول: في بيان السبب الموجب للإيمان والخلق

اعلموا أخواتي رحمكم الله إنه قد ورد في الخبر المشهور إن داود النبي
منه السلام سئل رب العزة فقال يا رب لم خلقت الخلق؟

فقال: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبني
عرفوني. وقال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أي ليعرفون. فدان
لك سبب الفوزهم بالجنة ونجاتهم من النار ولها قال الله تعالى (أفحسبتم إنما
خلقتكم عبثاً وأنكم ألينا لا ترجعون)؟ فكانت الحكمة الإلهية في إيجاد الخلق
للمعرفة بقدرته الباهرة من الصورة المرئية الظاهرة لا عن حاجة منه في إيجادهم
ولا عن عبث لأنه تعالى بذاته غني عن أسمائه وصفاته، فهو منزلة عن العبث إذ
الحكمة لا تقتضيه. فلو وجد الخلق وأمرهم بالعلم به فقال لأول موجود اخترع فاعلم
أنه لا إله إلا هو. وكذلك ينقسم الوجود إلى عالم ومعلوم وعارف ومعروف.

وشاهد ومشهود وعابد ومعبود وقديم وحادث ولو لم يخلق الله تعالى الكون
ما كملت مراتب الوجود وتقاسيمه وهو سبحانه لم يزل كاملاً كيانه قبل الظهور
للكون بذاته وبعد ظهوره بصفاته.

فإن بهذا أن الحكمة في الإيجاد إنما هي لما ذكرناه من وجوب معرفتهم
لباريهم لنجاتهم وفوزهم.

وكذلك تواترت الرسل مبشرين ومنذرين وبما أخذ عليهم من العهد مذكّرين.
قال تعالى (ونفّر بين الفكري تنفع المؤمنين).

وقال تبارك وتعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأنّه
وسلماً مبشراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً). وإنما أمر الله سبحانه
وتعالى بالتذكير لما سبق من إقرارهم لما أخذ العهد عليهم بقوله تعالى (وإذا أخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا

بلى)، فاقروا كلهم باختيارهم من غير أكراه ولا أجبار فثبتت عليهم الحجة باعتبارهم إقراراً بالسنتهم. فمنهم من آمن بقلبه ومنهم من كفر، فلم يوافق قلبه لسانه، فالمؤمن لا يزال مؤمناً والكافر لا يزال كافراً لقوله تعالى (إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن).

وقد روي عن مولانا أن الشاهد عليهم هو العقل الكلي وهو الميم وهو الاسم الأعظم الذي أوجدتهم بإذن مولاهم الأزل الأحد وهو الحاكم غداً.

فالمؤمن من أطمئن قلبه بالإيمان وراقب الحق في معاملة الأخوان بالإحسان. والكافر من جحد بعد الإقرار وثبتت عليه الحجة فشقي بالإتكار، حيث لم يدخل الإيمان في قلبه، لكن أقر باللسان، والدليل على ذلك قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) فأبان الله تعالى الفرق بين الإسلام والإيمان بأحسن بيان. فبالإسلام حقق دمه وبالإيمان آمن الولوج (في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً) لا يدخل الجنة هو وأمثاله حتى يلج الجمل في سم الخياط، كلما نضجت جلودهم بكلناهم جلوداً غيرها ليزوقوا العذاب عدلاً من الله شاملاً وحكماً نافذاً بالعدل كاملاً (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)، وأما من آمن وعمل صالحاً فهو كما وصفه الله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)، فبالإيمان والاستقامة خصهم الله بالرضوان وأباحهم النعيم في الجنان. فأشرق نور العقل بواسطة النفس على المؤمنين فثبت على الإقرار بالإيمان، وحجب عن الكافر بجحده بعد الإقرار فزاع وضل. عدلاً شاملاً وحكماً لازماً، فقال الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)، فهذه المشينة هي التي سبقت، وهي المشار إليها بقوله الحق (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم) وهو إنه لما مزج العالمين النوري والظلمي بالحكمة التامة قبض بيمينه وقال هؤلاء للجنة ولا أبالي، وقبض بشماله وقال هؤلاء للنار ولا أبالي.

هكذا ورد في الظاهر والباطن، لأن المؤمن لو خلاص من مزاج الظلمة لما هفا ولا بدت منه السيئات، والكافر لو لم يكن فيه من ممازجة النور لما تنسك ولا أطاع.

كذا ورد في كلام مولانا عزَّ عزَّه ظاهراً في نهج البلاغة فقال: إنما بدء وقوع الفتن آراء تبتدع وأهواء تتبَّع، يستولى عليها رجالٌ على غير دين الله ويحكم فيها بغير كتاب الله، فلو إنَّ الباطل خلص من مزاج الحق لم يخفى على المرتادين، ولو أنَّ الحق خلص من لبس الباطل لانتقطعت عنه ألسن المعتادين، ولكن يؤخذ من هذا ضعفٌ ومن هذا ضعفٌ، فيمزجان، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه وينجوا الذين سبقَتْ لهم منَّا الحسنَى، فيان لك المراد والحكمة في الممازجة بما أوضحه مولانا عزَّ عزَّه بأوجز بيان وأحسن لفظ وتبيان.

فغاية الإنسان التخليص من الممازجة وتمييز القبضتين حتَّى تنفرد هذه بعالمها وهذه بعالمها، وكما قال الله تعالى (لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)، فمن بقي عليه شيء أو فيه من الممزجة شيء حتَّى مات عليه لم يحشر يوم القيامة من الآمنين. وأمَّا من تميَّز هنا في إحدى القبضتين انقلب إلى الدار الآخرة إلى نعيم أو إلى عذاب، فاتَّه قد تخلص فيعرف كلَّ عالم حظَّه من مشيئته من غير امتزاج والله اعلم.

(التنبيه الثاني: في بيان تتمّة السبب الموجب الحق إجماع الخلق)

اعلموا أخواني رحمكم الله وإنَّ الحق تعالى هو النور، والنور لا يمكن أن يرى في النور، فكمال رؤية النور موقوف على مقابلة الظلمة، ولا شك أن الوجود المحض لا يتعيَّن بالنور ويتعقل في مقابلته للعدم المضادَّ له، فإنَّ للعدم تعيناً في التعقُّل لا محالة، وله الظلمة، كما أنَّ الوجود له النور، ولهذا يوصف الممكن بالظلمة، وأتَّه يتنور بالوجود فيظهر. فظلمته من أحد وجهيه الذي يلي عدم وكلَّ نقص يلحق الممكن ويوصف فإتَّه ذلك من أحكام نسبته العدمية. وإليه الإشارة بقول الرسول (ص) «إنَّ الله خلق الخلق في ظلمة ثمَّ رشَّ عليهم من نوره». وقوله خلق هاهنا، بمعنى قدر فإنَّ التقدير سابق للإيجاد، ورشَّ النور كناية عن إفاضة الوجود على الممكنات، فمن أصابه شيء من ذلك النور اهتدى، والرشَّ عمومي والإصابة تخصيص، فالرشَّ من الدقائق الممتدة من الاسم، والإصابة هي الإلهام للخلق التي تترقى بها، وغير المخصص غفل عنها حتَّى قطعها، فبقي في

ظلمته الهوان غير مخاطب لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل، فمن سالك بالنفوس ومن سالك بالعقول ومن سالك بالأسرار، وهو الأخص والأحق بالتبعية، فإذ قد تقرر هذا فنقول: لعدم هو متعين في مقابلته للوجود كالمراة له، والمتعين بين الطرفين هو حقيقة عالم المثال والضياء هو صفته الذاتية، ثم سرى هذا الحكم في كل متوسط بين شينين، إنه إذا كانت نسبته إلى أحد الطرفين أقوى من نسبته إلى الطرف الآخر أحق أن يوصف بما يوصف به الطرف الغالب، ويسمى باسمه.

الا ترى أنه لما كان عالم الأرواح وما فوقه من عالم الأسماء والصفات موصوفاً بالنورية والوجود الأبدى كانت صورة عالم الكون والفساد موصوفة بالكنورة والظلمة، لكنها في مقابلة عالم الأرواح الذي هو عالم النور، وإذا فهمتم ذلك فاعلموا إن المتعلق بحب الحق إيجاد العالم إنما موجه موجب حب كمال رؤية الحق نفسه جملة من حيث مرتبة وحدته، وتفصيلاً من حيث ظهوره في بيوته. ولما كانت المراتب من وجه محصورة في الظهور والبطون والاعتدال والانحراف المعنويين، ثم والروحانيين، ثم والمثاليين، والحسيين، وكمال الجمع ونقصانه أقتضى الأمر استمرار حكم الظهور والإظهار بالإيجاد، واستمرار وجود الانحراف والاعتدال والنقص والكمال للإكمال، بحسب المواطن والمراتب. والمواطن خصوصياتها، وخصوصيات القوالب كاليهيات الاجتماعية والأحوال والتركيبات المتعلقة في الصور والأمزجة والتضعيفات العددية الدائمة الحكم المتناهية الأجل، ولما وجبت المعرفة على كل ذي لب وعقل. تعين عليه النظر والطلب في معرفة معبوده الظاهر بذاته، فمتى عرفه بدلائله صحت عبادته واستقامة طريقته، فإن من لا يعرف فكيف يعبد؟! وقد نبه سبحانه وتعالى ونذّب على هذا فقال عز من قائل (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)، وقد أوضح الله تعالى السبيل إليه ودلّ سبحانه عليه وأرشد إلى علاماته وأيقظ الغافل من سنة سيّاته فقال (يحق) (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نصر باي أرض تموت إن الله عليم خبير). فهذه خمس إشارات لوجود الباري تعالى هي له خاصة لا يقدر غيره عليها، ولنا بها عليه وأرشدنا بإظهارها منه إليه وقد ذكرها الشيخ السيد أبو عبد الله الحسين ابن حمدان الخصيبي رفع الله درجته وثبّتها على مقالته حيث يقول شعراً:

خمسَةُ أشياء بها الله أنفرد
ليعرف الخلق من الفرد الصمد

إلى آخر الأبيات وقد أورد الشيخ أبو الفتح محمد بن الحسن البغدادي صاحب الرسالة المصرية قَتَسَ الله روحه في رسالته بإسناده عن ثِقَاتٍ مِنْ مَوْلَانَا عَزَّ عَزَّه علم بهذه الخمسة في وقائع جرت مُحَقَّقَةً بلا شك ولا لبس وإنه أحيا النفس وردَّ الشمس، وهما الأيتان اللتان أحتجَّ بهما الخليل إبراهيم (عليه السلام) على ضده النمرود لعنه الله فأجبه وأفحمه لما حاجَّه كما أخبر الله (ﷻ) فقال:

(إذ قال إبراهيم ربِّي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتني بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)، لأنه لا يأتي بها من المغرب إلا الذي يأتي بها من المشرق وهو ربُّ الأرباب ومعقِّ الرقاب وهازم الأحزاب الذي هو في السماء إله وفي الأرض إمام.

وقد نقل عن الثقات أن مَوْلَانَا عَزَّ عَزَّه فعل ذلك وردَّ الشمس من مغربها فعادت مرَّات عدَّة في أماكن مشهورة منكرة في كتب الشيعة وأهل التوحيد، ولا غرو فإنه قد اجتمع الجم الغفير من اليهود والنصارى والمسلمين مع وقوع الاختلاف بينهم على أن المولى يوشع ابن نون ردَّ الشمس في محاربته للعالمقة وقد كان ذلك يوم الجمعة وقد مالت الشمس إلى الغروب، وقد أشرف الحصن على الفتح له فهم أصحابه بإبطال القتال لدخول يوم السبت.

فدعا الله تعالى كما ذكر، فردَّ عليه الشمس بيضاء نقيَّة حتى فتح الحصن وملك المدينة وقهر العالمقة، ثم غربت وهذا ثابت باطناً وظاهراً غير مدفوع.

فلذا ثبت ذلك ليوشع ابن نون وصي موسى ابن عمران (عليه السلام) فلا غرو أن ثبت لمَوْلَانَا عَزَّ عَزَّه، على زعم من زعم إنه في الظاهر وصي الرسول وصاحب الباطن، فصاحب القدرة هو يوشع ابن نون، وإن اختلفت الصورتان فالقدرة واحدة لم تختلف، هذا مذهب العارفين الذين عرفوا القدرة بالقادر فأثبتوا الصنورة لإثبات القدرة، إذ لا قدرة إلا من صورة، ومتى ظهرت القدرة وجب نفى الصنورة

عن صاحب القدرة، لأن من هذه قدرته ليست هذه صورته قط، لأنها صورة الإنسان العاجز .

والمولى جلّ جلاله منزّه أن ينحصر في صورة معيّنة كما سبق، بل الصّور كلّها له ولا صورة له، وهذا هو اعتقاد المحقّقين البالغين في المعرفة ذوي البصائر المنيرة، الذين قاربوا الخلاص من هذه القمص البشريّة الحقيرة إلى عالم الصفا في جوار عالم السريرة.

وفي هذا خبر ورد عن مولانا عليّ الرضى منه السلام إنّه قال: إنّ الذي عاينتموه بأبصاركم من هذه الصورة هو الله بإضافته إلى إظهار القدرة، وليس هو الله تعالى بإضافته إلى هذه الصورة، لأنّ من تلك صورته على الحقيقة لا يستطيع أن يظهر المعجز، ومن أظهر المعجز فليست تلك صورته على الحقيقة بل صورة الإنسان العاجز.

وقال أيضاً منه السلام «إن الذي عاينتموه بأبصاركم إنّما ظهر بحسب ما أنتم لأنكم لا تقدرون أن تنظروا إلى خلافكم».

وفي هذا خبر آخر رواه الشيخ أبو الحسن علي بن عيسى الجسري قدّسه الله عن أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي نضر الله وجهه قال دخلوا جماعة من المؤمنين على أبي عبد الله يسألون عمّا أشكل عليهم من المعرفة.

قال: من نفى ما رأى وأثبت ما علم وعبد من وجد فذلك البالغ في التوحيد. فتحير القوم فيما سمعوه من قوله ولم يفهموا.

فلما عادوا عليه من الغد قال: لقد أوفدكم الله إلى وليّه ليرشدكم إليه. فأعادوا عليه السؤال فأجابهم بما تقدّم في الأمس.

فقالوا يا سيّدنا ماذا ننفي وماذا نثبت ومن نعبد، فهذه تقاسيم ثلاثة في شيء واحد.

فقال: من نفى ما رأى من الصورة البشريّة، وأثبت ما علم من القدرة الإلهية، وعبد القادر الظاهر بالقدرة، فهو البالغ في التوحيد، لأنّ القدرة لاتفارق القادر طرفه عين، فدع الأين ولا تطلبه بالعين، فلا أثر بعد عين.

يؤيد هذا ما رواه زاذان مولى سلمان قال: رأيت مولاي عزَّ عارفوه بين الصفا والمروة يسبح ويقول سبحان من ظهر ولم يخفى عن أحد ظهوره. فقلت يامولاي أنت الكل ولمن تسبح.

فقال: يازاذان إذا رأيت الصمت فأقضي على غيري وإذا رأيت النطق فانف عني الصفة وإذا رأيت القدرة فأنا الله رب العالمين.

وقال مولانا الصادق منه السلام: أنفوا عنا مارأيتم من التخاطيط والصَّور، واثبتوا لنا ماعرفتم من الإشارات والقدر، فمن نفى مانظر وأثبت ماعرف فأولائك أصحاب أمير المؤمنين حقاً.

وقال المفضل قلت لمولاي الصادق منه السلام: يامولاي قلت لي الصَّورة المرئية ليست كلَّية الباري ولا الباري سواها فكيف لي بعلم ذلك.

قال يامفضل: الصَّورة قميص الظهور ومعدن الإشارة، وألسن العبارة قدرة قدير ونور منير حجبك بها عنه ودلكم منها عليه، فصاحب الصَّورة يخطئ ويصيب وصاحب القدرة مصيب لا يخطئ، فمن وقف على هذه الأخبار الجامعة وتحققها بعلمه كروية العين فمعرفة صحیحة وقريحته بالفهم خير قريحة وكان من الفائزين الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقد ورد عن مولانا الصادق منه السلام إنه قال: علمنا صعبٌ مستصعب. ثم فسرها فقال الصعب الإقرار بالصَّورة، والمستصعب أفراد المعنى عن الصَّورة، فإن ذلك هو الأيمان بالله والتوحيد الخالص. أما ضعفاء المؤمنين وفقهم الله فمبلغهم من العلم أن يثبتوا الصَّورة وينفوا التصوير عنها. هذا من الواجب الذي لا بد منه. ومن لم يكن كذلك كان مشركاً بالله (عَزَّ) ودخل في زمرة من نهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال عزَّ من قائل (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) والشرك بالله أكبر الكبائر نعوذ بالله منه.

وقال مولانا عزَّ عزَّه في نهج البلاغة في أول الكتاب: أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الخلاص له وكمال الخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة إنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف إنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد نشأه،

ومن شأه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حذره، ومن حذره فقد عدّه، ومن قال فيما فقد ضمّته، ومن قال علام فقد أخلى منه كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء، لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والآلة. فهذا هو التوحيد الخالص المنزّه عن الشرك وقول أهل الإفك البريء من التشبيه والتعطيل والزخاريف والأباطيل، فمن عدل عنه هوى في هاوية هواه ووقع في شرك الشرك فابوقه وأرداه، ولم تبلغ درجة علمه إلى هذه المنزلة كشهاب الأبله وأمثاله من المجسمة الحشوية المشبهة الصورة الحسية المعينة، فهو من عوام المؤمنين الضعفاء المساكين فلا بدّ له من إقراره بإثبات الصورة من غير الحصر فيها فإنّ من حصره فيها فهو كافراً مشرك. لا مؤمن ولا موحد ولا بدّ من نفي التصوير لأنّه لا يليق بصاحب القدرة لكونه علّة الأشياء وفاعلها فلا يعود معلولاً ومفعولاً.

(التشبيه الثالث: في بيان مراتب المؤمنين)

أعلموا أخواتي وفقكم الله لفهم هذه المعاني فإنّه محض الإيمان وزيادة التوحيد وخالصة الخلاص وما بعده لطالب الحق مطلب في الحقيقة بل هي حقيقة الحقائق وأقوم المناهج والطرائق فماذا بعد الحق إلا الضلال وما بعد التوحيد إلا الشرك والوهاب. نعوذ بالله من الشرك بعد التوحيد ومن الضلال بعد الهدى ومن اتباع هوى النفس الأمارّة بالسوء فهو عين الردى لقوله تعالى (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) إنّ في المؤمنين عواماً وخواصاً وخواص الخواص كما إنّ كذلك في المسلمين سواء بسواء كما قال الله تعالى (وفوق كل ذي علم عليم) وتفاوت معرفتهم بقدر علمهم. فلما عوامهم فقد بيناهم أنّهم لا بد من إقرارهم بإثبات الصورة المعنوية الأنيّة ونفي التصوير ويقع منهم بذلك.

وأما خواصهم فإنّه يجب عليهم الإقرار بإثبات الصورة المعنوية الأنيّة التي أظهرت القدرة الباهرة بالكيان في كل دهر وأوان ونفي الصورة الأنيّة التي يحويها الممكن وتتركها الأبصار بالعيان عند أظهر القدرة التي أعجزت الأكس

والجن في الأمكان لأن من هذه قدرته ليست هذه صورته على الحقيقة فهذا هو الإيمان.

وأما خواص الخواص فإتهم ينزهون الحق جلّ جلاله عن الصورة والتصوير في كل حين وأوان وعن الغيبة والحضور في كل دهر وزمان وأنه الحي الدائم السرمدي لم يزل عن كيانته وإن ظهر لعيانه فهو أبداً على حاله لم يحل عما كان وإنما غيب الأَبصار وقلّب القلوب والأفكار كما شاء فرأت غيبةً وحضور وحجباً وظهور والمعنى القديم سبحانه تعالى مازال ولا حال. ومتى اختلفى وغاب حتى يظهر.

يؤيد ذلك ويوضحه ماروي عن مولانا عزّ عزّه إنه سئل وهو على منبر عظّمته فقيل له: أين كان الله قبل السموات والأرض؟.

فقال: بحيث هو بعد خلق الكون لا يعدم في الأزمان فالكون جميعه يتجدد في كل أوان ويتبدل دائماً وهو سبحانه تعالى لا يحول ولا يزول ولا يتبدل.

وقد ورد عن بعض الحكماء الإلهيين إنه قال: إن الحسيات معابر إلى العقليات فإنّ عالم الشهادة مثالٌ لعالم الغيب فكُلّما في عالم الملوّكوت فهو غائب عنا لا نفهمه ولا نصل إلى علمه إلّا بمثاله في عالِمنا الذي نشاهده ونعقله فنعلم حينئذٍ معاني ما غاب بما حضر لطفاً من الباري جلّت قدرته ولولا ذلك لم نفهم تلك الأسرار ولم نعقل تلك الأنوار فلله الحمد والمِنَّة على ما هُدانا إليه ودلّنا به منه عليه فنساله المزيد من فضله ونعمته فقد أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة أمّا الظاهرة فبالإسلام وأمّا الباطنة فبالإيمان. وله الشكر منّا دائماً أبداً ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

نصل نعيم زعم أن الله ظاهر بزلاته تستحيل غيبته

فإن اعترض معترض علينا وقال: أنتم زعمتم بأن الله (عزّ وجلّ) ظاهر بذاته تستحيل غيبته كما يستحيل عدمه ونحن الآن لا نرى ولا نشاهد شيئاً فكيف هذا وهما ضدّان لا يجتمعان حضوراً وغيبةً ظهوراً وخفاءً.

قلنا: لقد أوردت ما أشكل عليك فالجواب عنه سهل بتوفيق الله. اعلم أيها الأخ المعترض وفّقك الله لمرضاته وطاعته وأوصلك بهدأيته إلى حقيقة معرفته أن

الباري تعالى ظاهراً أبداً موجوداً سرمد لا يحجبهُ شيء لعظمة كبريائه فلو حجبهُ شيء كان ذلك الشيء أكبر منه، وذلك مدفوع عقلاً وشرعاً، لأن الله أكبر من أن يقال له أكبر منه شيء، ومن بعض صفاته النور، وهو منور النور، وبالنور يظهر كل مستور، فكيف يمكن إخفاء النور، وإنما خفي عن المحجوبين بعين ما ظهر للمشاهدين له لشدة ظهوره وإفراط إشراق نوره، وإنما المحجوبون هم المغيبون عنه بذنوبهم التي رأت على قلوبهم فأغشت أبصارهم، ولولا ذلك لشاهدت باربيها فأنه تعالى بالإجماع يرى بالآخرة.

وقد قال في حق بعض الخلق بقوله تعالى (كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، كلّاً إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولم يقل أنّ ربهم محتجب عنهم، بل تحجبهم عنه ذنوبهم، فقد ثبت أنه تعالى منير الأنوار ومثال المحجوب مثال الخفّاش في الشمس المشرقة على الأفاق بالعدل، وهو لضعف بصره لا يراها، وكذلك كل ما ليس فيه صفاء واستعداد لقبول إشراقها من كلّ كثيف مظلم في ذاته كالحجر والمدر والجدران فإنه لا ينير ولا يؤثر فيه الإشراق ولا ينتفع بإشراقها عليه، والعلة فيه لا في الشمس لإظلام ذاته وعدم قبوله ولعدم استعداده، وأمّا ما كان صافياً مستعداً لقبول نورها كالمياه الصافية والمرأة الصقيلة والجواهر النقية كالزجاج والبلور وغيرهما ممّا صفا وراق فإنه يضيء ويستنير لقبوله الإشراق.

وهكذا القلوب متى صفت صفت ومتى حارت حلكت، فتوهم الجاهل الغبي أنه تعالى استحال، لا والله الذي يعلم السرّ والجهر ليس الأمر كذلك. بل هو كما ذكرنا بلا شبه ولا تشبيه ولا ريب ولا تمويه، أستم تعلمون وتعقلون أنّ الغدير الصافي ماؤه ترى به هيئة السماء بكواكبها وقمرها ويكادون يختلفون على ذلك لولا أنّ عقولهم تنفيه وتتحقّق أنّ ذلك الماء لصفاته يحاكيه والعلة في الناظر لا في المنظور لما بيّناه من رين الذنوب على القلوب كما قيل شعراً:

ليس فيه علة تنقصه إنما العلة في الطرف العمى

وقد ورد من كلام مولانا عزّ عزّه أنّه قال لبعض الجاحدين: {إن عميت فلشمس طالعة} ولقد أحسن من قال شعراً:

ما ضرت شمس الضحى بالأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

ولقد ورد عن مولانا صاحب العسكر علينا سلامه برواية أبي سعيد قال: سألت مولانا الحسن العسكري منه السلام هل يحتجب الله عن خلقه ؟.

قال: سبحانه بل تحجبهم عنه ذنوبهم. أقرأ قوله تعالى (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) ولم يقل ربهم محتجب عنهم.

قال قلت: فقد روي عن آبانك أنهم قالوا أن الله احتجب عن خلقه بخلقهم؟

قال: نعم يرونا عند إظهار القدرة لا يقدر على نظر سوانا، ونحن منالون في عيونهم بصورنا وليس ذلك لجميعهم بل لأهل الجحود، فأما المؤمنون لا يرونا صورة ولكن يرونا نوراً وقدرة.

قال قلت: يا سيدي هل يرى الله أحدًا قال إذا شاء عرف نفسه من شاء. قال قلت: يا سيدي هل يحتجب الرب بشيء؟

قال لا شيء أكبر منه فيستره ولكن تحجب الخلق عنه الخطيئة.

وقال مولانا الحسن بن علي منه السلام: إن لنا منزلة من الله إذا كنا بها كنا نحن هو ولسنا هو. وإذا لم نكن بها كان هو كما هو ونحن كما نحن.

وقال مولانا عزّ عزّه: إن لي منزلة لم تخطر على قلب بشر ولم تحط بها الفكر قالوا: هي الربوبية؟ قال: إن الربوبية لتخطر على قلب بشر. وقال بعض العارفين شعراً:

وما احتجب الله عن خلقه
ولو أنهم آمنوا واتقوا
ولكنهم خبئوا بالذنوب
لصاروا ملائكة في الغيوب

فافهموا أخواني وفقكم الله هذه الألفاظ والمعاني وتحققوا بعقولكم مضمون عباراتها ومكنون إشاراتها بلا تواني لتلحقوا بأولي الألباب في نيل الأماني والله يوفقنا لمرضاته ويلهمنا أداء مفترضاته إنه وليّ التوفيق.

(القاعدة الثالثة)

في بيان معرفة (الإنسان) نفسه ووجودها عليه (أو بمعرفتها يعرف ربه

وفيها تنبيهان

(التنبيه الأول: في بيان معرفة أول ما يلزم (الإنسان) من معرفة نفسه.

اعلموا أخواني أطلعكم الله على حقائق ذاتكم وأوقفكم على دقائق أسمائكم وصفاتكم أن السادة المتقادمين من المؤمنين عليهم سلام الله أجمعين اختلفوا في معرفة أول ما يلزم الإنسان، فقال قوم أول ما يلزم الإنسان معرفة نفسه، وقال قوم أول ما يلزم الإنسان معرفة ربه، وليس بين هذين القولين منافاة فإنهم عنوا بالأول من حيث الترتيب الصناعي، والثاني من حيث الشرف والفضل فإن معرفة الله جلّ جلاله أعظم الأشياء وأجل العظم والطفها. ولما كانت نفس الإنسان أقرب الأشياء إليه وأول دليل يستدل بمعرفتها على ربه تعالى فيفوز لديه، كانت أولى أن يجتهد في معرفتها فهي معراجة إلى ما فوقها، وهي أول باب عالم الملكوت. وقد قيل ما أنزل الله تعالى كتاباً إلا فيه يا أيها الإنسان اعرف نفسك تعرف ربك.

وقد قال السيد الرسول (ص) رمزاً إلى تعليم السلوك طريق المعرفة: أبدأ بنفسك ثم بمن تعول.

وقال (عليه السلام): أعرّفكم بنفسه أعرّفكم بربه.

وقال (عليه السلام): من عرف نفسه عرف ربه.

وقال (عليه السلام): أنا أعرّفكم بالله وأشدكم منه خشيةً فذكر معرفته لرّبه بلفظة التفصيل المبالغة، إذ تقول العرب فلان عارف بالشيء وفلان أعرف منه، فدلنا بقوله أنا أعرّفكم بالله على أن غيره عارف برّبه تعالى ولم يمنع منها أحداً، لكنّه نبهنا على أنّه في أعلى درجات المعرفة لمكان التفاوت في درجات المعرفة، لا في

عين المعرفة، وقيل وجد على باب مدينة حرّان مكتوب بالقلم السرياني من عرف نفسه تأله، وأما معنى قوله أعرّفكم بنفسه أعرّفكم بربّه فله وجوه كثيرة ذكرها الشيخ أبو القاسم الراغب في كتابه الموسوم بكتاب النشأتين وقع الاختيار منها والاقتصار على ثلاث وجوه:

أولها: إن الإنسان عالم صغير أبدعه الباري من حيث الحجم والمقدار لا من حيث الكمال والأقدار، وجمع فيه ما في العالم الكبير علوية وسفلية مثاليه وعقليه وحسية، فهو كالنسخة المختصة أو كالزبد من المخبض أو كالدهن من الشحم، بل هو مظهر سرّ الوجود وزبدة امتخاض الكون، وعلى وجوده معول سرّ التضمين بما فيه من سرّ التضمين وقلت نظماً في ذلك:

وفي نشأة الإنسان من كلّ عالم	من الأفق الأعلى إلى منتهى الأرض
فمن سرّ فيض العقل قوّة عقله	ومن فيض ذات النفس ذات له ترضي
وقوّة روح الحسن روح لجسمه	ليبلغ في المحسوس لمساً من النبض
وللقلب تصريف لسرّ لطيفه	يصرفه في الجمع بعضاً إلى بعض
وتركيب جسم بالطبائع ألقت	يقوم بها عمقا من الطول والعرض
تناهى به التركيب في كلّ مظهر	ليقضي به حكم المظاهر ما يقضي
فمن رام يستقصي العوالم كلّها	ليشهد ما فيها من الرفع والخفض
يشاهد آيات النهي قد تجمعت	تكاد تردّ الطرف خاس من الغمض

فمن أحبّ معرفة ما في العالم الكبير من القدرة الإلهية والحكمة الربانية فخر فيما أبدعه الله تعالى في نفسه وهيكله من القوّة التي أودعها بارنه تعالى فيه، فلبّتها حجةً عليه ودليل واضح فيه من باريه تعالى هاد له به إليه. فمن علم ذلك وتحقّقه قاده ذلك إلى معرفة الحقّ سبحانه وهداه إلى العقالة بالصدق فعرف ربّه بمعرفة نفسه، واستدلّ بنور عقله على نفي ما في حكم حسّه، وتحقّق إن ذلك هو سرّ الله تعالى في الإنسان، وبه يكون الإنسان إنساناً، ولأجله أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم لما خصّه به فحينئذٍ تحقّق عرفاتاً، ولذلك سخر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعاً وجعل طاعتهم له كطاعتهم له حتماً لا رماً

كالفرض، فمن عرف ذلك فقد عرف مولاه وأطاعه على قدر معرفته واتَّقاه حقَّ تَقَاتِهِ، فذلك هو العارف الذي هو عبد الله أكرمه واجتَبَاه واختَصَّه بنور العقل وحباه كما قال الله تعالى (ولقد كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) فما كَرَّمَهُمْ إِلَّا بالعقل لا سواه.

فإنَّ العقل هو الهادي إلى معرفة الله، إذ بالمعرفة النجاة من النار، لأنَّ الإنسان أبدعه الله سبحانه مستصلاً للدارين، لأنَّه تعالى أبدع الملائكة من عالم النور عقلاً بلا شهوة، وخلق الحيوان من عالم الظلمة شهوة بلا عقل، فلم يكن عالم الملائكة يصلحون للحرث والنسل وعمارة الدار، ولم يكن عالم الحيوان يصلحون لمعرفة الله.

فأبدع الله الإنسان من عالم المزاج بينهما ففيه النور والظلمة، وهو مجموع العالمين يعرف الله تعالى بنوره، فبذلك يشابه الملائكة.

ويصلح للحرث والنسل فيما يشابه الحيوان، وقد نبَّه الله تعالى على هذا المعنى بقوله (الله وليّ الَّذِينَ آمَنُوا يخرِجُهُم من الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أولِيَاؤُهُم الطَّاغُوتُ يخرِجُونَهُم من النُّورِ إلى الظُّلُمَاتِ، أولئك أصحاب النَّارِ هم فيها خالدون)

فبان بهذا ما أشرنا إليه من معنى قوله أعرفكم بنفسه أعرفكم ربّه، فإنَّ من عرف نفسه بما فيها من مجموع العالمين فقد عرف بذلك قدرة الله تعالى في إبداعه الكونين، وأنَّه الواحد ربّ المشرقين وربّ المغربين لا إله إلاَّ هو سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، فمن عرف نفسه بهذه المعرفة وأطاع عقله هداة. ومن عصى عقله واتبع هواه أضلَّه وأعماه وكان ممن ذمَّهم الله بقوله (أفأرأيت من اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ على علمٍ وختم على سمعه وقُلبه وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) فإنَّ الإنسان ملكٌ بالقوَّة وشيطانٌ بالقوَّة لما فيه من النور والظلمة، فمن استنار عقله بطاعة ربِّه وعمل صالحاً شارك الملائكة بمعرفته ولحقَّ بهم بطاعته وصار ملكاً بالعقل والفعل، ومن غلبت عليه شقوَّته وأطاع هواه أَرَادَهُ كما قال الله تعالى في كتابه (إنَّهم إِلَّا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً)، فقد بان إنَّ الإنسان هو الصِّراط بين الجنَّة والنَّار وبين عالم النور

وهو العقل وبين عالم الظلمة وهو الحسن فافهم ذلك ترشد، وأطعه تسعد، والله المرشد والمسدد لاربّ سواه.

الوجه الثاني: قوله منه السلام من عرف نفسه من حيث إنّها روحانية لطيفة قرنت بجسد جسمانيّ كثيف وهما متضادان واجتماعهما من العجب يضرّها ما ينفعه وينفعها ما يضرّها، ولا هي داخلة فيه ولا خارجة عنه ولا متصلة به ولا منفصلة عنه، لأنّها جوهر بسيط فردّ غير متخيّر ولا متجزئ وأما هي حاملة له وليس هو حامل لها وهي مدبرة لأموره لاهو مدبر لها، كراكب الدابة إن أحسن سياستها وسار بها على الطريق الواضح أمن العثار، وإن ساسته تقحمت به في المهالك وأوردته المتالف، فمن عرف نفسه بهذه المعرفة عرف ربّه الذي لا يخلوا منه مكان أبداً، وأيضاً إنّه يعرف ما يفنى ويموت وهو الجسد، وما يبقى ولا يموت وهي الروح، فإن كلّ شيء يعود إلى ما منه بدا، فما كان من التراب عاد إليه وما هو من النور يعود إليه، لقوله تعالى (كما بدأكم تعودون) فيمعرفة لنفسه ومما بدت ويعرف جسده ومما تركب ويعرف الجامع بينها فيهندي لعبادة ربّه.

الوجه الثالث: إن من عرف نفسه بالعبودية عرف ربّه بالربوبية فإن نفسه أعدل شاهد على وحدانية الله تعالى لقربها منه، وأصدق رائد يخبر عنه لبعدها عن التهمة، فإذا برنت من حولها وقوتها وتحققت عجزها عن اجتلاب منافعها واجتتاب مضارها علمت إن لها صانعاً يدبرها وحكيماً يتصرف فيها بمشيئته لا ريب في وجوده ولا شك في وحدانيته، فوصلت على معرفة ربّها بالتحقيق ودانت له بحكم التصديق بدليل قوله تعالى (سنريهم آياتنا) أي الدلالة علينا (في الأفاق) وهو ماعدا الإنسان (وفي أنفسهم) أي الإنسان وقوله تعالى (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون) فنبّه (ﷻ) على معرفته بمعرفة أنفسنا لطفاً منه ورحمة بنا وذمّ بطريق التوبيخ من نسي ربّه فقال عزّ من قائل (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) هذا بحكم الارتباط وبالجملة معرفة كيفية النفس على ماهي عليه لا تدخل تحت الإدراك النظري ولقد أحسن القائل شعراً

فكيف كيفية الجبار في القدم
فكيف يدركه مستحدث النسم

كيفية النفس ليس المرء يدركها
ذاك الذي خلق الأشياء مبتدعاً

وقال بعض العارفين شعراً في هذا المعنى:

العجز عن درك الإدراك والبحث عن سر ذات الله إشراك
وفي سرائر هَمَّات الورى همم عن الذي فيه من جن وأملأ
يهدي إليه الذي منه إليه هدى مستدركاً وولي الله مدرأ

فالحفر ثم الحذر من أن يتوهم أحد من ضعفاء المؤمنين إن النفس هي الرب تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل العبد عبد والرب رب وكيف لا يميز العاقل بين العلة والمعلول والقديم والمحدث والواجب والممكن والصانع والمصنوع، فإن ذلك فساد الدين وهدمه وعدول عن الحق، لقد باء بسخط من الله وأشرك به من يعبد من دون الله ما ليس به علم ولم يميز بين الخالق والمخلوق ودل على جهله وكفاه بذلك إثمًا مبيناً.

(التنبية الثاني: في بيان وحدة نفس الإنسان).

إعلموا إخواني -رحمكم الله- إن حقيقة نفس الإنسان التي هي خاصته التي بها امتاز عن سائر الحيوانات، هي حقيقة واحدة مقدسة عن الاختلاف والكثرة في ذاتها، وإن جميع مايطرأ عليها ليس إلا من المزاج المعبر عنه بالاستعداد والقبول وإنما هو بحسب الاستعداد والقبول، فإن النفس المنفوخة فهي نفس من روح ظاهرة مضافة إلى الحضرة الإلهية المشار إليها بقوله تعالى (إإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)! فليس مايطرأ عليها إلا من المزاج، ولقد أشار إلى هذا المعنى بعض المحققين نظاماً:

الروح واحدة والنشؤ مختلف في صورة الجسم كان النفخ فاعتبروا
في الجسم كان اختلاف النشئ فاعتمدوا على الذي قلته في ذاك واذكروا
فإنه العلم لا يربب بداخله الشمس تعرف ما قلناه والقمر

ألا ترون إلى نور الشمس وهو على صفة واحدة فيضرب في الزجاجات المختلفة الألوان فينعكس فيها فيظهر ألوان ما عليها الزجاجات في رؤيا العين والنور في عينه واحد ما يتغير، وذلك التحويل في السلافة، فالزجاجات القلوب، والألوان الاعتقادات، والمتجلي الحق سبحانه لم يتغير، ولكن هكذا يرى أصحاب العقائد لاختلاف عقائدهم، فافهموا المثل فإنه قد جل وكذلك النفس واحدة لأكما يظن كثير ممن يدعي المعرفة، ولا علم له بها، وهي المثابة والمعاقبة (لها ما سميت وعليها ما اكتسبت).

فإن أطاعت أمر العقل وأذعنت وأطمئنت بذكر الله وشهوده وأحسنتم وعملت صالحاً كانت موسومة بالمطمئنة.

وإن عصت وأساءت واتبعت هواها وهوت في هاوية وزرها من ذراها بمشئها كانت موسومة بالأماراة بالسوء.

وأن خلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً جاهدت هواها وغلبت مرة وغلبت أخرى كانت لومة.

والكل نفس واحدة، فاختلاف أسمائها باختلاف أحوالها وأفعالها وأوصافها، والقطيع بفعله هو العاصي بفعله، فتغير اسمه بحسب تغيير فعله، والذات لم تتغير، ولقد دل القرآن المجيد على ذلك فقال (ونفس وما سواها، فآلهمها فجورها وتقواها، قد افلح من زكّاها، وقد خاب من دساها)، وكما إن ليس في الوجود إلهان ولا في السماء شمسان، فكذلك إن ليس في الإنسان نفسان، فتحققوا ذلك إخواني.

وإنما لم نذكر ما عاها من النامية والمعدنية والهاضمية والحيوانية وغيرها لأنها فروغ وجنود وقوى لهذه النفس الناطقة بالوحدانية التي هي الأصل، وهي التي استخلفها العقل على سياسة الجسد، قال الله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) فهي تقوم مقامه في عمارة الأرض بحسن السياسة وخرابها بمسوء التدبير، إليه مرجعها وإيابها وعليه في الآخرة حسابها، (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)، وقد سماها بعض الصوفية روحاً وغير ذلك ولا اعتبار باختلاف الألفاظ فإن معناهما واحد عند المحققين، ولا مشاحة في اختلاف الاسم إذا فهم المسمى، وإنما سميت نفساً لأنها أنفس مافي الإنسان، وقد نطق

القرآن المجيد بذلك في موضع المدح (يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً). وقال في موضع الذم: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، وقال في حالتها المتوسطة المسمّاة بلسان القرآن المجيد باللّوامة، فقال سبحانه وتعالى (ولا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) وهي التي تجاهدهاها فتارة تعصيه وتارة تطيعه إِلَّا إِنَّ لَهَا أَجْرَ الْمَاجِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وقد روي عن رسول الله (ص) أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَقَدْ رَجَعَ مِنْ بَعْضِ الْغَزَوَاتِ رَجْعًا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْفَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ، فَقِيلَ وَمَا هُوَ؟ قَالَ (ص): جِهَادُ النَّفْسِ وَلِهَذَا أَمَعَى أَقْسَمَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) بِمُخَالَفَتِهَا هَوَاهَا، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا بِالرُّوحِ فَكَذَلِكَ نَطَقَ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) فَأَلْإِشَارَةُ بِاخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ إِلَى الْجَوْهَرِ النَّاطِقِ مَعَ الْهَيْكَلِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي كَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَقْلِ فَاسْتَخْلَفَهُ، فَهُوَ كَالنَّاتِبِ عَنْهُ إِنْ قَامَ بِأَوَامِرِهِ وَانْتَهَى عَنْ نَوَاهِيهِ ذَكَى وَطَابَ، وَأَنْ أَسَاءَ وَعَصَى وَلَمْ يَحْمَسْ شَقِيَ وَخَابَ، (تِلْكَ بِمَا قَنَعَتْ يَدَاكَ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) وَلَقَدْ أَحْمَسَ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ ابْنُ سَيْنَا الْبُخَارِيُّ حَيْثُ يَقُولُ:

هَنَّبَ النَّفْسَ بِالطُّومِ لَتَرْقَى	وَتَرَى الْكُلَّ فَهِيَ لِلْكُلِّ بَيْتٌ
إِنَّمَا النَّفْسُ كَالزَّجَاجَةِ	وَالْعَقْلُ سَرَاجٌ وَحِكْمَةُ اللَّهِ زَيْتٌ
فَلِذَا أَشْرَقَتْ فَتَبْكُ حَيٌّ	وَإِذَا أَظْلَمَتْ فَتَبْكُ مَيِّتٌ

(القاهرة الزبغة)

في بيان حقيقة الإيمان ومرتبه وصورته وروحه ومقامه ودرجاته وما يجب على المؤمنين من حقوق بعضهم على بعض

(التنبيه الأول: في بيان حقيقة الإيمان لغةً وحقيقةً.

أنتم الله بروحٍ منه وأنكم ببصيرةٍ من لئنه، إنَّ الإيمان لغةً عبارة عن التصديق، وهو قد يكون مع الشهود المصنق به وقد يكون مع الغيبة عنه، فهو

في الحقيقة عبارة عن نور حاصل من قبل الله (ﷻ) من حيث اسمه المؤمن والرحيم والهادي، والنور لإزالة ظلمة الهوى والطبع قابل لكل ما يرد من الله تعالى عليه بواسطة الرسول (ﷺ) من دين وشرع ونحوهما، فيستحق حامله المذكور بواسطة قبوله الأمان من سخط الله تعالى، فسمى بهذا الوصف والحكم الخاص إيماناً وتصديقاً، وعلى التحقيق إنما هو أول اعتقاد من العلم الحاصل من طريق السمع المتعلق بالدين والشرع وحداني النعت من غير اعتبار تأييد بدليل برهان عقلي أو سمعي أو كسفي فإذا تأيد بشيء من ذلك صار علماً وإيقاناً وخرج عن كونه أيماناً.

وقال بعض العارفين «من علم أمراً وهو غير مصدق بأن الأمر على ما علمه فليس بمؤمن شرعاً حتى يقر به لقول المخبر لا لدليله»، فذلك المقر المصدق هو المؤمن. وذلك التصديق هو الإيمان، ثم إن محل هذا النور يختلف بحسب رقة حجب العادة والطبع الحائلة بين النفس والقلب وبين قبولها الدين والشرع، وبحسب كثافتها، فمهما رقت الحجب وشفّت يرى هذا النور إما في ضمن إخبار مخبر صادق عن الله (ﷻ) وأما منه بطريق السمع غالباً، ويخلص إلى القلب فيتلقاه القلب بالقبول، وذلك يكون نفس التصديق الذي محله القلب، وهذا نظر كلي والطرق التي يستند إليها إيمان المؤمنين على ثلاث أنحاء:

الفرقة الأولى: طريق العموم وهي التقليد الذي هو العقد الجازم المطابق من غير دليل.

الفرقة الثانية: قيام الدليل والبرهان، وهذا طريق أرباب الأفكار والنظر.

الفرقة الثالثة: وهم الذين استند أيمانهم إلى شهود وعيان. وهم الراسخون في العلم، وهذا طريق أهل الله تعالى. ولهذا قال بعضهم «إننا ننظر إلى الله ببصر الأيمان والإيقان فأغاثنا بذلك عن الدليل والبرهان، وإننا لا نرى أحداً من الخلق حل في الوجود سوى الموجود فإن كان ولا بد فهم كالهواء في الهباء إن فتشته لم تجد شيئاً».

وأعلموا أخواني أيحكم الله تعالى إن أهل الشهود والعيان يقولون لأرباب الدليل والبرهان كيف تستدلون على وجود الله (ﷻ) بما هو مفترق في وجوده إليه.

ومتى غاب حتى يحتاج إلى دليل يدلّ عليه، ومتى فقد حتى تكون الآثار هي التي توصله إليه، أيكون لغيره من الظهور ما ليس له حتى يكون هو المظهر له، أليس له سبحانه تعالى سبق الوجودين، فكما له سبق الوجودين كذلك ينبغي أن يكون له سبق الشهودين، وكما هو الموجود الأول كذلك ينبغي أن يكون هو المشهود الأول، ثم يقولون أهو أقرب اليكم أم الدليل منكم، وهو إليكم أقرب، فكيف يوصل ما هو عنكم أبعد إلى ما هو منكم أقرب، أليس من شرط الدليل أن يكون أجلى من المدلول حتى يوصل إليه، وكذلك من أجل ظهوره وخفاء المدلول كان أولى بأن يدلّ عليه، وأي شيء أظهر منه سبحانه، فهو الظاهر قبل وجود المظاهر، بل هو الظاهر الذي خفيت لأجل ظهوره المظاهر، ثم يقولون أليس وجودكم غنياً عن إقامة دليل يدلّ عليه، أو أثر يوصل إليه، قالوا بلى، فقالوا أليكون وجودكم غنياً عن الدليل ولا يكون وجوده غنياً عن الدليل.

(التنبيه الثاني في مراتب الإيمان وصورته وروحه.

اعلموا أخواتي رحمكم الله إن للإيمان مراتب وصورة وروحاً، فأما مراتبه فهي ثلاثة:

المرتبة الأولى: الفراسة أي التوسم، وهي عبارة عن خاطر يهجم على القلب فينفي الشك ويقع الظن بشرط الاتفاق، وقال رسول الله (ص) اتقوا فراسة المؤمن فاتّه ينظر بنور الله تعالى، وقال الله تعالى (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) أي المتفرسين.

والمرتبة الثانية: هي المكاشفة وهي عبارة عن تجلّ في القلب ينفي الصور اللاحقة للقلب، والأعراض المشتبهة، وذلك بشرط التحقيق ولزوم العلم والعمل بغير غيبة. وذلك إن الإيمان إذا تزايد كشفه بإخلاص الأعمال انتقل من الفراسة إلى الكشف، وتلك الفراسة واقعة على ما برز من الحصن ومن خاطر أو حركة أو غير ذلك، والمكاشفة في ظهور الأشياء في القلب قبل وقوعها، وهي أتم من الفراسة وأخرى إن الفراسة مؤقتة والمكاشفة دائمة.

والمرتبة الثالثة: المشاهدة وهي عبارة عن نور يستضيء به السر، فينفى عن الأكنان ويغرق في بحار الحال والوجود، وذلك بشرط الحفظ ومراعاة الأدب في الحفظ والعلم وترك الخروج عن الحق قولاً وفعلًا والثبوت في الحضور عن فناء الغيبة، فذلك صاحب التمكين، فهذه حقيقة الإيمان وهي العقود التي أمر الله (ﷺ) بالوفاء بها بقوله الحق (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)

وهذه آخر مراتب الإيمان في السلوك وينتقل السالك في هذه المسالك من هذا المقام إلى مرتبة العيان، وهي آخر مرتبة الإحسان، وهو مقام من يرى الله في كل شيء عين كل شيء سوى تقييد الشيء وتعيينه، وذلك أن أنوار الإيمان إذا قويت أضاء بها السر والعقل، بل جميع عوالم الإنسان وأضاء الملكوت لإضاءة العقل، فيرى لطائف الملكوت وعرف الدار الآخرة، وذلك هو المشار إليه بقول مولانا عزّ عزّه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، أي لو رفع الحجاب المسدل على أبصار الجمهور ما ازددت يقيناً، لأن ذلك الحجاب مرفوع، عنّي وأما صورة الإيمان وروحه.

فاعلموا أخواتي رحمكم الله أن للإيمان صورةً وروحاً، ولكل واحدة منهما صفتان، ولكل صفة حكمان، فصفة صورة الإيمان هي المعبر عنها بقول مولانا: الإيمان إقرار باللسان وعمل بالأركان وله شرطان معنويان عليهما تتوقف صحة الإقرار والعمل، وهما النية والإخلاص لله تعالى، إذ بهما يثبت الانقياد المحقق والتمييز بين المؤمن والمنافق، ولهذين الشرطين حكمان أحدهما زماني والآخر مكاني، فالزماني كأوقات الصلاة وموسمي الحج والصوم ونحو ذلك، والمكاني كاستقبال القبلة ووجوب اجتناب الصلاة في البيع المصورة والمواضع النجسة، ونحو ذلك، والحج يجمع أحكام الزمان والمكان، وأما روح الإيمان الذي هو التصديق ولوازمه فنقول: التصديق الإيماني ينقسم إلى قسمين تصديق إجمالي وهو تصديق المخبر الصادق على وجه كليّ إمّا بأمْرِ يجده في نفسه دون سبب خارجي أو يكون الموجب له آية أو معجزة.

والقسم الآخر تصديق تفصيلي من حيث الحكم على أفراد أخبار المخبر الصادق، وما يتضمنه من الأمور المحكوم بوقوعها.

(التنبية الثالث: في بيان مقامات المؤمنين) (السالكين) إلى الله تعالى.

اعلموا أخواتي رحمكم الله أن مقامات المؤمنين في السلوك إلى الله تعالى ثلاثة :

أولها: القيام بحقيقة الخدمة لله (ﷻ)

وأوسطها: الزيادة من تلاوة القرآن وهي السكينة التي أنزلها الله (ﷻ) في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، وهذه السكينة هي الفهم في كتاب الله (ﷻ) بزيادة انشراح الباطن بأنوار المواهب اللدنيات، وزيادة الإيمان إنما هي بما يتضح للقلوب من دلائل الحق ولا يكشف دلائل الحق إلا النور، فإذا السكينة هي نور يجمع قوة لأن القوة في الذين من ثمرات اليقين واليقين من زيادة الإيمان وزيادة الإيمان هي السكينة، فإذا السكينة سبب القوة في الدين وهي قوة في نور الفطرة وأعلاها خشية القلب ووقوفه في الوجل والشفقة والاستغراق في المناجاة، إلى أن ينزل الله تعالى عليه أنوار الأمن والطمأنينة الخاتمة لمن يشاء من عباده وذلك قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)، فمن نقص من هذه الدرجات شيئاً تحجب عنه أنوار الإيمان بالقدر التي لم يعرف بها الإيمان، فإن أكمل العلامات أطعم صاحبه وأسقاه من غير طعام ملموس وسراب محسوس، ولكل موقت بل من شيء يخص الله به قلوب المؤمنين، وتلك حقيقة تسلك بالإيمان والمتابعة المحمدية، وهذا ميراث محمدي لقوله منه السلام: أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني.

ودوي عن مولانا الصادق منه السلام أنه قال: الإيمان إقرار باللسان صدقاً، وتصديق بالقلب إيقاناً، وعمل بالجوارح إخلاصاً.

وقال الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وقال الله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) وقال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً).

وفي القرآن كثير من الآيات لم يذكر المؤمنين والإيمان إلاّ ونعتهم بالعمل الصالح، وهو العمل الواقع بمقتضى العلم النافع وهو العلم الصادق لنا المحكم للحكم الإلهي والشرع المحمدي، فصَحَّ وثبت أن الإيمان شجرة والعلم ورقها والعمل ثمرها، وإذا لم تكن الشجرة ذات ورق ولا وثمر فهي حطبٌ وكانت النار أولى بها كما ذكر والله الهادي والمرشد لا ربّ سواه.

(التنبيه الرابع: في بيان درجات الإيمان).

اعلموا أخواني أيّدكم الله تعالى أن درجات الإيمان سبع:

أولها درجات الامتحان ثم الإخلاص ثم الاختصاص ثم النجابة ثم النقابة ثم الأيتام ثم الأبواب فأول درجات المؤمن أن يكون ممتحناً ثم مخلصاً ثم مختصاً ثم نجيباً ثم نقيباً ثم يتيماً ثم باباً ولكل درجة من هذه الدرجات سبع درجات إلى أن ينتهي إلى السابع وهي بمنزلة السلم يصعد فيه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولنّ صاحب الدرجة الثانية لصاحب الدرجة الأولى لست على شيء حتى ينتهي إلى السابع.

فقد روي عن مولانا الصادق منه السلام أنه قال لعبد العزيز القراطيبي@: يا عبد العزيز الإيمان سبع درجات وهي بمنزلة السلم والخبر بكماله، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق يرفعك الله، ولا تحمله ما لا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره.

وعن مولانا العالم منه السلام وإليه التسليم قال: الإيمان درجات والمعرفة درجات فلا يحمل على صاحب الدرجة الأولى صاحب الدرجة الثانية، ولا على الثانية صاحب الدرجة الثالثة، ولا يعطين أحد شيئاً من العلم إلا على مقدار ما يحتمله فإن القلوب أوعية وخيرها أوعاها.

(التنبيه الخامس: في بيان معرفة السبب الموصول الذي هو عبارة عن الظاهر من

حقوق الأخوان بعضهم على بعض.

اعلموا أخواني وفقكم الله إياه قد ورد عن مولانا الصادق منه السلام أنه قال: دخلتُ على مولانا الصادق منه السلام فشاهدته في أبهى صورة، فوقفتُ بين يديه مثلاً أتوقع الإذن بالجلوس فقال لي: يا مفضل. قلت: لبيك ياسيدي ومولاي.

فقال: سل عما دخلت لأجله، فبادرتُ بالسؤال موافقاً له كأتني لذلك قصدت.

فقلت: جعلتُ فداك مالحقَ المستحقِّ للأخوان على الأخوان.

فقال يا مفضل: بمشيئة الله نطقتُ وبتوقيفه استقمتُ أتدري يا مفضل ما

سئلتُ؟

فقلت: جعلتُ فداك سئلتُ عن الظاهر من حقوق الأخوان بعضهم على بعض.

فقال: يا مفضل أسمع وع، وكن بكلك حاضري وأعلم إني استخلصتك لمكنون سري، فتتطق بلساتي بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فقال السيد الصادق منه السلام يا مفضل إن القديم الأزل لما شاء أن يظهر حجاب ذاته اخترع نوراً لاباناً عنه مفتوقاً ولا ملصقاً مرتوقاً، أقامه من نفسه نوراً مخترعاً له شعاع يتوقّد، فقال (ﷺ) له (أعرفني وكن لي حجاباً) فنطق النور بالتسبيح والتعديس والتهليل.

وقال أنت أنت لأشبه لك أقمتني من نفسك بقدرتك ظاهري نورك، وباطني نفسك. فأمدّه الله بالسبب الموصول، وفوض إليه إرادة المشيئة بكن، فأقام الحجاب أنواراً من شعاعه المتوقّد له حجباً، ولها شعاع يتوقّد، وقال اعرفوا الأزل القديم وكونوا لي حجباً، فقامت الحجب فنطقت الأنوار بالتعديس والتهليل، ثم قالت هو هو بلا نهاية أقامك حجباً لذاته، وفوض إليك إرادة المشيئة بكن، فأقمنا حجباً لظاهرك نذل على معنوية باطنك، فأمدّها الحجاب بالسبب الموصول، وفوض إليها إرادة المشيئة بلا كن، فالتفاضل بين الخلق إنما هو بالأمر الحق المعبر عنه بكن، فخصص كن أمر ربّتي لتحقيقه، فيكون عنه ما شاء، وآخر غير محقق ليس له ذلك. وإن كان قد سلواه في الإنشاء ثم أوجد من شعاع الأنوار أنواراً أقامها أبواباً للحجب، وقال لها اعرفوا الأزل القديم والحجب فتقطعت ونطقت بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. الذي منه أقامنا المعنى جلّ وعظم أبواباً لحجبه، ثم قدست

الأزل القديم ولها شعاع يتوقّد، فأمدّها المعنى الأكبر بالسبب الموصول، وفوض إليه إرادة المشينة بلا كن، ثم شبح أرواحاً من الشعاع المنتشعب عن الأنوار أنوار الأبواب، فأوجدّها ملائكة مقصورٍ عليها الشعاع النوراني هي أرواح المؤمنين، فالزمها الإيمان وأمدّها بالسبب الموصول، ثم قال لها أعرفوا الأزل القديم والحجب والأبواب، فاتقطعت الأرواح ونطقت بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم توفيقاً، ونسالك الهداية وعرفان الأزل القديم بلا نهاية، الذي اخترع النور وأقام الحجب والأبواب، ثم غشى الجميع بالنور، وقُدس الأزل نفسه، فقُدسه النور والحجب والأبواب وأرواح المؤمنين، بما قدس به الأزل نفسه، فخلق من نور تقدسه وتقديسهم حظيرة القدس، ثم أوجد الكلّ في تلك الحظيرة وأمرهم أن يقدسوه ويسبحوه ويعظموه، فلم يزالوا كذلك ينطقون بما أمرهم به ألفي عام من أعوام الله (ﷻ). وكلّما نطقوا بتقديس وتمجيد وتعظيم خلق الله تعالى من ذلك نوراً ساطعاً، حتّى انقضى مراد مشينته في ذلك، ثم عقد تلك الأنوار وجسمها يكن المراد، وأوجد في الحظيرة عموداً تحت العرش موصولة به الأسباب على مراتبها متعلّقة بالعمود على قدر قربها من نور الحجاب، موصولة بأنوار الحجب والأبواب والمؤمنين، يؤدّي أوّل إلى ثاني وثاني إلى ثالث، فذلك السبب الموصول يا مفضلّ بين النور والحجب والأبواب والمؤمنين .

قلتُ جعلتُ فداك مولاي لقد عرّفتني ما لم اعرف من باطن التوحيد، وصورت لي محل المؤمنين من الأبواب، ومحل الأبواب من الحجب، ومحل الحجب من النور، ومحل النور من الأزل القديم، الذي لا شيء يحجبه ولا مثل له.

فقال مولاي الصادق منه السلام: يا مفضلّ فهذا السبب الموصول أوجب الله تعالى للمؤمن على المؤمن المفترض من الحقوق، يا مفضلّ ألم تسمع وأنا أقول إذا واصل المؤمن أخاه المؤمن فقد اتصل بشعاع الله، وقد قلت بنور الله، يا مفضلّ إن السبب الموصول هو النور الممازج للأنوار، فإذا واصل المؤمن أخاه المؤمن استضاء السبب والتمع بشعاع زائد فيه، فيجذبه العمود بالنورانية إلى عنصره.

فلا يزال المؤمن يصل أخاه المؤمن حتّى يتجاوز سببه سبب الباب، فيصير ولياً بين الحجب والأبواب، فيكون في أعلى مرتبة من مراتب المؤمنين بالشعاع الزائد فيه وفي الأسباب.

فقلتُ: جعلتُ فداك هذا المؤمن الذي يصل أخاه المؤمن فما حال من عاقه وقصر بحقه.

قال: يا مفضل أعيدك بالله من ذلك، إن المؤمن إذا عاق أخاه وقصر بحقه ألم بالسبب الموصول به ظلمة تكبه على وجهه، فلم يزل على انكبابه حتّى يصفيه التمحيص.

قلت: سيدي ومولاي وما التمحيص؟ قال مصائب في نفسه وأهله وولده.

قلت: جعلتُ فداك فما حال المقاطع أخاه المؤمن والمواصل عدوه الناصبي.

فقال: يا مفضل إذا عدل المؤمن بين الناصبي وبين أخيه المؤمن، فقد أشرك بالله لمساواته بين المؤمن والناصري، وإذا واصل الناصبي وقطع أخاه المؤمن فقد كفر وأشرك بالله، لأنّه قد رفع من وضعه الله تعالى ووضع من رفعه الله وضاد الله وخالفه في حكمته.

قلت: جعلتُ فداك فما حال من فعل ذلك؟.

قال: يا مفضل يركس ولا يطهره إلا بالتصفية في التكريرات بالمصائب الموبقات.

فقلتُ: وما هي؟

قال إزالة الطائف عن سمعه وبصره وغير ذلك، يا مفضل أنظر فإنك ترى العجب.

قلت: جعلتُ فداك رأيتُ من هو أعمى أبكم مقعد؟

قال: ذلك هو بعينه، ولو قد رأيته في كربة أخرى لرأيته أسوأ حال.

قلت: آمنت وسلّمت، وقد أثلجت صدري وفؤادي وعرفتني ما لم اعرفه، فاخبرني عن كمّية عروج المؤمن إلى السماء وهبوطه إلى الأرض إلى أن يخلص فكم يهبط إلى الأرض؟

قال: في إحدى وعشرين كربة.

قلت: وكم مقدار هذه الكرات من السنين؟

قال ألف سنة وسبع وسبعين سنة وسبع ساعات، يكرُّ المؤمن فيها إحدى وعشرين كَرَّةً، وذلك أنَّ لكلَّ مائة سنة من هذه السنين كرتين، فإذا عاش في كَرَّةٍ أكثر من خمسين سنة فإنه ينقص من عمره في الكَرَّة الثانية على مقدار ما زاد على الخمسين في الكَرَّة الأولى، وإذا عاش في الكَرَّة الأولى أقلَّ من خمسين سنة زيد في عمره في الكَرَّة الثانية على مقدار ما نقص، وربما كانت له كرتين فيعيش فيهما مائة سنة أو أقلَّ من ذلك مما زاد على المئة، فبأنه يجري به نقصان الكرتين، وأما جملة الكرات فلا تزيد على أكثر مما ذكرت لك.

قال: وسألته عن العاهات والنوازل والفقر؟

فقال: أما العاهات والآفات فهي لامات في المؤمن فيما يضره ويفعله بالمؤمنين، فيما يتحققه ولم يؤثر، فيطهره الله به، وكلَّ فعل الله بالمؤمن فهو من خير له ونظراً، جميلاً وربما فعل به ذلك عاجلاً، وربما كان أجلاً، وأما العاهات والنوازل التي تنزل بالكافر فتجتاحه وأهله وولده فيما فعله بالمؤمنين، وارتكبه من اذاهم، ولا يثاب على ذلك ولا يؤجر، والنوازل بالمؤمنين كفارات وطهارات وبالكافرين ذلة وانتقام وافتقار.

وسألته عن قلة المؤمنين وكثرة الكافرين؟

فقال: إن المؤمن إذا انتهى وصفى صعد إلى السماء، وصار مع الملائكة، وإن الكافر يمسح فيبقى في الأرض لأنه ليس في السماء مسخ.

وسألته عن أرواح المؤمنين العارفين إذا ماتوا أين يكونوا؟

قال: في صفة طيور بيض في ظل العرش، وأرواح الكافرين في الأرض السابعة لا يصعدون إلى السماء، حتى يلج الجمل في سم الخياط.

قلت: جعلت فداك ما المقام المحمود الذي أقامه المؤمن لأخيه فاستوجب من الله المزيد في العلم والحلم والمعرفة والأهل والمال والأولاد؟ فقال يا مفضل بفضل الله نطقته، وبتوقيفه سألت، يكون ذلك إذا واصل المؤمن أخاه ولم يستأثر عليه شيئاً مما حواه ملكه.

فقلت: أوليس امرأته مما حواه ملكه.

فقال: لا لأن الملك المقصور عليه التحظير الذي لا يعد له إلا بالإباحة بالتحليل، هو ما نكرت، والملك ما يمكن إيلحته، ولا يمكن إيلحة ذلك إلا بالتحليل. وهو إن يطلقها لم تحرم على أخيه وزال التحظير. فلما ملك المربية والمراري فلا حرج عليه في إيثاره أخاه إذا وهبها له. أما سمعت قول الله تعالى في كتابه (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيههم إذا قضوا منها وطراً).

قلت: بلى جعلتُ ذلك.

قال يا مفضل: المؤمن لا يستأثر على أخيه المؤمن إلا بما حظر عليه من التحريم. فإن استأثر عليه الجاه الله في كركه إليه للمجرات وعاقبه بالتمحيص.

يا مفضل: إن المؤمن أخو المؤمن في الدين، وعقده في اليقين، ونسبته في النور والرحمة، وشكله بالنور، والسبب الموصول لا يستأثر عليه بسمعه ولا بصره ولا لسانه ولا قلبه ولا يده ولا رجله ولا جاهه.

قلت: جعلتُ ذلك يا مولاي كيف يواسيه بما نكرت من جوارحه ولا يتجزأ؟

فقال لمفضل: إذا رآه لا يصرف بصره عنه إلى غيره ولا يمل حديثه ويذكره بلسانه، ويرد الغيبة عنه ولا يبطش بيده إلا معه، ولا يسعى برجله في حلجة أحد سواه، ويمدّه بقلبه وهمته، وإن للمؤمن على أخيه المؤمن سنة خصال حقوق واجبت ثلاثة ظاهرات وثلاثة باطنات،

- فلما الظواهر: فإذا أقبل بجله ويطلق له بشره ويرفعه على عوده.
- والثنية أن لا يخيبه في كل قصد له إلا عن عجز عظيم.
- والثالثة الزيارة له ولن لا يكمل عن زيارته في حال سقمه وصحته.

ولما البواطن :

- فبرء عنه الغيبة ويدعوا له آناء الليل مع من يشاركه فيه من علمه.

- والثانية أن يحض له النصح ولا يميل عنه وله ومنه.
- والثالثة يخلص له الود ولا يتهمه بشيء، فإن تهمه بشيء ذاب أيامه كما يذوب الملح في الماء.

واعلم يا مفضل إن بقضاء حوائج المؤمن يرقى المؤمن إلى درجات النعيم في الدنيا والآخرة.

يا مفضل صل أخاك المؤمن وزينه وأمنه غيبك، تكون منه ويكون منك، ولا تقطعه ولا تقبح فعله فيضمحل إيمانك.

واعلم أن الله (ﷻ) يباهي بالواصل أخاه المؤمن الملائكة، فارغب فيما أحبه ونسب إليه. قال الله (ﷻ) (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)

قال المفضل ثم أطرق مولانا برأسه ولقد ملكنتي بهتة الحيرة، ثم رفع رأسه فإذا البيت قد أضاء واشرق بنوره ففضي على بصري، فإذا أنا بشاب قد أخذ بيدي وهو راجع القهقري، فقال: إن هذا وقت الزوال فرجعت القهقري مستبصراً وأنا أقول آمنت وصنقت. ثم قلت للشاب من أنت قال: أنا أخوك المؤمن جرى سببي بسببك، قلت بماذا فوضع يده على صدري وتحنى عني، فإذا كلما قاله مولاي للصادق منه السلام قد وعيته وزالت عني بهتة الحيرة.

فقلت: تلك فضل الله يؤتيه من يشاء. فإذا بصوت مولاي معي يقول: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون. والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة في بيان شروط الإيمان

إعلموا إخواني وفقكم الله تعالى إن شرط الإيمان عشر خصال تجمعها لفظة مكلم الأخلاق:

(١) لوكها الصنق: لقول مولانا للصادق (منه السلام) للكنب مجانب الأيمان، وهو عبارة عن مطابقة ما في الذهن لما في الخارج.

وقيل هو عبارة عن تواطؤ المرء باللسان الذي هو الآلة المعبرة عما في ضميره وما يُخبر به وعنه، حتى لا يصير أمراً واجباً في ضميره مسلوباً بلسانه ولا مسلوباً بضميره واجباً بلسانه، فيزيل بذلك الأمور عن حقائقها أو يبطل به أحكاماً يكون تعلقها به.

وقيل: الصدق هو الأخبار عن الشيء بما هو عليه في نفسه.

(٢) وثانيها الصبر: لقول السيد الرسول (عليه وآله): الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد.

(٣) وثالثها المروءة: لقوله (عليه السلام): لا دين لمن لا مروءة له، وهو اسم مشتق من المروء، وهو نعت آدم (عليه السلام)، وبنية وطبيعته التي طبعوا عليها، وهي همة في قلوبهم خص الله تعالى بها آدم (عليه السلام)، وبنية الراشدين بهذه السجية وجبلهم على هذه الطبيعة غير مكتسبة، بل خلق الله تلك الطبائع مع خلقهم إكراماً لهم، فميزهم بها عن سائر الخلق وهي ثمرة شجرة العقل والطباع الحسان وهي حسب آدم ونسبه ونعته، يوجد ذلك في البر والفاجر من ذريته مقسوماً فيهم مجبولاً، ألا إن الغالب من ذلك في المؤمنين.

فلم تجد بعد المعرفة بالله تعالى أفضل من المروءة، فهي أشرف الطبائع وأعظمها وأكرمها في الدنيا والآخرة، ولم تك فضيلة آدم (عليه السلام) من طريق الجسم، فإن البهائم والسباع والنبات والجماد، تشارك آدم وبنيه في الجسمية، وإنما فضيلة آدم وبنيه الأكملين من قبل المروءة التي هي ثمرة شجرة العقل التي بها يعامل الله تعالى آدم بما يليق بجماله وكماله، ويعامل خلقه بما يليق بهم، وهي الإنسانية التي ركبت فيه وفي أهل الكمال من بنيه ولو لم يكن من الله (عليه السلام) على الخلق بالمروءة والأخلاق الجميلة ما استوجب الفضيلة على الخلق أجمع، وتلك الأخلاق هي: العلم، والحلم، والكرم، والحياء، والسخاء، والجود، والإيثار، والمواساة، والعدل، والإنصاف، والوفاء.

(٤) ورابعها الحياء: لقوله (منه السلام) الحياء شعبة من الإيمان، وهو عبارة عن انحصار النفس والروح والقلب، وانتباضها من ظهور القبيح، وهي من فروع المروءة والتقوى وأثرها وغايتها المتعفة بترك القبائح الشرعية والعرفية.

(٥) وخامسها حسن الخلق: لقوله (عليه السلام) حسنوا أخلاقكم.

وقال أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق فجعله من الإيمان والأعمال، وهو الجود والفتوة والعفو والصفح واحتمال الأذى مع القدرة على الجزاء والتمكّن منه، والصبر على الأذى من الخلق وبسط الوجه.

(٦) وسادسها: التواضع: لقوله (عليه السلام) من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله.

والتواضع هو عبارة عن حسن الأدب مع الحق ومع الخلق:

أما حسن الأدب مع الحق: فهو أن يتّضع العبد وينزل عن رأيه وعوانده في الخدمة، وعن رؤية حقه في الصحبة، وعن رسمه في المشاهدة.

وكيفية هذا النزول: أن يخدم الحق تعالى ويعبده بما أمره به بمقتضى ما أمره به، لا على ما يراه من رأيه، والمقصود لا يعبد الله تعالى إلا بمقتضى العلم الظاهر، ويكون في العبادة خالياً من رأيه وعقله، وإن يخرج نفسه من عوائده التي تناقض الخدمة، مثل كثرة الأكل والنوم، ومصاحبة من يشغله عن الخدمة، ولا يرى لنفسه حقاً على الله تعالى لأجل عمله، فإن صحبة العبد مع خدمة الحق توجب عليه الأدب.

ومن جملة الآداب: أن لا يطلب من الله تعالى حقاً أوجب على نفسه له، ولا يطلب حقوقه من الناس، وأن يرضى بما رضى به الحق تعالى لنفسه، ولا يقاطع من المؤمنين أخاً، وأن لا يرى له عليه حقاً، وأن يقبل من المعتذر معاذيره مطلقاً سواء أكان صادقاً أم كاذباً، مُحَقّاً أو مبطلاً، فقد قيل شعراً:

أقبل معاذير من يأتيك معتذراً إن برّ عندك فيما قال أو فجراً
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستتراً

وأن لا يعارض المنقول من الكتاب والسنة بمعقول يخالف حكم الكتاب والسنة، وأن يقبل أدلة العلم الشرعي ولا يتهمها، وذلك هو محض الإيمان، ولا

يَجِدُ فِي بَاطِنِهِ إِلَى مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ طَرِيقًا، وَلَا يَصُحُّ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ يَعْتَقِدَ إِنَّ نَجَاتِهِ فِي الْعَمَلِ الشَّرْعِيِّ وَالْعَمَلِ بِمَقْتَضَاهُ، وَأَنْ يَقْبَلَ حُجَّةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مُجَرَّدًا مِنَ الْمَمَاتَةِ، بَلْ بِمَحْضِ الْإِيمَانِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ أَتَضَحَّ لَهُ بَعْدَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِمَقْتَضَى الْعَمَلِ النَّافِعِ مَا كَانَ قَدْ أَشْكَلَ مِنْ وَجْهِ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ مَثَلَ هَذَا الْعَمَلِ، مَثَلُ نُورٍ يَجْلُوا ظِلْمَةَ الْجَهْلِ.

وَكُنْكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطَّلَق: ٣).

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الْأَنْفَال: ٢٩)، أَيْ نُورًا تَفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَبَيْنَ الْحُجَّةِ الْوَاجِبَةِ وَالْمَعْتَرِضَاتِ الْكَاذِبَةِ، فَكُلٌّ مِنْ قَبْلِ حُجَّةِ اللَّهِ تَعَالَى إِيْمَانًا، بَيْنَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ عِيَانًا إِذَا عَمِلَ أَهْلُ التَّقْوَى كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البَقَرَةُ: ٢٨٢).

وَمَنْ تَرَكَ رَسْمَهُ - أَيْ ذَاتَهُ - لَتَقْبِيهَا الْحَقِيقَةُ، كَانَ الْحَقُّ عَوَضَهُ، وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ التَّوَاضُعِ ذَاتِيٍّ غَيْرِ مَكْتَسَبٍ، لِأَنَّ التَّجَلِّيَّ نُورًا، وَالنُّورَ يَنْفِي الظُّلْمَةَ، وَالرَّسْمُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ، فَهِيَ تَنْفَرُ مِنَ النُّورِ ضَرُورَةً وَتَتَعَمَّقُ بِهِ حَقِيقَةً، وَفِي حَقِيقَةِ الْجَمْعِ رَاجِعُ الْقَهْقَرَى بِالْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ، فَإِنَّهُ لَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يُوسُف: ٢١).

وَأَمَّا حَسَنُ الْأَثْبِ مَعَ الْخَلْقِ: فَهُوَ رِعَايَةُ الْإِعْتِدَالِ الْمَتَوَسِّطِ بَيْنَ الْكَبِيرِ الَّذِي هُوَ رَفَعَ الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ فَوْقَ قَدْرِهِ، وَبَيْنَ الضَّعْفَةِ الَّتِي هِيَ وَضْعُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِمَنْزِلَةِ تَرَرِّي بِهِ وَتَفْضِي إِلَى تَضْيِيعِ حَقِّهِ، فَيَقِيمُ كُلَّ أَحَدٍ عَلَى مَقْدَارِ مَا عِنْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْقَدْرِ، وَلِيَقِيمَ نَفْسَهُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ مَقْدَارًا يَعْلَمُ إِيَّاهُمْ يَقِيمُونَهُ فِيهِ، وَيَحْفَظُ حَذَهُ وَلَا يَتَمَنَّى فَوْقَ قَدْرِهِ وَلَا يَنْزِلُ إِلَّا فِي مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُمْ لَا عِنْدَ نَفْسِهِ، فَإِنْ مِنْ لِقْصَرٍ عَلَى قَدْرِهِ وَلَا يَنْزِلُ إِلَّا فِي مَنْزِلَتِهِ كَانَ أَبْقَى لْجَمَالِ وَجْهِهِ وَيُرِيحُ وَيَسْتَرِيحُ.

وَلَيْسَ التَّوَاضُعُ بِتَكْيِيسِ الرَّأْسِ وَاتْحَنَاءِ الظُّهْرِ وَالْقِيَامِ كَمَا تَفْعَلُهُ عَامَّةُ الْأَعْجَامِ مُقَابِلَةَ الْجَهْلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ تَمْلِيقٌ، وَالتَّمَكُّنُ فِي الرِّئَاسَةِ وَحُبُّهَا، وَإِنَّمَا التَّوَاضُعُ مَا ذَكَرْنَاهُ، فَبِذَا رَأَيْتُمْ عَارِفًا يَنْكَسِرُ رَأْسُهُ وَيَنْحَنِي لِصَاحِبِ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَا فَبِمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِمُشَاهَدَاتِ جَلَالِ جَبَرُوتِ إِلَهِي يَجِبُ لَهُ التَّوَاضُعُ.

فَلَمَّا الْعَارِفُونَ أَصْحَابَ الْمَكَاشِفَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَاتَّهَمُوا لَا يَرُونَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى بِمَقْتَضَى قَوْلِهِ تَعَالَى (يَبْيِصُّ وَيَسْمَعُ وَبِي يَبْصُرُ).
فَمَا رَأَاهُ سِوَاهُ وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَتْهَا الْعَرَبُ قَوْلُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ.

وَالْبَاطِلُ عَدَمٌ بِلَا شَيْءٍ، وَالْوُجُودُ كَلِمَةٌ حَقٌّ بِلَا رَيْبٍ، فَمَا تَوَاضَعَ الْعَارِفُ لِمَنْ تَوَاضَعَ إِلَّا لِحَقٍّ وَجُودِيٍّ بَاطِنُهُ عَدَمٌ وَهُوَ عَيْنُ الْمَخْلُوقِ، فَالْحَقُّ تَعَالَى هُوَ مَشْهُودُهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَرُونَهُ بِخِلَافِ الْجَاهِلِ، فَإِنَّهُ لَا يَرَى إِلَّا عَيْنَ الْمَخْلُوقِ لَا وَجْهَ الْخَالِقِ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ وَهُوَ عَيْنُ الْمَخْلُوقِ لَا وَجْهَ الْخَالِقِ.

وَقَدْ وَرَدَ عَنِ مَوْلَانَا الصَّادِقِ مِنْهُ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: التَّوَاضُّعُ أَشْرَفُ الْأَنْبَاءِ، وَالْأَنْبَاءُ صُورَةُ الْعَقْلِ، فَمَنْ لَا أَنْبَاءَ لَهُ لَا عَقْلَ لَهُ، وَمَنْ لَا تَوَاضُّعَ لَهُ لَا أَنْبَاءَ لَهُ.

وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): أَنْبَاءُ الدِّينِ قَبْلَ الدِّينِ، فَمَنْ لَا أَنْبَاءَ لَهُ لَا دِينَ لَهُ، وَالْحَمْدُ لِلْمُرْشِدِ إِلَى سَبِيلِ الْهَدَايَةِ.

(٧) وَسَابِعُهَا الْيَقِينُ: وَفِيهِ يَقُومُ الْإِيمَانُ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ سُكُونِ الْفَهْمِ وَاسْتِقْرَارِهِ وَطَمَئِنُّنَتِهِ لَزَوَالِ التَّرَدُّدِ وَالشَّكِّ وَالْوَهْمِ وَالظَّنِّ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: يَقْنُ الْمَاءُ فِي الْحَوْضِ، إِذَا اسْتَقَرَّ فِيهِ وَسَكَنَ.

وَهَذَا الْاسْتِقْرَارُ وَالسُّكُونُ إِذَا أُضِيفَ إِلَى الْعَقْلِ يُقَالُ لَهُ: عِلْمُ الْيَقِينِ. وَإِذَا أُضِيفَ إِلَى الرُّوحِ النَّاطِقِ الْأَمْرِ يُقَالُ لَهُ: حَقُّ الْيَقِينِ. وَإِذَا أُضِيفَ إِلَى الْقَلْبِ الْحَقِيقِيِّ يُقَالُ لَهُ: عَيْنُ الْيَقِينِ. وَإِذَا أُضِيفَ إِلَى السَّرِّ يُقَالُ لَهُ: حَقِيقَةُ حَقِّ الْيَقِينِ.

فَالْيَقِينُ أَمْرٌ وَاحِدٌ، وَبِإِضَافَتِهِ إِلَى أَهْلِ الْمَرَاتِبِ الْمُتَنَوِّعَةِ يُضَافُ إِلَيْهَا مَا يَخْتَصُّ بِأَهْلِ كُلِّ رَتَبَةٍ مِنْ عِلْمٍ، وَحَقٍّ، وَعَيْنٍ، وَحَقِيقَةٍ، وَأَرْبَابُ الْكَمَالِ يَجْمَعُونَ جَمِيعَ ذَلِكَ.

فَعِلْمُ الْيَقِينِ: هُوَ دَرَجَةُ الضَّعْفَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَلِّدِينَ.

وَحَقُّ الْيَقِينِ: هُوَ دَرَجَةُ الْمُعْتَبِرِينَ الْمَكَاشِفِينَ.

وعين اليقين: هو درجة العارفين البالغين المشاهدين الذين عاينوا الحقَ
فعرفوه عياناً، وَتَحَقَّقُوا صدق ما نقل إليهم فعبده إيقاناً.

وحقيقة حق اليقين: هو درجة العبد الكلّي الفاتّي عن أبيه بسيدّه فناءً كلياً
مُحَقَّقاً الغائب عن أبيه فيه غيباً كلياً، وهي غاية المراتب، فالثلاثة كتابيّة وهو قوله
تعالى ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) ... ثُمَّ لَنُرَوِّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثّر: ٧)،
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الواقعة: ٩٥).

والرابعة سنيّة وهي مأخوذة من قوله (عليه السلام) للحارث: إن لكل حق حقيقة،
فما حقيقة إيمانك؟ فهذه الحقيقة بها يُختبر العبد المُحقّق نفسه في دعواه في
معرفة علم اليقين وحقّه وعينه وحقيقة حقّه.

تأمل ترشد، واختبر تسعد، والله درّ القائل شعراً:

تسائل عن علم اليقين وحقّه	وعن عينه كما تفوز بصدقّه
تأمل بعين الفكر تحظ بعلمه	وتدرك من العين من بعد حقّه
فعلم الهدى يهدي إلى الحقّ نوره	فيشهد عين الحقّ في مستحقّه
فهذا هو الإيمان صدقاً مُحَقَّقاً	بلا مريّة تلهيك عن فتق رتقّه
تمسك بهذا فهو عين عيانه	وليس سواه الحقّ فانهض بحقّه

فاعلموا أخواتي أيّدكم الله تعالى إن مثل علم اليقين كمثّل مُخبر صادق أخبر
أنّ زيداً في الدار، فصدقّه.

ومثّل حقّ اليقين كمثّل من سمع صوت زيد فتحقّق به تصديقّه المخبر له.

ومثّل عين اليقين كمثّل من عاين زيداً وقد رآه من الدار معيّناً بعد إخبار
المخبر له وسماع صوته، فثبت إيمانه بالعيان وتضاعف الإيقان. فهذا ما أبان عنه
لسان القرآن.

وأما ما أبان عنه الحديث فلا يقال إلا مشافهة ﴿بِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

(٨) وثامنها الحب في الله والبغض في الله: قال الله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: ٣١). فمن أتى بالشرط استحق المشروط، ومن وفى ما عليه استحق ما له، ومن أحب الله اتبع حبيبه، ومن اتبع حبيبه كان من أحبب الله ودخل في زمرة من قال الله تعالى فيهم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة: ٥٤).

(٩) وتاسعها بر الأخوان: فلقد ورد في الخبر الصحيح إن بر الأخوان كفارة من عمل الشيطان.

والبر قسمان: مساواة ليس فيها تفضيل، ومؤااسة بقدر الإمكان فمن كان له التوسم فهو ممن أوجب الله عليه المساواة، وفي هذا خبر أورده صاحب كتاب السبعين في الباب الرابع والعشرين بإسناده عن ثقاته مرفوعاً إلى المفضل بن عمر (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى مولانا الصادق منه السلام أكبر من عرفه فقال يا مولاي أقسم مالي بين إخواني مساواة؟ فقال له ألك التوسم، فقال وما التوسم؟ قال الفراسة، وهو أن ترى المؤمن يظهر الكفر فتعلم أنه مؤمن، وترى الكافر يظهر الإيمان فتعلم أنه كافر، قال لا قال اذهب فآسي ولا تساوي، فليس عليك مساواة وبر المؤمن هو صلة الرحم، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله.

وقال (رضي الله عنه) حكاية عن ربه (ﷻ): أنا الله الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته.

وقال (رضي الله عنه): الرحمة شجنة من الرحمن وقال (رضي الله عنه): إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقوق الرحمن.

فقال: مه. قالت: هذا مقام العائذ من القطيعة.

قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك. قالت: بلى ذلك.

فاعلموا إخواني وفقكم الله تعالى لمرضاته وأداء مفترضاته، إن في هذه الأخبار أسرار عظيمة وعلوماً غزيرة جمّة، ومساثل كليّة معرفتها مهمّة، أولها معرفة حقيقة الرحم ومعرفة كونها شجرة من الرحمن، ومعرفة اشتقاق إسم لها من الرحمن، ومعرفة لما كتبت الرحم مغطّة بالعرش، ومعرفة صلتها وقطعها، ومعرفة حقوق الرحمن، ومعرفة قيامها المشار إليه بقولها هذا مقام العائذ من القطيعة.

ومعرفة إجابة الحق لها في عين ما طلبته سبحانه، وهو معرفة دعائها من كونها مغطّة بالعرش، ومعرفة أحكامها، وكل هذه أسرار لم يسطر شيء منها في كتب أهل التوحيد {العلوم} الباطنة ولا الظاهرة، وهذا الضعيف يشير إلى حقانها بلسان جامع بين الإجمال والتفصيل، تحنّناً بنعم الله وشكراً على ما أنعم به عليّ وأطلعني عليه، وأوضحها لديّ ورزقي المشاركة مع أكمل خلقه في الإطلاع على هذه الأسرار واستجلاء هذه العلوم المكنونة عن الأغيار.

فأقول: بتأييد الله تعالى: أمّا الرحم فهو اسمٌ لحقيقة الطبيعة، والطبيعة عبارة عن حقيقة جامعة بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. بمعنى أنّها عين كل واحدة من الأربعة من غير مضادة، وليس كلّ واحدة من الأربعة من كلّ وجهٍ عنها، بل من بعض الوجوه.

ولمّا أنّها مغطّى بالعرش فنلك من حيث أنّ جميع الأجسام الموجودة عند المحقّقين طبيعة واحدة والعرش أولها.

وبهذا ورثت الأخبار الشرعيّة في أمر الجنّة وغيرها وشهدت بصحة ذلك مكاشفات الكمل قاطبة.

ولمّا أنّها شجرة من الرحمن، فمن أجل أنّ الرحمة نفس الوجود لأنّها هي التي وسعت كلّ شيء، فبته ما ثمّ شيء وسع كلّ شيء، إلّا الوجود فبته وسع كلّ شيء، حتّى المسمّى بالعدم فإنّ له من حيث تعيّن في التعلّل، والحكم عليه بأنّه بمقابلة الوجود المحقّق، وتعيّن ضرباً من الوجود وتعيّن في التعلّل كتعلّل الوجود للمحقّق وتعيّن غير أنّ للفرق بين التعيّنين، هو أنّ التعيّن الوجودي له تحقق في نفسه مع قطع النظر عن تعيّن في تعلّل كل متعلّل كائن من كان.

ثم اعلّموا أنّ الرحمة لما كانت أسماً للوجود على ما تقرّر، فالرحمن اسمّ الحقّ تعالى من كونه عين الوجود، وأمّا أنّها شجّنة من الرحمن فنلك من أجل أنّ الموجودات تنقسم إلى ظاهر وباطن، فالأجسام هي صور ظاهر الوجود، والأرواح تعيّنات باطن الوجود، والعرش مقام الانقسام. فافهموا، وأمّا كون الرحم أخذت بحقوق الرحمن فهو من أجل أنّ الرحمن الذي هو عبارة عن تجلّي الوجود الربّاني الشامل عالم الأرواح والمعاني والأجسام، وله من وجه درجة البيان أي البيت أيضاً، بالنسبة إلى الرحم فله العلوّ، وعلى النصف الأول من صورة الحضرة الإلهيّة، ولهذا كانت الرحم معقّقة بالعرش، فإنّ العرش هو عالم الأجسام والمحيط بجميع الصور الظاهرة، وبه تميّز ما ظهر عن ما بطن، والحقّ الذي هو مشدّ الآزار مبدي النصف الثّاني النازل المستور بالآزار، الذي هو عالم الطبيعة ومحل أستار الحقّ في التجلّيات الخصيصة بالطبيعة، ولهذا جهلتها الملائكة المأمورة بالسمجود لآدم، ونفرت من نشأتها الطبيعيّة ونمتّها وأثنت على نفسها.

وأما استعاضتها من القطيعة فهو من أجل شعورها بالتّمييز الذي عرض لها من عالم الأرواح، وحضرة النفس الرحماني الذي هو مقام القرب التّام الربّاني، فتألّمت من حالة البعد بعد القرب، وخافت من انقطاع الإمداد الربّاني بسبب الفصل الذي شعرت به، فنبّتها الحقّ تعالى في عين إجابته سبحانه لدعاتها على استمرار الإمداد الذاتيّات، فسرتّ بذلك واطمأنت واستبشرت بإجابة الحقّ في عين ما سألت، وأمّا دعائها لمن وصلها، والدعاء على من قطعها، فوصلها هو بمعرفة مكنتها وتفخيم قدرها، إذ لولا المزاج الحاصل من أركانها لم يظهر تعيين الروح الإنساني، ولا أمكنه الجمع بين العلم بالكليّات والجزيّات، بل كان عالم الروح الإنساني بالكليّات أيضاً، مستهلكاً كما أخبر الحقّ تعالى عن ذلك بقوله (والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئاً..... الآية) فيالنشأة الطبيعيّة وما أودع الحقّ فيها من الخواص والأحكام والكمالات الروحانيّة والطبيعيّة.

وبهذا الجمع توصّل إلى تحقيق المرتبة البرزخيّة المحيطة بأحكام الوجوب والإمكان، فكمّلت له المضاهات وصحت له المحاذاة، فظهر بصورة الحضرة الإلهيّة وصورة العلم إتماماً ظاهراً وباطناً، فهذا بعض خواصّ وصلها التي أمكن نكره، وأمّا قطعها الذي أخبر الحقّ تعالى أنّه يقطع من قطعها فهو بازدرائها والجهل

بمكاتها، وبخسها حقها، فإنه من بخسها حقها وازدراها فقد بخس حق الله وجهل ما أودع الله فيها من خواص الأسماء، التي هي من حيث هي تسند الرحم إلى الحق وترتبط به، إذ لولا علو مكاتها عند الحق لم يخبرها الحق حال الإجابة بقوله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعت، ومن جملة الازدراء والقطع مذمة متأخري الحكماء لها ووصفها بالظلمة والكدورة وطلب الخلاص من أحكامها والانسلاخ من صفاتها.

فلو علموا إن ذلك متعذر وإن كل كمال يخلص بعد مفارقة النشأة الطبيعية فهو من نتائج مصاحبة الروح للمزاج الطبيعي وثمراته، وإن المفارقة إنما ينتقل من صور الطبيعة إلى العوالم التي هي مظاهر لطائفها، وفي تلك العوالم يأتي العموم السعداء ورؤية الحق الموعود بها في الشريعة المخبر عنها إنها أعظم نعم الله على أهل الجنة، فحقيقة تتوقف مشاهدة الحق عليها كيف يجوز أن يزدري بها وتذم وتهجو، وإنما حال الخصوص من الله تعالى كمال الكمال من متدانيهم، فإنهم إن فازوا شهدوا الحق ومعرفة الحقيقة هنا، فإنه تيسر لهم بمعرفة هذه النشأة الطبيعية حتى التجلي الذاتي الأبدى الذي لا حجاب معه ولا مستقر للكمال دونه. فإنه باتفاق الكمال لم يحصل له ذلك إلا في هذه النشأة الطبيعية الحسية، ولا يحصل له بعد المفارقة وإليه الإشارة بقوله منه السلام إذا مات ابن آدم أنقطع عمله... ويقول (عليه السلام) في وصف أهل الجنة: لا يستتر الرب عنهم ولا يحتجب... وإلى هذا أشار بعض العارفين بقوله لبعض تلاميذه: يا بني إذا سریت بفكرك في عالم المعاني انحجب حسك عن التلذذ بالمعاني، وإذا سرى حسك في المعنى انحجب سرک عن مشاهدة المعنى، فالبقاء مع الحسن أولى في الآخرة والأولى، وسيبدوا لك شرف الحسن عند الرؤية في جنة النية وأنشد بعضهم شعراً

حيناً فلّ بديع حسن ظهورها
ونحييه شوقاً لحسن سفورها
وكثيفها هو من تكاثر نورها

ياهاجي الصور التي ظهرت له
لو أنها استترت لطال بكاؤه
ألف الظهور فقال هن كئانف

وَأَمَّا قِيَامُهَا وَدَعَاؤُهَا فَعِبَارَةٌ عَنْ تَوَجُّهَهَا الذَّاتِي بِصُورَةِ الْإِفْتِقَارِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنَّ الْحَقَّ سَمِّيَ تَوَجُّهَهُ إِلَى الْخَلْقِ بِالْمُرَادِ قِيَامًا، فَقَالَ تَعَالَى (أَفَمَنْ هُوَ قَاتِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ).

فَاعْلَمُوا ذَلِكَ يَا أَخَوَاتِي وَتَدَبَّرُوا مَا أَدْرَجْتُ لَكُمْ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ الشَّرِيفَةِ الْمَشْتَمِلَةِ عَلَى هَذِهِ الْعُلُومِ الْعَلِيَّةِ وَالْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ تَفُوزُوا وَتَفْلَحُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَعَلَيْكُمْ يَا أَخَوَاتِي بِصَلَةِ إِخْوَانِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِكْرَامِهِمْ وَتَوْقِيرِهِمْ وَاحْتِرَامِهِمْ وَنَصْرِهِمْ وَإِعْزَازِهِمْ وَسِتْرَ عَوْرَاتِهِمْ وَسَدَّ جُوعَاتِهِمْ وَمَسَامَحَتِهِمْ وَالسَّعْيَ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِمْ وَتَرْكَ غِيْبَاتِهِمْ وَالْاجْتِهَادَ فِي نَجَاحِ مَقَاصِدِهِمْ.

فَحَقَّ الْمُؤْمِنُ حَقَّ اللَّهِ، مَنْ أَقَامَ فَقَدْ أَدَّى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَصَرَ فِي حَقِّهِ فَقِي حَقَّ اللَّهِ قَصَرَ.

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ أَخَاكَ رَبِّكَ فَاعْبُدْ رَبَّكَ أَيَّ بِخِدْمَتِهِ تَصِلُ إِلَى رَبِّكَ، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ مَرْضَاةَ اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) وَقَالَ السَّيِّدُ الرَّسُولُ (ﷺ) كَمَا تَدِينُ تَدَانُ وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ.

وَعَنْ مَوْلَانَا جَعْفَرِ الصَّادِقِ مِنْهُ السَّلَامُ قَالَ: الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لِأَمْنِهِ وَأَبِيهِ أَبُوهُ النُّورِ وَأُمُّهُ الرَّحْمَةُ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ إِنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ الْعُمُرَ قَلِيلَ هُوَ بَرُّ الْأَخْوَانِ وَافْتِقَادُهُمْ بِمَا يَيْسَرُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَدْ رَوَى صَاحِبُ كِتَابِ السَّبْعِينَ فِي الْبَابِ الثَّامِنِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْهُ إِنَّ الْعَامَّةَ رَوَتْ عَنِ السَّيِّدِ الرَّسُولِ (ﷺ) إِنَّهُ قَالَ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَعَالَى: أَلَمْ أَجِئْكُمْ جَانِعًا فَلَمْ تَطْعَمُونِي، أَلَمْ أَجِئْكُمْ عَطْشَانًا فَلَمْ تَسْقُونِي، فَقِيلَ كَيْفَ تَجُوعُ وَتَعْطَشُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ فَيَقُولُ: جَانِكُمْ وَلِيٌّ لِي وَإِذَا جَاءَكُمْ وَلِيٌّ فَقَدْ جَنَّتْكُمْ أَنَا.

وَفِي كِتَابِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ عَنْ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عَزَّهُ ظَاهِرًا لِكَمِيلٍ: يَكْمِيلُ مَرَّ أَهْلِكَ يَرْوِحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةٍ مِنْ هُوَ نَائِمٌ، قَوْلَ الَّذِي وَسَّعَ الْأَصْوَاتُ سَمْعَهُ مَآمِنَ عَبْدٍ أَوْدَعَ قَلْبَ مُؤْمِنٍ سُرُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفًا، فَإِذَا نَزَلَتْ بِذَلِكَ الْعَبْدُ نَازِلَةً جَرَى إِلَيْهَا كَالسَّيْلِ فِي اتِّحَادِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تَطْرُدُ غَرِيبَةَ الْإِبْلِ، ثُمَّ قَالَ إِذَا مَلَقْتُمْ فَتَاجَرُوا اللَّهُ بِالْصَّدَقَةِ.

(١٠) وعشرها **التقوى**: الجامعة لكمال الأوصاف الحولية لمكارم الأخلاق وهي الختم، وتكنن يجب تقويم هذا الوصف وإتمام آخر ليكون ختامه منك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ووجه آخر وهو إن الله (ﷻ) قرن البر بالتقوى فقال عز من قائل (وتعاونوا على البر والتقوى)، فلما ذكرنا البر تأمعاً أتينا بذكر التقوى عاشرًا لشرفها، وقد أمر الله تعالى بالتقوى في كثير من آيات القرآن المجيد منها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته)، ثم خفف عنهم لما علم عجزهم فقال تعالى (فتقوا الله ما استطعتم)، وقال تعالى (ومن يتقى الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقد قال بعضهم في هذا المعنى نظاماً:

بتقوى الإله نجى من نجى	وفلز وأدرك ما قد رجي
ومن يتقى الله يجعل له	كما قال من أمره مخرجاً
ويرزقه من حيث لا يحتسب	وإن ضلقت أمر به فرجاً

وقد روي عن الرسول (ص) إنه قال ثلاث مهلكات وثلاث منجيات ثم أبان عن شرحها فقال:

لما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه.

ولما المنجيات فهي تقوى الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضى والغضب فجمع علينا سلامه مكارم الأخلاق ومسئوليتها في سنة كلمت، وهذه السنة هي معنى الآية في قوله تعالى (إن الله يلمز بالعدل والإحسان وليتاءذي القريبى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون).

واعلموا إخوتي أيكم الله بتليده ويعظكم من لكرم عبيده، إن الحقوق ثلاثة حق الله (ﷻ). وحق الخلق. وحق النفس. أما حق الله تعالى فهو أن تعبدوا ولا تشركوا به شيئاً.

وأما حق الخلق فهو كفا الأذى عنهم ما لم يلزم به شرعاً من إقصة حد وصنق المعروف معهم على الاستطاعة والإيثار ما لم ينهي عنه شرعاً فبقه لا سبيل لموافقة الغرض إلا بلسان الشرع.

وأما حق النفس فهو أن لا تسلكوا بها من الطرق، إلا الطريق الذي فيه سعادتها ونجاتها، وإن أبت فلجهل قال بها وسوء طبع، فإن النفس الأبيّة إمّا يحملها على إتيان الأخلاق الفاضلة ديناً أو مروءة، فالجهل يضادّ الدين فإنّ السدين علم من علوم الله، وسوء الطبع يضادّ المروءة، وهاهنا حقّ رابع حقّ المؤمن على المؤمن وهو أن ينظر إلى كمال استعداد أخيه المؤمن، فبأنه باب الاستحقاق وعبء رحمة الجوّاد الخلاق ومجرى هداية الاسم الهادي بالاتفاق، وهو من التفضيل الإلهي، وذلك لأن الاستعداد هو تفضيل الحقّ للعبد المستعدّ لذلك الكمال لا من ذات المستعدّ فقط بل من المكان والزمان والعوارض اللاحقة لذلك المستعدّ، فإن مجموع ذلك هو الاستعداد، فيه يقع التفضيل، والحقّ تعالى لا يظلم الناس شيئاً، فمن كان استعداده للكمال ظهر كاملاً، ومن دونه إمّا متوسط وإمّا متأخر، ومن كان متوسطاً كان متوسطاً ومن كان متأخراً كان متأخراً (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله تلك الدين القيم)، فعلى المؤمن أن ينظر إلى ظاهر ما يدى فيطمّ به الظاهر الحقّ، فمن كان أفضل كان هو الذي فضّله الحقّ، فيجب أن يعترف له بالتفضيل عليه فيدخل تحت أحكامه، فبأنه ربه بمقدار ما به فضله فإن فضل أحدهما على الآخر من وجه، وفضل الآخر من وجه، فهو ربه من الوجه الذي فضله به فإنّ الربوبية لا تتقدّم بمرتبة واحدة، وإمّا هي حكم دائر في الأطوار، فحيث تحقق ظهوره من أطوارها فظهرت فيه وجب على عبد تلك القدرة التي ظهرت فيها الربوبية أن يعبدها عبادة مساوية لما ظهرت به من الربوبية، وأن لم يفعل ذلك كان كفراً بربه تعالى من حيث تلك الحضرة، ولا ينفعه مع كفره بتلك الحضرة أنّه يؤمن بربه تعالى من حضرة أخرى، لأنّه من تلك الحضرة منعاً ومن هذه الحضرة معذباً، فيجتمع في حقّه أن يكون منعاً معذباً في وقت واحد، ولا يقال كيف يجمع للضدان، فإمّا نقول إنّهما اجتماعاً لتخالف الاعتبارين، ومن فرط في العمل كان ظالماً ويقتدر ما هو به ظالماً يعاقب جزاءً وفاقاً.

فاعتبروا يا إخوتي كمال الاستعداد الذي هو باب الاستحقاق بالتفضيل، فحيث كان يلزمكم له التعظيم والتبجيل فإنّ وجنتم محلّ التعظيم فعظموه، وأنّ لتلك جاهل فعظموه، وإنّ لبي فاحرموه، ومعنى التحريم له اجتماعكم به فيما يوجب السكوت أو التكليم، فبأنه من الذين حرموا قال الله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم

ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما تكيتم) أي إلا من هديتم وأرشدتم إلى الحق وباطن الشرع للآية. والميمية إشارة إلى الذين لا استعداد لهم لشهود ظهور المعنى بذاته لخلقهم كخلقهم.

والدم إشارة إلى أهل الغضب فإن الغضب غليان دم القلب ولحم الخنزير إشارة إلى الذين لا غيرة لهم على أنفسهم، وما أهل لغير الله به إشارة إلى أهل الرياء (الذين لعنهم الله فاصمتهم وأعمى أبصارهم) فلم يسمعوا خطاباً (كان على قلوب أفعالها) (فبأبصارها لا تسمى الأبصار ولكن) (فبأبصارها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور) (سورة الحج: من الآية ٤٦) القلوب التي في الصدور والمنخنقة إشارة إلى الذين اختنقوا بتكليف ما لا يطاق، والموقوذة إشارة إلى الذين فسدت أمزجتهم بالرياضة المفرطة من غير دليل مرشد عارف بالتربية والسلوك، والمتردية إشارة إلى الذين وقعوا في شبهة منعتهم التوجه إلى الله تعالى. والنطيحة إشارة إلى الذين أضلهم غيرهم بوجه من الوجوه، وما أكل السبع إشارة إلى الذين تركوا شيخاً عارفاً بالتربية والسلوك لما رأوا شيخاً ظاهراً عليه آثار العبادة والتخضع، ويكون له سماًطاً معدوداً، وهو جاهل، فمالوا إلى تقليده دون الشيخ الأول العارف، وأما قوله تعالى (إلا ما تكيتم) فإن معناه إلا ما خلصتموه مما وقع فيه من النقص بالهداية والإرشاد إلى الحق والحقيقة والكمال، وعلى هذا التفسير فلا تنسبوا ربكم إلى النقص بوجه من الوجوه، وإذا رأيتم من فضله الله تعالى عليكم ولو في رتبة ناقصة يجب عليكم أن تفضوه على من هو دونه تفضيلاً مملوياً لاستحقاقه إن أمكن معرفة استحقاقه، وإلا يقدر الإمكان. والله در القائل شعراً:

كنت مشار إليه بالتعظيم
بالتجري على الكبير العظيم
الخمر بتجسسها وبالتحريم

لا تضع من عظيم قدر وإن
فالكبير العظيم يصغر قدراً
ولع الخمر بالعقول رمى

رسالة

تحفة الروح والإنس في معرفة الروح والنفس

الحمد لله الذي تجلّى الأسرار الموحدين بذات مقدّسة عن الأبنية وتجلّى لقلوب الموحدين بعظمة منزهة عن الكيفية وتعرّف إلى نفوس العارفين بوجود منزّه عن الكمية وتحقّق إلى الباب الموقنين بحقيقة متعالية عن الكمية. وسقى من مشرع التحقيق أرواح المؤمنين بأفداح البراهين العقلية والأدلة النقلية.

فلم يكرع من الزلزال. الرّوي من عرف التوحيد غير المتقين من الشرك والثبوية. فسبحانه من واحد توحد في أزل الأزال بأحكام الأحدث وتبارك من فرد تغرّد في العز والجلال بنوع الصمدية وتعالى بعلو أحدىته عن الجنس فلا يحوم حول سرداق كبريائه سؤال الماهية وتقدس بسمو صمديته عن النوع.

فلا يرتمي سهم الوهم الرحمن عزته الإلهية والصلاة التي هي الصلّة على ذات محمد ذي المعالي العقلية والحسية وعلى آل ذوي المراتب القدسية وعلى أصحاب أولى المقامات السنية وعلى أتباعه ذوي المكارم والأخلاق الرضيّة. وعلى ورثته أرباب المناقب الشريفة العلوية. وبعد. فهذه إخواني كلمات عرفانية ونكتات وجدانية وإشارات عرشيّة وتلوينات لوحية. سطرّت بأقلام شهودية على أوراق وجودية. وسميت بتحفة الروح والأنس في معرفة الروح والنفس ورُتبت على مقدمة وثلاث تنبيهات.

مقدمة الرسالة: في بيان ما أطلق عليه لفظة الروح.

اعلموا إخواني: أطلعكم الله على حقائق الكتاب المسطور وأوقفكم على رقائق الرق المنشور. إن لفظ الروح يطلق على معانٍ مختلفة متباينة شتى. لكل عبارة منها معنى. فيطلق ويراد به الملائكة الكروبيون المهيمون في طاعة الله عز وجل وهم طائفة ليس عندهم علم ولا شهود إلا جلال الله عز وجل. لا يعرفون إن الله تعالى خلق خلقاً سواهم لإشغالهم به تعالى عما سواه فهم هائمون في شهود جلال

ونظيرهم من البشر الأفراد الخارجون عن دائرة الأقطاب. المشار إليهم بقوله عليه الصلاة والسلام فيما "رَوَى" ابن عباس. إن رسول الله "ص" خرج ذات يوم على قوم يتفكرون فقال: ما بالكم لا تتكلمون؟ فقالوا: نفتكر في خلق الله. قال فكذلك فافعلوا. تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه. فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء بياضها نورها مسيرة الشمس فيها أربعون يوماً بها خلق من خلق الله تعالى لم يقضوا الله طرفه عين. قالوا يا رسول الله فإين الشيطان منهم؟

قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا؟

قالوا: من ولد آدم هم. قال ما يدرون خلق آدم أم لا. ورَوَى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق أنه قال: من وراء عالمكم هذا ستة وثلاثون ألف عالم في كل عالم ستة وثلاثون ألف مدينة. في كل مدينة ستة وثلاثون ألف باب على كل باب ستة وثلاثون ألف نفس منقوسة لا يعلمون إن الله خلق آدم ولا ذريته. هم أعرف بنا وأطوع من أحكم لهواه وهم على ذلك لا يعلمون إن الله خلق خلقاً ولا أنزل كتاباً.

قلت هذان الحديثان يطول فيهما نظر الناظر ولا يستوفي العارف بخار المعرفة التي أفاضها الله تعالى عليهم وإن عمروا عمرُ نوح. ويطلق ويراد به الملائكة المسخرة الذين هم عماد السموات والأرض لا يعصون الله بما أمرهم ويفعلون بما يؤمرون. سخرهم الله عز وجل إلى الإنسان في جميع مصالحه دنيا وبرزخاً. وأخره. ويطلق ويراد به الأرواح المدبرة لأجسامنا التي قضى الله عليها الموت وسخر بعضها لبعض فالأرواح المهمة حائرة.

والأرواح المسخرة ذاكرة. والأرواح المدبرة ناهية وأمرة. ويطلق ويراد به الروح الذي يُنفخ منه عند كمال تسوية الخلق. وهو الروح الذي سئل عنه رسول الله "ص" فلم يجب عنه حتى نزل عليه قوله تعالى "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي..." وقيل هو ملك عظيم يقوم وحده يوم القيامة صفًا صفًا. والملائكة صفًا صفًا وأعلم: إن حرف "من" هنا. لتبيين الجنس لا للتبويض بين به إن الذي يصلح للمكلف أن يطلع عليه من حقيقة هذه الروح هو أن يعلم إن هناك شيء من عالم الأمر لا من عالم الخلق.

وعالم الأمر: هو عالم ما صدر عن الله تعالى بغير واسطة إلا بمشاهدة الأمر الرباني الوجداني. وهو السبب الثاني بالإضافة إلى وجود المطلق. والسبب الأول بالإضافة إلى الوجود المقيّد فهو أول في المبدعات.

وعالم الخلق: هو كل ما صدر عنه تعالى عند سبب متقدّم من غير مشاهدة الأمر العزيز قال الله تعالى "ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين".

ولام "ل" هنا بمعنى منه وليسَت للملك. بل بمعنى الصّفة. كما يقال: "له خيلٌ وجمال ودارٌ وعقار ومقام له دون مقام. فافهم وما فهمك إلا بالله. ونسبة هذا الروح إلى البدن كنسبة الملك إلى دار مملكته فهو الحاكم والأمر والنّاهي. والقلب كالمنزل الخاص له والأعضاء "الحواس" الظاهرة والباطنة" كما الخدم له ينهضون عند إشارته ويسكنون عند سكونه والعقل كالوزير له والشهوة كالخادم المؤكل بما يحتاج إليه منزله من المأكول والمشروب. ومرممة مما تشعث وإصلاح مما تهتم.

والغضب كالحاجب الذي إليه السياسة وإصلاح دار مملكته لينل أعدائه ويعزّ أوليائه. سئل شيخنا شيخ الطريقة وإمام الحقيقة "جنيد السّائح" البغدادي قسّسه الله عن حقيقة الروح. فقال: إنّه موجود استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحد من خلقه. فلا يجوز العبارة عنه بأكثر من أنّه موجودٌ أمري لأنّه لم يرد الشرع بالإذن في ذلك إلا أنّه من أمرٍ ربي. وسئل الشيخ الكامل صدر الدين محمّد بن اسحاق المططي قسّسه الله عن الروح. فقال: الروح عبارة عن حصّة من مطلق الوجود منصبةٌ بأحكام الحياة بالعلم والإرادة والقدرة على وجه السّلطنة فيها للحياة. وبالجملة فلا ممكن لأحد أن يُعرف الروح بأكثر ممّا عرفنا الله تعالى في كتابه العزيز وهي كافية لمن له فطنة وافية. ويطلق ويراد به النور الذي يجده أهل الله عزّ وجلّ عند الإنقطاع إليه بالهمم والعبادة. وهو نور موهب من حضرة الربوبية لا من غيرها من الحضرات وأصله من الروح الأمري الذي لم يوجد عن خلق وهو النفس الرحماني المشار إليه بقوله عليه السلام.

إني لأجدُ نفس الرحمن من قِبَل اليمن ... اليمن: في العالم الأكبر عبارة عن العرش الذي عليه استوى الرحمن وفي العالم الصّغير: هو عبارة عن العرش الذي عليه الله وهو قلب العبد المؤمن المستغرق في الشهود الذي لا يلوي إلى شيء وذلك

لأنه محوٌ في وجوده تعالى لا يشهد غيره ولا يرى سواه وهاهنا نكتسه وجدانيته... وهو إن أويس القرني "رض" كان في ناحية اليمن من قبيلة يُقال لها القرن ولم يكن له اجتماع حسن مع رسول الله "ص" وكانت أمه تكره مفارقتها أيّاهَا..

ولم تأذن له بالهجرة إلى رسول الله "ص" فكان لأجل ذلك دائم التلهّف والتحسّر والتولّهُ والتحيّر.. فيُظنُّ به جنونٌ وكان كلّما حنّت طبيعته الشائرة إلى مُشاهدة الحضرة النبويّة وتبوير مشكاته بأنوار الطلعة المحمّديّة وهمت نفسه القاهرة على حصول الملاطفة الأحمدية عاقه رضاها عن التوجّه إليه ومنعته صلة الرحم عن المثول بين يديه مع ما كانت قوّته الروحانية حاکمةً بأنّ الأرواح متلاقية وإن تباينت الأبدان.. متاجيةً وإن تباعدت البلدان وكانت قوّته الطبيعيّة ودغدغته الوهميّة تتواجد على حصول المشاهدة الشخصيّة البدنيّة.. وتتهالك على وصول الملاطفة الأنسيّة. وتزعمُ إنّ بذلك سكون البلبال وركون ذلك الخيال - إستقرار تلك المخيلة تمام الإتصال فكان في تلك الحال يخطرُ ذكره بقلب رسول الله "ص" مما يؤدّيه إلى شهود وجه الحق في تلك القواطع المانعة والموانع العاتقة. فيجد بذلك النفس الرحمانية..

حياة طيبة ويحصلُ في قلبه سَكينةٌ نوريةٌ فيسكن "رض" عن تلك الحركة الشوقية الموجبة لمفارقة الله فيعودُ إلى خدمتها وقد ارتفع عنه حجاب ظلمة المسافة الحسيّة لظهور نور النفحات القدسيّة المشرق على قلبه بواسطة ذكر رسول الله "ص" عن هذا النور الربّاني والسرّ الإلهي بالنفس الرحمانية فإنّ به صار من ضار حياً إذ النفس الرحمانية هو الحياة السّارية في الموجودات لأنّه حركةٌ وجوده به وفيه ومنه تتعيّن الموجودات كلّها. وهذا النور هو المشارُ إليه بقوله تعالى:

"وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما هو تحت كسبك ولا تعلّق لك خاطرٌ بتحصيله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نساء من عبادنا.."

فأوليس ومن كان على قلبه وقنسه أيّ تقلبه في الأحوال والأعمال هو ممّن شاء من عباده فلا مانع من أن يُقال لهم عند حصول ذلك النفس الرحمانية وإشراق ذلك النور الربّاني وظهور ذلك السرّ الإلهي...

"فلان.. صاحب نفسٍ أو ذو روحٍ أو.. حي". وقد التحق بالأحياء وهو المشار إليه بقوله تعالى

"أو من كان ميتاً فأحييناهُ وجعلنا له نور يمضي به في الناس.. " وقوله تعالى "ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور.. " فكان يجعل الله لم يصفه إلى الإكتساب بل هو عطاء الملك الوهاب ويُطلق ويراد به "البُخار" المتولد من لطيفات الأخلاط الأربعة وهو ما احتوى عليه تجاوىف القلب الصنوبري..

والرُوح: هو ما رُوح هذا الرُوح وما دخل في آلة التنفُّس بالإنقباض وخرج بالإنبساط وهذا الرُوح.. ميثوث في الهواء والمواضع الحالية من العالم الأكبر كإنبثات الرُوح في المواضع الحالية من القلب والعروق الضربة في أنحاء الجسم المتشعبة فيه وإليه الإشارة بقوله "ص"..

"لا تسبوا الرِّيح فإنها من نفس الرحمن" أي فإنها ممّن نفس الله بها عن عباده ومن هنا.. قيل:

"الرَّوح" باطن مصوّر الصُّور لأنّه نفس.. والصُّورة جزء لمن صوَّرها إذ نفخ فيها روحاً فإنّه فيها منه.. ويُطلق ويراد به النفس الناطقة وهي القوة الإلهية السارية من قلة العالم الأكبر إلى قلة العالم الأصغر المتصلة بنا الغير منفصلة من عالمها الممدّة بما يكون قبل كونه. التي هي دون سائر الأشياء.. تعطينا معرفة العلم بالعلويّات الكلّيات والسفليّات الجزئيّات وإن كان في عالمنا للجزئيّات شريك من الحواس. فهي المتوحّدة بإعلامنا أمر الكلّيات بغير توسُّط الحواس وهذه المعرفة قد تصل إلينا بالعقول الصّافيّة دفعة وبالرويا الصادقة أخرى عند إطلاع ما يخصّها منها إلى ما حولنا ونتذكّر ما في طبعها علمه ومن الأكياس..

من ينظر إنّها ممّا سيكون من قبل كونه والفرق بين الرُّوح البخاري - والروح الإلهي المسمّى بالنفس الناطقة إنّ الرُّوح: جسمٌ لطيف.. والنفس الناطقة ليست بجسم والروح يحويه الجسم. والنفس لا يهاجم والرُّوح: إذا فارق الجسد بطل.. والنفس الناطقة: إذا فارقت الجسد أعني إذا فسد مجال البدن بالكلّية بطلت أفعالها من البدن ولم تبطل هي في ذاتها.. لأنّها جوهرٌ روحاني في غير جسم ولا جسماني وليست ذات محلّ، ولا ضدّها ولا مزاحم..

ومُبدعها دائم فتدوم به وليس بينها وبين البدن إلا علاقة عرضية شوقية. ولا يبطل ببطلانه الجوهر والنفس الناطقة: تحرك البدن وتنيله الحس والحياة بتوسط الروح والروح تفعل ذلك بغير توسط.. والنفس الناطقة تحرك البدن وتنيله الحس والحياة فإنها أول علة لذلك وفاعلة فيه والروح تفعل ذلك وهي علة ثانية.. فالروح إذا علة قريبة لحياة البدن وحسّه وحركته وباقي أفعاله.. والنفس الناطقة علة بعيدة لذلك..

وذلك إن الإنسان لما كان مركباً من أجزاء صلبة: وهي العظام والأعصاب والعروق وما أشبه ذلك.. ومن أعضاء رطبة وهي الأخلط الأربعة أعني الدم والبلغم والمرّة الصفراء والمرّة السوداء أو من الروح الذي في تجويف القلب والدماغ والشرينات والأعصاب. ولأن الروح أرق هذه الأجزاء وألطفها وأصفاها كان ذلك أشدّ قبولاً لفعال الناطقة من سائر أجزاء البدن وعلى قدر ذلك من رقيقته ولطفه وصفائه قبل من فعال الناطقة وكذلك قالت الفلاسفة:

إن قول النفس تمامية لمزاج البدن كما إنها تمام لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة.

وهي في الجسم بمنزلة الصورة في الهيولى. والجسم للنفس الناطقة كالهوى للصورة فمن كان مزاج بدنه في غاية الإستواء صفاً ومن قصر مزاج بدنه أعني الأعضاء التي فيها الروح عن الاعتدال المخصوص بها قصر أيضاً الروح عمّا يجب له من الرقة واللطف والصفاء كما قصرت أفعال النفس فيه لتلك العلة ولذا صارت قوة النفس في الصبيان ناقصة ضعيفة..

وكذلك في الأم التي غلب على أمزجتها الحرّ والبرد كالزنج والصقالبة وما ناسب بهاتين الأمتين ولذلك أيضاً اختلفت أفعال النفس فصارت في الروح الذي في القلب الحياة والتنفس والقبض فقط إذ ذلك الروح أقرب الأرواح إلى الهواء وأقلها رقة ولطفاً وصفاءً ثم الروح الذي في تجويف مقمّ الدماغ صار فيه الحس والتخيّل لما ناله من زيادة الرقة واللطف والصفاء الذي في تجويفات القلب.

ثم الروح الذي في مؤخر الدماغ صار فيه الذكر والحفظ لما يحتاج في ذلك إلى فضل الرقة واللطف والصفاء. على ما تقدمه من الأرواح إذا كان يريد أن يذكر

أشياء قد قصت وبعد عهدها.. فهذا ما أردنا إبرازه في هذه المقدمة والله الموفق للصواب والهادي إلى وحدة العقل الوهاب..

التنبية (الأول: في بيان معرفة النفس الإنسانية عقلاً ونقلًا)

... اعلّموا إخواني: حقّقكم الله بحقائق ذواتكم واطلعكم على رقائق أسمائكم وصفاتكم.. إنّ النفس الإنسانية هي حقيقة واحدة بالذات متكرّرة بالأمثلة والصفات فباعتبارات يعبرُ عنها بعبارات فتسمّى تارةً روحاً أمرياً وتارةً لطيفةً مدرّكةً وتارةً كلمةً طيبةً وتارةً كلمةً جامعةً فاصلةً وتارةً نفساً مطيعةً وتارةً نفساً ناطقةً وتارةً عقلاً ولبّاً ونهياً وحجراً وغريزةً. وإن كان كل واحد من هذه الألفاظ يُطلق على معنى مشترك بينه وبين تلك المعاني. إذ القوم قد يطلقون على القلب الروح وبالعكس ويريدون بالروح تسمية الفلاسفة نفساً ناطقةً ويسمونه روحاً أيضاً.

وأما النفس فعند الصوفيّة هي الأوصاف المذمومة. والروح هي الأوصاف المحمودة ولا أربّ لنا في الألفاظ، وإنّما المقصود المعنى ولا مشاحةً في الألفاظ والأسماء والألقاب إذا فهم المعنى والله درّ القائل شعراً

عبارتنا شتّى وحسنك واحدٌ وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشيرُ

وأما الدليل العقلي على إنّ النفس الإنسانية التي هي خاصيّة الإنسان واحدة لا اختلاف فيها بالحقيقة والذات، بل بالأخلاق والصفات التي هي من توابع مزاج البدن وهي من العوارض العارضة لذات النفس هو إنّ النفوس كلّها فاضت من مبدأ واحد بسيط.

وهو المسمّى عند الحكماء بالنقل الأخير الفعّال الواهب للصُور وهو لا تركيب فيه ولا اختلاف ويستحيل أن يكون في النفوس الفائضة منه اختلاف بالحقيقة لأنّ إتحاد العلّة علة إتحاد المعلول كما عرفوا من أنّ القاعدة القطعيّة المشهورة إنّ الواحد لن يصير مصدرًا لاثنتين مختلفين قط، وأيضاً لو اختلفت النفوس بالذات حتى كانت كالجنس وامتازت الأنواع بالفصول.

كان كل نوع منها مركباً من جنس وفصل وقد برهننا على امتناع التركيب والانقسام فيها، ولو كانت كلها أيضاً من نوع واحد لامتازت الأشخاص بالخواص والصفات فيلزم ما ذكر من استحالة التركيب باعتبار النوع لا باعتبار الصفات لأن نقول عروض الصفات الخارجية لا تركب في الذات، إذ الصفة لا تدخل في حقيقة الذات، أما الفصول الذاتية المميزة بين الأنواع فهي داخلة في الذات مركبة لها، فالفصل هو الفصل في هذا الفصل.

وأما الدليل النقلي فكثير، منه قوله تعالى: "هو الذي خلقكم من نفس واحدة" فهذه الآية دلّت على مبدأ كل النفوس واحداً، وقد عرفت إن إتحاد المصدر دليل إتحاد المصادر ومنه قوله تعالى: "ما خلقكم وبعثكم إلا كنفس واحدة" فهذه الآية دلّت على اتحاد المبدأ والمعاد للنفوس الإنسانية، ومنه قوله "ص" كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فهذا الحديث دل على أن النفوس الإنسانية كلها مقطوعة قطرة واحدة..

إلا إن رزائل الأخلاق والعادات ومساوىء الأفعال والإعتقادات ممّا يُنجسها ويخرجها عن طهارتها ونضارتها كتهوؤ أبويه وتنصرهما.. وتمجسهما.. فثبت بهذه البراهين العقلية والأدلة النقلية إن حقيقة الإنسان هي حقيقة واحدة مقدسة عن الاختلاف في ذاتها، وإن جميع ما يطرأ عليها ليس إلا من المزاج المعبر عنه بالاستعداد وهو باب رحمة الملك الجواد.

والقبول إنما هو بحسب الاستعداد فإن النفس منفوخة فهي نفس من روح طاهر مضاف إلى الحضرة المقدسة المشار إليها بقوله تعالى "إذا سؤيته ونفخت فيه من روحي..." فليس ما يطرأ عليها إلا المزاج وللشيخ الكبير "محي الدين بن محمد العربي" بهذا المعنى نظماً وهو هذا الروح واحدة والنشأ مختلف في صورة الجسم كان الأمر فاعتبروا في الجسم كان اختلاف النفس فاعتمدوا على الذي قلته في ذلك وانكروا فإنه العلم لا ريب يداخله الشمس تعرف ما قلناه والقمر

معناه إن نور الشمس هو على صفة واحدة فيضرب في الزجاج المتلون فيعكس فيظهر فيه ألوان ما عليه الزجاج في رأي العين والنور فب عينه ما تغير، فافهموا المثل فإنه قد جل، وكذلك التحول والتمثيل فاعلمه وهو المشار إليهما بقوله

"ص" أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، فهو المستفيد لتوحيده المقيّد.

فبوجهه الذي يلي عالم الحكمة كان يظهر للرسل عليهم الصلّاة والسّلام ويلقي أيّ القوّة الجبروتيّة إليهم الوحي من الشعائر والشرائع لمصلحة سكان عالم الحكمة.

فينطلق للرسل لسانان، لسان الموعظة ولسان المجادلة، تبيّن لنفوس خامرها الإباء والإستغصاء حتّى تقيّ إلى أمر الله فتحوي كلمة الدّعوة عليهم فعلى هذا المعنى إذا قول مولانا أمير المؤمنين "مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربه" وهي فصل الخطاب، "كَانَ مَنْ عرف نفسه عرف غيبه وَمَنْ عرف غيبه فقد عرف غيب الحقّوما فيه من الملائكة والعلوم والعرش والكرسي والقلم واللّوح، قيل العرش عقل ونفس وهباء وجسم، والجملة اليوم أربعة وغدا ثمانية وهم: اسرافيل وآدم وهما للصّورة وجبريل ومحمّد وهما للأرواح، وميكائيل وإبراهيم وهما للرزاق، ومالك ورضوان وهما للوعد والوعيد، وَمَنْ عرف غيب الحق عرف جبريل، ومن عرف جبريل عرف حَمَلَة العرش وَمَنْ عرف الحَمَلَة عرف الأسماء والصفّات بقدر استعداده.

ويُعرف كل ذلك بوجهه الذي يلي عالم الغيب. ومن عرف وجه نفسه الباطنة الذي هو عالم الشهادة عرف نفسه الظاهرة وَمَنْ عرف نفسه الظاهرة عرف شهادته ومن عرف شهادته عرف شهادة الحقّ وما فيها من المكوّنات، ومن عرف المكوّنات عرف الأخلاق، ومن عرف الأخلاق عرف آدم عليه السّلام والصلّاة من الله عزّ وجلّ، ومن عرف آدم عرف النبي الأميّ عليه السّلام ومن عرف النبي الأميّ عرف سائر الأنبياء، ومن عرف سائر الأنبياء عرف الله عزّ وجلّ.

ينبوع الوجود ومفيض الخير والحياة والحاصل: إنّ مَنْ عرف نفسه حقّ معرفتها لا يخفى عليه شيء لا في الأرض ولا في السّماء ولا يجهل شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة سوى الأمور التي تتعلّق بظاهر الدنيا فلا يعرف أكثرها ويجهل أغلبها، كما روي عن النبي في حديث "تأبير النخل" أنّه قال: "ما أرى ترككم تأبيره مضرّة تحصل له، فتركوا تأبير النخل ففسدت ثماره فقالوا له يا رسول الله فسدت الثمار، فقال لهم أنتم أعلم بأمر دنياكم وأنا أعلم بأمر ديني".

فكانوا أعلم بهذه ولم يَدَّحْ ذلك في كون الرسول "ص" أعظم قدراً من كل البشر فكذلك حكم من عرف الله، أما بعد، معرفة نفسه بالصورة أو بالنقيض أو قبل معرفة كل شيء، فإنه لا يلزم أن يكون له التقدّم في كل شيء وفي كل مرتبة فإنّ نظر المقدم إلى التقدّم في رتبة المعرفة بالله عزّ وجلّ هناك مقصدهم ومطلبهم، وأما حوادث الأكوان فلا تعلق لخواطرم بها، وكذلك في ترجيح رسول الله، رأي الفاروق على رأي الصديق في قصّة أسارى بدر وهي مشهورة.

مع إنّ "الصديق" أفضل منه ولم يَدَّحْ ذلك في كونه ترجّح عليه الفاروق فمهما اطلع الإنسان على هذه الموازنة التي بين الإنسان وبين الحقّ والعالم انكشفت له سرّ قوله "ص" إنّ الله خلق آدم على صورته وبينّ قوله: "كنت سمعاً وبصرة..." "الحديث" ولما كان باطن الإنسان على صورة حقائق الأسماء الإلهية من الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام.

قال تعالى: "كنت سمعاً وبصرة..." ولو كان ظاهر جسم الإنسان على صورة الحقّ لقال: "كنت عينه وأذنه ففرّق بين الصورتين، فصورته الظاهرة من حقائق العلم وصورة، وصورته الباطنة على صورته تعالى، وسيأتي تفصيله إنشاء الله إن شاء الله تعالى. والمراد بهذه الصورة "الصورة المعنوية" وهي إشارة إلى المضاهات التي نكرناها، فقل ما ذكر، ليس غيرك يا عين الوجود فافهمك نك من أهل الشهود.

ويرجع الجميع إلى الذات والصفات والأفعال، إذ إليه يرجع الأمر كلّ كشفاً وحقيقة.

فانظروا إخواني إلى حقيقة ذات النفس الإنسانية وصفاتها وأفعالها لتتكشف لكم هذه المضاهات المذكورة في الحديث النبويّ ولولاها لم يقدر الإنسان على الترقّي من معرفة نفسه إلى معرفة ربّه، ولولا إنّ الله تعالى جمع في الإنسان ما هو مثل جملة العالم حتّى كأنه نسخة مختصرة منه، وكأنه ربّ في عالمه متعرف لما عرف العالم ولا لتصرف الإلهي ولا الربوبية العالم حضرة الربوبية. وحضرة الإلهية ولنت من جملته.

ولهذا يقال: الكامل يرى الكون كلّ ويرى السدرة عنده وجملة الكون، ولا الفعل ولا العلم ولا الإرادة ولا القدرة ولا سائر الصفات الإلهية... فصارت النفس

بمضاهاتها وموازنتها مرقاة ربها، فحقيقة ذاتها قائمة بذاتها ليست بعرض ولا جسم ولا هي متحيزة ولا تحل المكان والجهة ولا هي متصلة بالبدن والمالم، ولا هي منفصلة عنه ولا هي داخلية في أجسام العالم والبدن.

ولا خارجة عنه وهذه كلها صفات ذات الإله تعالى وتقدس ولا توجب المثلية لأن الإشتراك في السلوب لا يوجب الإشتراك في الماهية لأن كل ماهيتين مختلفتين بسيطتين فلا بد وأن يشتركا في سلب، كل ما عداهما عنهما، وأما الصفات، فقد خلقت فيه عالمة مريدة قادرة سمعية بصيرة متكلمة. والله تعالى كذلك، وأما الأفعال فمبدأ فعل الإنسان هو إرادة يظهر أثرها أولاً في القلب فيسري منه أثراً بواسطة الروح الروحاني الذي هو بخار لطيف في تجويف القلب إلى الدماغ فيسري منه أثراً إلى الأعصاب إلى أوتار، الرباطات المتعلقة بالعضل فتجذب الأوتار فتحرك بها الأصبع فيتحرك بالأصبع القلم والعلم والقلم المداد مثلها فتحدث منه صورة على القرطاس بما يريد كتابته على الوجه المتصور في خزانة التخيل فإنه ما لم تتصور في خياله صورة المكتوب أولاً لا يمكن إحداثه على البياض ثانياً، ومن استقرى أفعال الله تعالى وكيفية إحداثه النبات والحيوان على الأرض بواسطة تحريك السموات والكواكب وذلك بطاعة الملائكة في تحريك السموات علماً إن تصرفنا في عالمنا أعلى أبداننا، يشبه تصرف الحق تعالى في العالم الأكبر، وهي مثله وانكشف لنا إن نسبة شكل القلب إلى تصرفنا يشبه العرش ونسبة الدماغ نسبة الكرسي والحواس كالملائكة الذين يطيعون طيعاً ولا يستطيعون خلافاً والأعصاب كالسموات والقدرة في الأصبع كالطبيعة المسخرة الذكورة في الأجساد، والمداد كالعناصر التي هي أمهات المركبات في قبول الجمع والتركيب والنفرة ومرة التخييل كاللوح المحفوظ فسبحان من أوجد وجوده وصمد فردانيته في وجوده عند التجلي الذاتي والكشف الوجودي، فرأى في ذلك التجلي نفسه بنفسه وعاد العدد إلى ابنه فأول كمال الإنسان هو معرفته ربه بربه، فمن عرف نفسه بهذه الأحوال والاعتبارات عرف ربه بجميع الأسماء والصفات ومن جهل هذه الإمتيازات والنسب والإضافات جهل حاله ووقته ومقامه ونفسه ووجوده وموجدته ومشهوده ومعبوده.

والجهل لسمان: جهل حقيقي وهو المطلوب لأنه جهل لا ضد له.. وهو أن يجهل ما سواه تعالى لإستغراقه إياه تعالى وذلك هو يقين سرمدى وهو من جملة

الشهود الحق إذ ليس لغيره تعالى ثبوت ولا وجود ولا نور أصلاً.. فالمعرفة هي وجود جهل الإنسان عند قيام علم الله.. فهو العارف وهو المعروف فالإنسان جاهل به من حيث عينه وعارف به من حيث "هو.. هو"

فالمعرفة هي المعرفة بالجهل الحقيقي الذي لا ضد له وهو فقد ما سواه في الشهود هذا..

وأما العلم الذي لا ضد له فهو شهود الوجود ولا ضد للوجود عند أهل الشهود.. فإن قيل العدم ضد الوجود.. قلنا: الوجود الذي العدم ضده. هو الذي تقول الأفكار إنه عرض للماهية وذلك عندهم عرض للماهية وذلك عندهم عرض فضده عدم عروضه وأما ما يفهمه أهل الشهود والكشف من الوجود فهو الذي يشتمل الثبوت أيضاً بكل اعتبار فيدخل فيه العدم الإضافي..

لأنه موجود في ذهن.. وأما العدم الصرف: وهو ما لا كان قط ولا يكون أبداً ولا دخل في ذهن فذاك لا يقال له ذاك إذ لا حقيقة هناك تستحق أن يُشار إليها بوجه فكيف يستحق أن يثبت حتى يكون ضدًا للوجود.. هذا باطل..

والقسم الثاني من الجهل وهو الذي ضله العلم وهو حجاب لأنه عدم إدراك ممن شأنه أن يدرك وهو عدم العلم بالحق.. مع اعتقاد نقيضه وهو الجهل بالجهل نعوذ بالله منه وهو عدم وجود سر شهود "كان الله ولا شيء معه.." على اعتقاد نقيضه لأن صاحبه يثبت لنفسه وجوداً مع وجود الحق تعالى وهذا هو الجهل المركب والغرور والحمق وهو الذاء العضال أعني الأطباء وعجزوا عن معالجة حتى قال عيسى عليه السلام: كل داء ذابيته إلا الأحمق فإنه أعيانى وهاهنا إشارة عرشية: وهي أن حقيقة الإنسان التي هي خاصيته التي بها تمت الخلافة والإمياز عن سائر الموجودات هي نور إلهي وجودي ذاتي وحداني بسيط..

لا يوصف بالشهادة وهو المشار إليه بقوله "صلعم" فيما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري "رض.." "إنه قال سألت رسول الله "ص" عن أول شيء خلق الله تعالى قال "ص" وهو نور نبيك يا جابر خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شيء

وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق العرش من قسم.. وحملة العرش من قسم وخزانة الكرسي من قسم.. وأقام القسم الرابع في مقام الحب.. اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام:

فخلق "القلم" من قسم "واللوح" من قسم "والجنة" من قسم وأقام بعدها القسم الرابع بمقام "الخوف" اثني عشر ألف سنة.. ثم جعله أربعة أجزاء فخلق "الملائكة" من جزء وخلق "الشمس" من جزء وخلق "القمر والكواكب" من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام "الرجاء" اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء.. فخلق "العقل" من جزء.. "والعلم والحلم" من جزء "والعصمة والتوفيق" من جزء.. وأقام الجزء الرابع بمقام الحياة اثني عشر ألف سنة ثم نظر إليه فترشح النور عرفاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله من كل قطرة روح نبي أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة..

فالعرش والكرسي من نوري.. والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نوري.. والجنة وما فيها من النعيم من نوري.. وملائكة السبع سماوات من نتائج نوري.. ثم خلق الله اثني عشر ألف حجاباً فأقام نوري وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة.. وحجاب السعادة.. وحجاب الهيبة وحجاب الرحمة وحجاب السكينة.. وحجاب الصبر.. وحجاب الصديق.. وحجاب اليقين.. فتباد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة..

فلما خرج النور من الحجب ركبته الله في الأرض فكان يضيء منها ما بين المشرق والمغرب كالسراج في البيت المظلم ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور وقد روي: أيضاً عنه "صلعم" قال: أول ما خلق الله "القلم" وأول ما خلق الله اللوح "الحديث".. إلخ.. معناه إن الله اقتطع قطعة من نوره بسيطة لا صورة فيها أي أوجد العالم وجود شبح فسوى لا روح فيه فكان كمرأة غير مجلوة.. ومن هذا.. كلام الشيخ الأكبر ومن شأن الحكم الإلهي إنه ما سوى محلاً إلا ولا بد أن يقبل روحاً.. إلهياً عبر منه بالنفخ فيه..

فكانَ القلمُ الأعلى كالشَّيْخِ المَسُوَّى.. أي المَسْتَعَدَّ لأن يَظْهَر فيه رُوح بَخصُّه..
وَتِلْكَ الرُّوحُ هِيَ اللُّوْحُ المَحْفُوظُ والحِكمُ الَّذِي يَتَعَيَّنُ فِي القَابِلِ نَفْسَ حَصولِهِ فِي تِلْكَ
الحَالَةِ وَهُوَ تَقَدَّرَ إِلَهِي هُوَ المَسْمِيُّ بِالنَّفْخِ وَلَيْسَ إِلَّا حَصولُ الإِسْتِعْدَادِ لِقَبُولِ التَّجَلِّي
المَسْمِيُّ نَفْخًا وَتِلْكَ هِيَ تَجَلٍّ دَائِمٌ لَمْ يَزَلْ وَمَا بَقِيَ إِلَّا قَابِلٌ.. والقَابِلُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنْ
فِيضَ اللهُ رَحْمَةً إِبْجَادِيَّةً فَالْأَمْرُ كُلُّهُ ابْتِدَاؤُهُ مِنْهُ وَإِلَيْهِ انْتِهَاؤُهُ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ.

التشبيه (الثاني)

فِي بَيَانِ ظَهْورِ نُورِ (الْحَقِّ فِي) الْعَالَمِ (الْأَكْبَرِ) وَالْعَالَمِ (الْأَصْغَرِ) وَتَرْتِيبِهِمَا وَمَرَاتِبِهِمَا

اعلموا إخواني: أطلعكم الله على أنوار وجوده وأوقفكم على أسرار وجوده
إِنَّ الْحَقَّ تَعَالَى لَمَّا قَالَ مَنْ الحَضْرَةُ الذَّائِئَةُ بِلِسَانِ حَالِ ذَاتِي لِنُورٍ مِنْ أَنْوَارِ قُدْسِهِ
نُورٍ وَاحِدٍ بَسِيطٍ لَا يُوَصَّفُ بِالنِّهَايَةِ "كُنْ" أَوَّلًا لَا آخِرَ.

حَصَلَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ "كُنْ" تَعَيَّنَ فَقَطْ لَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لِحَقِّقٍ فِيهِ الْأَوَّلِيَّةُ..

وَلَوْ كَانَ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ حَقِيقَةِ ذَلِكَ التَّعَيَّنِ لَكَانَتْ الْأَوَّلِيَّةُ لِإِحْدَاهُمَا دُونَ الْآخَرِ
أَوْ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَوَّلًا فَيَكُونُ الْقَوْلُ مِنْهُ تَعَالَى لِإِثْنَيْنِ لَا لِوَاحِدٍ.. فَإِذَا مَا
حَصَلَ لِذَلِكَ النُّورِ إِلَّا تَعَيَّنَ فَقَطْ. لَكِنَّ حَقِيقَةَ الْأَوَّلِيَّةِ تَسْتَدْعِي آخَرَ وَإِلَّا لَمْ تُحَقِّقْ
الْأَوَّلِيَّةُ وَلَا بَدْءٌ مِنْهَا لِيُظْهَرِ حَكْمُ "كُنْ" فَحَصَلَ لِذَلِكَ النُّورِ بِالتَّعَيَّنِ الْمَذْكُورِ أَنْ يَتَمَيَّزَ
عَنْ بَقِيَّةِ الْأَنْوَارِ وَإِنَّ فِيهِ قَابِلِيَّةً لِلظُّهْورِ بِصُورَةٍ ثَانٍ يَكُونُ لِأَوَّلِيَّةِ ذَلِكَ آخَرًا كَمَا
قُلْنَا..

فَتَعَيَّنَ ذَلِكَ تَعَيُّنًا آخَرَ فَكَانَ كَوْنٌ آخَرٌ غَيْرُهُ.. فَسُمِّيَ النُّورُ فِي مَرْتَبَةِ التَّعَيَّنِ
الْأَوَّلِ قَلَمًا أَعْلَى وَسُمِّيَ هُوَ بَعِينَهُ فِي مَرْتَبَةِ التَّعَيَّنِ الثَّانِي "لَوْحًا" مَحْفُوظًا لَكِنَّ
التَّعَيَّنَ الْأَوَّلَ الَّذِي هُوَ الْعِلْمُ الْأَعْلَى.. شَهِدَ فِي قَوْلِ.. الْحَقَّ تَعَالَى لَهُ "كُنْ" أَوَّلًا لَا
آخَرًا.. بِمَعْنَى تَهَيُّأٍ لظُهُورِ اللُّوْحِ مِنْكَ.. فَقَالَتْ ذَاتُهُ بِلِسَانِ الْحَالِ سَمْعًا وَطَاعَةً..

فَإِنَّ الْقَوْلَ فِي تِلْكَ الْمَرَاتِبِ لَيْسَ إِلَّا بِلِسَانِ الْأَحْوَالِ.. فَقَوْلُ الْحَقِّ لَهُ تَهَيُّأٌ.. هُوَ
الْمَعْنَى الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ بِإِنَّهُ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ.. فَكُتِبَ أَوْ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبِلْ وَأُدْبِرْ فَادْبِرْ
فَقَالَ تَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا هُوَ أَكْرَمُ عَلَيَّ مِنْكَ فَبِكَ أَخْذُ وَبِكَ
أَعْطِي.. فَتِلْكَ التَّعْبِيرُ مِنْهُ هُوَ قَبُولُ صُورِ الْعَالَمِ..

ويرى معنى ذلك التهيؤ المذكور في اللوح المحفوظ.. فكانت تهيئته.. تسوية أخرى فقبل اللوح بهذه التسوية المختصة به روحاً.. هي مادة الجسم قبل صورته فسميت كتابة معنوية من ذلك القلم الأعلى في اللوح المحفوظ.

ثم ظهرت حروف تلك الكتابة جسماً فكانت هذه الكرات وهي أكران خصلت كلها من معنوية قوله وتعالى "كن" .. وبمعنوية "كن" حصل المدد من القلم الأعلى أيضاً مستمر أكان اللوح المحفوظ يقله في ذاته ثم يترسل من ذاته في ذات المادة المذكورة.. فلما حصل لتلك المادة الجمود الذي به صارت أجراماً جسمية اقتضى اليبس الحاصل لها من جهة.. الحقيقة الجسمية أن لا تقبل تلك المادة في ذواتها كل ما بل مقدار ما يدوم لها وجودها به فقط فبقي ما في المدد..

يطلب النفوذ في حقيقة الجسم فمنعه الجسم ذلك لجموده فظهر المدد بقوته فأدرا الأفلاك ومخضها مخضاً فاندفع منها كل جزء إلى مشابهه..

فأخذت كل كرة ما ناسبها وبقي الثقل السخيف فاندفع إلى الوسط كما استدارت عليه الأفلاك فكانت منه الأرض لكن الأرض لما اندفعت إلى حقيقة الوسط استصحب بعض اللطائف وهي كثيفة فاقتضى الحال أن يفصل منها ما يلائمها ما هو أقرب إلى شبهها في الكثافة..

فكانت البحار فتميزت البحار عنها إلا إن الماء وجذ في ذاته ما هو.. ألطف منه فلم يمكن أن يبقى معه فتصعد بخاراً وهو الهواء إلا إن فيه بعض كثافة الماء. فتميز من ذلك البخار ما كان كثيفاً يشبه الماء فدفعته الرياح التي هي في الحقيقة هواء إلا إنها مندفعة فجتمعت ذلك وانكشف الذي يشبه الماء فانضم بعضه إلى بعض فازداد كثافة ألحقته بالماء في الكثافة فنزل أمطاراً فلق أو.. فالتحق بكرة الماء وكان قد انكشف من الأرض بعضها..

فأصاب ذلك البعض من الأمطار ما رأيت واستمر الحال فكلما.. كثف من الهواء بواسطة ما يصعد إليه انعكس أمطاراً.. ثم إن ذلك الهواء رقي منه لطيف إلى سطح القمر من باطن السماء الدنيا وامتد لسخافته ودقته وقرب فلك القمر منه فسُمي نارا لذلك الإمتداد الذي حصل له فحصل في باطن سماء الدنيا أربعة أفلاك

سمّاها الحكماء "ناراً وهواء وماءً وتُراباً.." هذا ومَدَّ القلمُ الأعلى متّصلٌ.. وكلّما اتّصلَ دوران الأفلاك..

وكانت في الأفلاك أجزاء هي أصغى جوهر في الجُسيمية من بقية الأجسام الفلكية فكانت هي الكواكب وبصقَاء جوهرها صارت لها أشعة.. فوقعت الأشعة على سطح الأرض وسطح السماء فأثّرت في الماء فصعد البخار من البحار وأثّر في التراب تسخينه فقط.. فسرت حرارة ذلك المذمّم أودعه الله في القلم الأعلى.. فتكوّن في باطن الأرض أكوان أربعة أكتفها الجماد المعدني فتحرّكت المعادن بالحركة الإبداعية في بطن الأرض ومنعتها الكثافة أن تشق الأرض وتخرج منها.. إلّا النار.. والكون الثاني في النبات فإنه تكوّن تحت الأرض ولم تكن فيه كثافة المعدن ولا بلغ من اللطافة ما يفضّله عن الأرض.. فشق الأرض وخرج إلى الهواء.. لكن بقي رأسه في الأرض فاغتنى برأسه منها وجسمه كلّ في الهواء.. والكون الثالث: وهو "الحيوان" فإنه تكوّن في بطن الأرض وتحرك فيه كما تحرك المعدن والنبات بالحركة الإبداعية.. وزاد على النبات بأنّه شق الأرض كما شقّها النبات..

وخرج منها كما خرج النبات وحصلت له زيادة.. وهي الانتقال من مكان إلى مكان فوق سطح الأرض وتخلّص رأسه من الأرض لكن مكاً بعد رأسه عنها بل بقي مكبواً منحنيّاً فاغتنى من وجه الأرض وشرب الماء كما شرب النبات.. والكون الرابع.. هو آدم عليه الصلوة والسلام فإنه تكوّن أرضاً تحت الأرض وتحرك كما تحركت الأكوان الثلاثة وزاد عليها إنه تخلّص رأسه تخلّصاً كاملاً فانتصب وانتهى إليه الإيجاد..

فأعطاه القلم معناه وهو لطيفته ألدّ وأكثر المعبر عنها بعبارات مختلفة باعتبارات متباينة. فتارة يعبرُ عنها بالعقل.. وتارة بالرّوح. وهو الذي به يتنفّس كل شيء.. وهو بدء الأسماء الكونية.. وأوّل الخلق وأوّل الأحياء وكل من تنفّس بهذه الرّوح فإنه أصل الحقّة وتارة النفس الناطقة لأنّها القلم.. بالفعل.. ولمّا كان القلم الأعلى إنّما هو قلمٌ لأنّه كاتبٌ والكتابة نطق كان الإنسان هو القلم الأسفل فكان ناطقاً كنطق القلم الأعلى إلّا إنّ القلم الأعلى نطقه معنوي باطني..

وَكَانَ الْإِنْسَانُ فِي آخِرِ السَّلْسَلَةِ الَّتِي بَيْنَ جِسْمِهِ وَبَيْنَ الْقَلَمِ الْأَعْلَى فَكَانَ مُقَابِلًا لِنَطْقِ الْمُقَابِلِ لَهُ فَكَانَ نَطْقُ الْمُقَابِلِ مُعْنَوِيًّا .. فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ نَطْقُ الْإِنْسَانِ لَفْظِيًّا فَنَطْقُ بِالْحَرْفِ وَالصَّوْتِ ..

إشارة عرشية

وَهِيَ إِنَّ الْقَلَمَ الْأَعْلَى أَشْرَفَ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ أَكْمَلَ مِنْهُ وَنَلَيْكَ إِنَّ الْقَلَمَ الْأَعْلَى فَصْلٌ مَا ضَمِنَهُ. فَكَانَ ذَلِكَ التَّفْصِيلُ هُوَ الْإِنْسَانُ فَالْإِنْسَانُ هُوَ الْقَلَمُ بِوَجْهِ أَكْمَلَ وَالْقَلَمُ هُوَ حَقِيقَةُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، لَكِنْ بِالْقُوَّةِ. وَالْإِنْسَانُ هُوَ حَقِيقَةُ مَا بِالْقَلَمِ وَلَكِنْ بِالْفِعْلِ فَالْإِنْسَانُ هُوَ الْقَلَمُ بِالْفِعْلِ كَمَا كَانَ الْقَلَمُ إِنْسَانًا بِالْقُوَّةِ، وَلَسْنَا نَعْنِي بِالْإِنْسَانِ هُنَا صُورَةً مُعَيَّنَةً، ثُمَّ أَعْطَاهُ اللَّوْحَ الْمُحْفُوظَ حَقِيقَةً وَهِيَ نَفْسُهُ الْعَاقِلَةُ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَفْعَلُ الْكِتَابَةَ وَهِيَ الْعُلُومُ وَأَعْطَى حَقِيقَةَ الْمَادَّةِ وَصُورَتَهُ الْجِسْمِيَّةَ، وَحَقِيقَةَ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ "النَّارُ، وَالْهَوَاءُ، وَالتُّرَابُ، وَالْمَاءُ .." ذَلِكَ هِيَ الصِّفَرَاءُ الَّتِي فِي جِسْمِهِ ..

الْمِثَابَةِ لِلنَّارِ فِي الْحَرَارَةِ وَالْيَبُوسَةِ وَالْدَّمُ الَّذِي هُوَ بِمِثَابَةِ لِلْهَوَاءِ فِي حَرَارَتِهِ وَرَطُوبَتِهِ، وَالْبَلْغَمُ الَّذِي هُوَ مِثَابَةٌ لِلْمَاءِ فِي بَرُودَتِهِ وَرَطُوبَتِهِ وَالسُّودَاءُ الَّتِي هِيَ مِثَابَةٌ لِلشَّرَابِ فِي بَرُودَتِهِ وَيَبُوسَتِهِ. وَفِيهِ مَا يُشَابُهُ الْمَوْلَدُ مِنْهَا وَهِيَ الثَّلَاثَةُ، فَفِيهِ الْعِظَمُ كَالْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتُ كَالشَّعْرِ وَالْحَيَوَانَ كَجِسْمِهِ الْمَحْسُوسِ فِيهِ صُورُ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ مُجْمَلَةٌ، وَأَمَّا مَا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمَعَانِي وَالصِّفَاتِ فَلَا نِهَايَةَ لَهَا ..

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَوْ تَقَصَّيْنَا آثَارَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمُسَمَّاةِ "الْإِنْسَانِيَّةَ" تَتَبَعْنَا خُصَائِصَهَا وَصِفَاتَهَا، وَشُؤْنَهَا وَأَطْلَقْنَا عَلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ أَلْقَابًا وَأَسْمَاءً لَمَّا وَسَعَهَا مَجْلَدَاتٌ وَهِيَ كَلِمَةٌ مِنْ كَلِمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي تَنْفِذُ الْبَحَارَ وَلَا تَنْفِذُ وَهِيَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى "وَلَوْ إِنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتِ اللَّهِ.." "وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ قَطْرَةٍ لَا تَتَجَاوَزُ أَنْ تُكْتَبَ مَعْنَى نَفْسِهَا مِنْ جِهَةٍ إِنَّهَا كَلِمَةٌ مِنْ كَلِمَاتِ اللَّهِ فَإِذَا لَوْ تَضَاعَفَتْ الْبُحُورُ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ لَمَا تَجَاوَزَ قَطْرُهَا حَدَّ أَنْفُسِهَا، مِنْ جِهَةٍ أَنَّهَا كَلِمَاتٌ.

وَالْوُجُودُ نَفْسُهُ رَقٌّ مَنَشُورٌ، وَالْمَوْجُودَاتُ بِهِ كَلِمَاتٌ مَكْتُوبَةٌ وَالْإِنْسَانُ مِنْهَا كَاتِبٌ مَكْتُوبٌ وَقَدْ عَبَّرَ أَيْضًا عَنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ بِالْمَفِضِ الْأَوَّلِ وَالْمَمْدُ الْأَوَّلُ وَالْمَعْلَمُ الْأَوَّلُ وَالْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ. وَالرُّوحُ الْكَلْبِيُّ وَالْإِنْسَانُ الْمَعْنَوِيُّ

والإمام المبين والكتاب المخصّص فيه كل شيء واللوح المكتوب فيه من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء ومرآة الحق ومركز دائرة الكون والكلمة الكبرى الجامعة الفاصلة..

وبالجملة هو مجمع الحضرات الأسمائية وحقيقة الحقائق، والمرتبة الجامعة بعد ترقّيه إلى الحضرة التي هي حضرة الحضرات وهو المستحق أن يكون موصوفاً بصفاته تعالى فهو حيّ عالم مريد قادر سميع بصير متكلم إذا قد ظهر الحق تعالى من ظهوره بهذه الأسماء ظهوراً بالفعل فإن شئت أن تجعل الحقيقة هي حياته وعلمه وإرادته وقدرته وظهوره وسمعه وبصره..

بمقتضى قوله تعالى "كنتُ سمعه وبصره" الحديث وإن شئت فاعكس فيه رأي وسمع" الجزئيات وكان ولا شيء معه، حين فني بالذات بمقتضى قوله تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى.. "ومن باب "جئت فلم تطعمني" ونحو ذلك، وتلخيص هذا كله إن الحق تعالى توجه إلى الإيجاد توجهها واحداً فأخذت الممكنات أعني المقدورات قبل تصرف القدرة فيها تتعين في وجوده تعالى من حين ذلك التوجه مبدياً أولاً ويعلم وإلى أن يشاء الله في المستقبل وذلك التعيين..

يتفضل في وجوده أبداً تتعطف فيه أسبابه على مسبباته ومسبباته على أسبابه. ومعلولاته على غلله، وغلله على معلولاته ويتساوى في الإسناد إليه تعالى السابق والمسبق. واللاحق والملحوق وهو واحد للجميع تلقاه كل ممكن باستعداده فقبل منه ما يليق بامداده... فإن قيل: فالممكن القابل قبل الوجود كيف يتحقق في الشهود، قلنا: هي قوى في الجود، الإلهي لا "هو" غيره..

بعد كونه ولا هي غيره قبل كونها، مثاله المعلوم في العلم، وقولنا: أيضاً إن الممكنات تتلقى الوجود باستعدادات متفاوتة وغير ذلك مجاز للتقريب من الأفهام وإلا فإن القابل قوة في المقبول. والتوجه الوجداني إلى الأول الذاتي والإرادة مع وحدانيته أعطى كل شيء خلقه ثم هدى حتى استوفى حقه. ومن جملة هذا الإعطاء تفاعل الجزئيات بعضها في بعض فيعتقد المحجوب إن الجزئيات هي التي فعلت وانفعلت ولا والله بل بالنور الأول الواحد هوذا يتفضل..

تلويح لوصي

وهو إن الغلط الواقع على المحبوبين هو من اعتقادهم خلاف الواقع فإن الفعل الحقيقي وهو المصدر يُسمى مفعولاً مطلقاً عند النحاة، فالعالم هو كذلك مفعول مطلق لله تعالى فمن جعله مفعولاً به حقيقة وقع في الشرك الخفي بل والجلي..

فإذا العالم بأمره علوية وسفلية روحانية وجسمانية. طبيعية ومعنوية. بسيطة وتخطيطة مفعول مطلق بالنسبة إلى الله تعالى، وأما باعتبار نسبة بعضه إلى بعض ففيه المفعول به والمفعول فيه والمفعول من أجله والمفعول معه وغير ذلك من الإعتبارات.

وفعل الله وحداني للجميع فهي كلها ليست غير حركة إيجاده، فهي.. كلها حركة لا غير بالنسبة إليها وبالنظر إلى بعضها عند بعض ففيها الحركة والمتحرك والمحرك وأنواع كثيرة..

والممكن في ذاته هو فعل من أفعال صفة للمخلوق وهذا هو الحق الواضح في مقام شهود الأسماء وأما في الحضرة الذاتية.

فهو صفة الأعيان الذاتية من جهة إنها صور العلم الأزلي الإلهي من حيث لا تغاير الصفة الموصوف لأنه ليس شيء خارجاً عن الذات فأما كونه صفة للحق تعالى فإن الامكان منه يشتق له الفعل الذي هو أمكنه. يمكنه. إمكاناً كما تقول، يمكنك أن تفعل كذا أي لا تقدر عليه..

وأما كونه صفة للأعيان الثابتة فمعناه إن حال المقدور مثلاً هو الذي أمكنك من نفسه حتى فعلت إيجاده وإيجاد صفاته. إلا إن القابل في التحقيق هو الفاعل في التحقيق هو الفاعل لفعالية الفاعل ولجميع مما يصدر من الفاعل من الأفعال.. فإذا حصول التسوية من الله تعالى لكن بالعين الثابتة والتسوية الحاصلة مع الفاعلة في الفاعل للنفع.. أن ينفع النفخ الذي به يحصل المقبول للقابل وإنما ظهر الممكن من جهة سلب القدمية عن الوجود الإلهي فهو واجب بالغير أعني أن كل ما في الإمكان لا بد أن يظهره الحق تعالى في الوجود فهو في نفس الأمر واجب. إلا أن بغيره لا بنفسه باعتبار أحادية الجميع.. إذ الأعيان الثابتة هي معلومات الذات والمعلوم مع

العلم في الذات.. وعلمه تعالى ليس مغايراً لذاته فليس إلا هو فإذا لا واجب غيره ولا ممكن سواه فإن الوجود الواجبي الإلهي قدر شامل لجميع أشئآت المجرودات والأعيان كلها باعتبار إن لها نوعاً من الثبوت والثبوت لا يكون منسوباً لغيره في الوجود. فالذي يقع في الإشتراك نظر المحقق ليس إلا الوجود وهو واحد وليس معه غيره..

فمن عرف وحدانية الوجود عرف إن نفس رؤيته نفسه.. هو عين رؤيته ربّه تعالى.. وقد قال ص: "المؤمن مرآة المؤمن" فمعناه.. إن وجود الحق تعالى كالمرآة يظهر فيه نفس المشاهد وذات المشاهد كالمرآة تظهر فيها أسماؤه تعالى فإذن المشهود لا يكون إلا للوجود أو لمعانية وهي الأعيان الثابتة المذكورة التي هي صور عليه تعالى.. وأنما (العلم المخصص): وهو لا شيء من كل وجه فلا يشهد ولا عنه عبارة إلا مجازاً للضرورة.. وها هنا تلويح لوحى آخر..

تلويح لوحى آخر

وهو إن المعارف ظلال صور.. الموجودات تثبت في صقال مرآتية النفس عند المقابلة الصحيحة..

وتحقيق بقوة الإشراف وعنده تكون صحة الإدراك وليست في الخارج عن الذهن.. وإنما هي أمثلة الوجود الخارجي وتفهم من الألفاظ بحسب الإصطلاح. فحقيقة المعاني وجود ظلى لطيف وهو في الحقيقة تبع لذي الصورة. فلا صورة إلا لمعنى..

ولا معنى إلا تبع لصورة. وكل معنى لا يتبع صورة حقيقية فليس بمعنى ولا يجوز إطلاق المعنى إلا مجازاً أو توهماً إذا فهم هذا.. فنقول: حقيقة الوجود البسيط تطور إلى الجسم.. وكمل بعد الجسمية كحالات كثيرة حتى بلغ إلى هذا الطور الأكمل المسمى بالإنسانية وليس هو الجسم

بل الجسم صورة من صورة معين على بلوغه كحالاته بقواه الظاهرة والباطنة فإذا انفصل عن الجسم انفصل علماً بمروره على الأطوار المركبة التي تتركب فيها وإنما يعلم ذاته ولم يحتج في قوامه لذاته إلى الجسم لحصول العلم له من

ذاته وبعبارة أخرى: هو ذات وجود جزئي باختصاصه بالجسم فإذا فارق الجسم عالماً قُرب عن أن يكون محيطاً بكثير لا يحصى بشيء ولا يقف عند جزء وبعبارة أخرى: هو وجود نشأ مع الجسم قليلاً.. قليلاً وكَمَل به وفيه ومنه. وليس بجسم كثيف ولا تظن إن قوة في جسم فيصعب عليك بقاء القوة بعد فناء القوى بها وإنما هو وجود علمي روحاني بالذات من طبيعه أن يحرك ما سواه بحركته وليت حركته كحركة الأجسام من كل وجه.. وبعبارة أخرى: هو جوهر بسيط كَمَل بتردده في الأطوار فعلم ذاته بكماله.

وأدرك تنوع المعلومات وإختلاف تطوراته وأحواله.. وبعبارة أخرى هو جوهر الوجود البسيط اتصل بصورة الجسم.. معناه كان جسماً طبيعياً على غير كمال فيه بالقوة بل كان فيه أول كمال حيواني وهو الحس والحركة وقبل ذلك هو للنمو وجمع القوة الطبيعية حتى كان هذا الكمال.. بالعلم الباقي الذي لا يختص بشيء يبيد ويزيل.. ففارق هذه الصورة العنصرية وترقى عنها مكتفياً بذاته فتحقق جوهره بقوة روحانية.. وبعبارة أخرى..

هو الوجود البسيط كَمَل بالعلم في الجسم. هو لا يدرك بالحواس الجسمانية لطافته وبساطته. وكلما قرب الشيء من الكثافة ناسب أن يعلم ويحاط به ولا يجهل ويقرب من الموات والسفل والحسن والإنفعال وبعبارة أخرى: هو وجود عقلي علمي روحاني بل هو المتكيف بجميعها أدرك ذاته بواسطة الجسم الذي هو آله.

وانفصل عالماً تاماً.. "قوله وتعالى" والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيء" الآية..

فالعقل الفعال أفاض الحياة مع القوة التي أفاضها على جسم الإنسان في أول نشأته.. لكنها إفاضة ساذجة لا علم.. أي الإدراك إلى إيانة ولا يلزم من كون العقل دراكاً في أول النشأة حكمة من الله تعالى "فافهم" فالمفاوض من أول النشأة دراك بالقوة إلى أن يصير دراكاً بالفعل. وهذه نفوس الكمل بتوسطه تلحق بمراكزها وتحن إلى حيزها وتشتغل بالإبتهاج بذاتها ملتزة به عند إدراك شرفها بعلمها هكذا ابداً لإستحالة العدم.

ولأنه بسيط فلا ينفك إنما تنفك المركبات. وقد إنفك مركبه وهو الجسم فبقى
الفرد حماه الله من كدر الأغيار وأعاده إلى حفرة نور الأنوار ولي في هذا المعنى
نظماً:

تذكرت العهد القديم بلعلم	فهفت لمعنى لا يتم لمدعي
وبان لها بان الحمى وإراكه	ولاحت لها الأعمار من كل مطلع
فلا تعد لها قد تبين عزرها	وقد لاح وجد لا يسان ببرقع
أشار لها الإطلاق من حيث ذاته	فهامت بفرد في وجود منوع
فيا نسمات الدوح عن أيمن الحمى	أدبني لنا من نشكر المتطوع
فربما ينفك قيد علانقي	فيسرح طرفي في الجمال الممنع
فلو زالت الأغيار لا إستعان الهدى	ولم لا.. ووجه الحسن غير مبرقع

• واورو رباني:

إعلموا إخواني: أتحنكم الله بموارد الغيوب وألحقكم برداء شواهد القلوب.. إني
لما قمت من أرض الحجاز سنة ٦٨٣هـ وكانت الوقفة يوم الجمعة وكان أمير ركب
النيار المصرية "الباشقردى" وأمير الشام "عز الدين بن عز الدين الكردي" .. إلى
مدينة دمشق "حرمها الله سكنت جبل قاسيون وأخرت مغارة تعرف بـابن
الشام" وجلست فيها على نية الخلوة فارغ من المطعم والمشرب مجموع الهمة متوجهاً
إلى الحق تعالى ذاكراً له بإسم الأعظم وهو الله، لأنه دليل الذات الجامعة للصفات
الالهية كلها لا يشذ منها شئ وسائر الأسماء لا تدل على آحادها إلا على آحاد
المعاني وهو أخص أسمائه تعالى إذ لا يطلقه أحد على غيره تعالى لا حقيقة ولا
مجازاً ولهذا توصف سائر الأسماء بأنها اسم الله وتعرف على كنه المعاني الالهية.
واخص بها. وهو أشهر وأظهر فاستغنى عن التعريف بغيره وعرف غيره بالإضافة
إليه، مستغرق القلب والهمة به لا أرى غيره ولا انتفت على سواه ولا أرجو ولا
أخاف إلا غياه إذ هو الموجود الحقيقي وكل ما سواه فان هالك وباطل إلا به تعالى
وكنت أرى نفسي أول هالك باطل فيبينما أنا ذاكر مثاله في الذكر منتظر ما يرد علي
من خزان جوده وأنوار وجوده وأسرار شهوده.. إذ هتف ويقول يا مسكين هو
القريب منك وأنت البعيد عنه..

هو القريب منك بالعينية وأنت بعيد عنه بوهمة الغيرة. وإنما تطور فيك لتكمل ويكمل فيك لا لتحجب بوهمية التعدد لديك من إدراك حقيقة التوحيد فيك هو عبد كل شيء بجوهر ذاته لا بكيّفته.. إذ الكلية لا تستولي عليه ارجعوها للحصر وإفتقار الحصر إليه لا يحمل أقال التكليف إلا الأساس الأنانية لا يحجبك عن إدراك كمال الوجود فيك إلا إستيلاء سلطان الغيبة عليك لولا ظهورك في الحجاب أما ظهر الحجاب.. فحجابه عند العارف به كنز يطلب عنده فسبحان من ظهر بذاته فأدرک على نبوغ صفاته.

إذا ظهر نور الذات وجدت الأسماء والصفات. ليس شيء، يدم الذات بل بحاكم التوحيد في التحقيق. نظر إلى النسب والإضافات.. التوحيد الوقوف مع الذات بجوهرها والتحقيق المنتهي في وحدانية الذات في أطوارها لو تحققت ذلك لما عدلت عنها طلباً للخارج.. كن معدكاً المعلوم يحققك به من تمسك بعروة التوحيد ماشياً على قانون التحقيق إتسع عليه امجال ولم يعزّه المقال:ما دمت تطلب الوصول إليه فأنت محجوب عنه بتوهم الانفصال منه.. بقاؤك بك عين فنائك.. وفنائك به عين بقائك..

حجبت بصورته عن إدراك حقيقته لولا وقوفك عند حدودك لما تخلفت عن شهودك. تحقق جوهرك وأنعم فيه نظرك ودع أولك وأخرک فبالوڪ الوهمي تقصر عن شهودك وبوقوفك مع آخرک تقع في حصر وجودك. إن اعترضك عارض الشك فاطلبه فيه.. فكل ما يقطعك عنه فهو الباطن. ولا يؤيسك تنكره فهو الظاهر والحق ورائها وهما له مظاهر فسبحان من ظهر في ذات ذلك الحجاب عند المعارف واحتجب فيما به ظهر عن المحجوب عنه"تم الوارد الرباني"

نصيحة:

عليك بالصدق في التوجه إلى الله تعالى من حيث لا يعلم هو نفسه لا من حيثية خاصة ولا على نحو مخصوص فإن العبد إذا توجه إلى سيده بصدق أقبل عليه وتولاه بحفظه وإنما طول المدة للتواريخ.. والمربي قد وقف على كل موطن قد شاهد حقيقة كل مشهد. كي لا ترد الجملة الكلية على الجزء الصغير فلا وجود حينئذ للمحدث في تجلّي القديم.. غهو في كل نفس وحال سار وفيه ذاهب منه إليه.

لا يشاهد سواه ولا يتجلى بغير إياه اسهر باطنه وراح ظاهره فلا نوم ولا إفاقة. وجود في عدم وعدم في وجود.. وحياء في مائة وممات في حياة فهناك تثبت له أول الشهادة. نبقي كل شيء حين لا اله فإن إعتنى به الجنب السني المحمدي"ص"رجع إلى حقيقة المشهود..

فتمت الشهادة ولم يرى إلا الله فسبحان المتطول المنان.. اقتطع قوم إليه فهم بنوره سائرون في العالم الكلي العلوي والجزئي والسفلي..

غائبون عن أعين المتشبهين بهم فلا سبيل إلى رؤيتهم بغير الغناء ولا إلى معرفتهم بسوى أمثالهم وهذه أوائل أحوالهم.. أوانا الله اليه أجمعين بمنه وكرمه.. ولا بد لكل من أراد الخلاص من سر نفسه والفوز بأنوار قدسه من استاذ عارف بوجوده ليوصله إلى مقصوده أو جذبة إلهية من عين جوده تأخذه من وجوده وتفنيه في شهوده عن شهوده ولي في هذا المعنى نظماً وهو هذا. إذا المرء لم يلبس رداء من التسقى على يد أستاذ خبير بنفسه. يريه رعونات النفوس وكيدها. ويشهده المحجوب عنه بحسه. ويبدى له المكنون من سر كونه. وتجلي له الكائنات في خان إنسه. ولم يك مجذوباً على يد قدرة وتحفظه الألفاظ من عين لبسه ويحسن منه الخلق والخلق والرضى ويرفع معناه بإيناع غرسه. فذاك لعمري ناقص الحظ عاجز يريد سبيلاً وهو يأتي بعكسه. أقل مبادي القوم أن تك هكذا ومن جاء بالبهتان راح ببخسه.

(التنبية الثالث) وهو (الخاتمة) في بيان حقيقة العلم.

إعلموا إخواني: أطلعكم الله على خفيات علمه وأشرف بكم على جليات حكمه إن العلم هو إدراك المدرك على ما هو عليه في نفسه إن كان "مماً" يمكن إدراكه. وأما ما يمتنع دركه.. فلا دركه هو دركه.. كما قال العجز عن درك الإدراك هو الإدراك وقال تعالى: "وما قدر الله حق قدره" أي ما عرفوا الله حق معرفته كما قال أبو الحسن النوري..

معرفة حق وهي إثبات الوجدانية على ما برز من الصفات ومعرفة حقيقية وهي ما لا سبيل إليها لامتناع الصمدانية وتحقيق الربوبية.. فالمعرفة تتعلّق من كل معروف بحق وحقيقة. فالحق من مدارك العقول من جهة الدليل والحقيقة من مدارك

الكشف والمشاهدة وليس ثم مدرك ثالث "البته" ولهذا قال حارثه: "أنا مؤمن حقاً" فأتى بالمدرک الأول وكان عنده مزيداً بالمدرک الثاني ولكن سكت عنه.. فقال النبي فما حقيقة إيمانك.. يرى أنه كان عنده المدرک الثاني.. فأجابه بالإستشراق والإطلاع والكشف. فقال النبي عرفت فالزم..

فلا تصح المعرفة بالشيء على الكمال إلا بهاتين المعرفتین.. الحق والحقيقة فإذا أخبر الله تعالى بأننا عاجزون عن إدراك حق قدره.. وليس القدر هاهنا إلا المعرفة بما يقتضيه مقام الألوهية من التعظيم ونحن قد عجزنا عنه فأحرى أن نعجز عن معرفة ذاته تجلت وتعالى علواً كبيراً فلما عاين القوم هذه العظمة والجلال وقدر ما هم بالتقصير.. فعرفوا أنه ليس في وسع المحدث أن يقدر قدر القديم لأن ذلك موقوفاً على ضرب من المناسبة الحقيقية ولا مناسبة فتأهوا في مفاوز الحيرة لهذه العظمة والجلال وقالوا ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته غير زائده على ذاته..

فصار معناه ما ثم إلا الوجود ومعانية وهي المسماة بالمراتب عند قوم وبالماهيات عند قوم. وبالأعيان الثابتة عند قوم. وهي حقائق الموجودات وهي غير مجهولة إذ حقيقة الحق منزهة عن الجهل والتأثر وما ثم أمر ثالث غير الحق والأعيان ولا أثر لشيء في شيء بل الأشياء هي المؤثرة في أنفسها لأن ثم حقيقة مؤثرة في حقيقة غيرها وكذلك ليس شيء يمد شيء غيره بل مدد يصل من باطن الشيء إلى ظاهره والتجلي النوري الوجودي يظهر ذلك وليس الإظهار..

بتأثير في حقيقة ما أظهر.. فالنسب هي المؤثرة بعضها في بعض بمعنى أن بعضها سبباً لإنشاء البعض وظهور علمه في الحقيقة التي هي محتوها ولا أثر للأعيان الثابتة مع كونها مرآة في التجلي الوجودي الإلهي إلا من حيث الظهور المتعدد الكامل في غيب ذلك المتجلي فهو أثر في نسبة الظهور التي هي شرط في الإظهار. والحق تعالى أن يكون متأثراً من غيره وتتعالى حقائق الكائنات أن تكون من حيث حقائقها متأثرة..

فإنها من هذا الوجه في ذوق الكمال عين شؤون الحق فلا جائز أن يؤثر فيها غيره فلا أثر لمرآة من حيث هي مرآة في حقيقة المنطبع فيها والأعيان الثابتة هي

معاني معلومات الله تعالى وهي لا تنتهي كما إن العلم بها لا يتناهي وفي وجود العلم الذاتي الإلهي هي أعيان متميزة وليس كل معنى منها كلها. بل كل معنى منها صوراً جزئياته إلى غير نهاية بقيت تلك المعاني كلها في التمثيل سلاسل وكل كعب من السلسلة مثلاً هو صورة مثالية من صور العلم الإلهي متميزاً ولا شيء فيها يسبق شيء فإن العلم الإلهي..

لا يدخل تحت الزمان ونطاق جزئية الجميع هو من صور العلم الإلهي فالماضي والمستقبل كلاهما للعلم الإلهي حاضراً ..

والتجرد من جملة صور علمه تعالى مفصلاً بأزمنة أزلاً وأبداً .. ولولا إحاطة العلم القديم الأزلي بهذه الممكنات لم يكن لها قبل ظهورها في الأعيان ثبوت لكن العلم المحيط أكسبها وجوداً علمياً أزلياً وأبداً .. فإن العلم الإلهي..

مدرك للماضي الذي وقع منها والمستقبل الذي لم يقع فيها. ولوقوعه إذا وقع مما لا بد من وقوعه ولما يمتنع .. وقوعه منها إذا استمر امتناعه ولما الوجود وقوعه من الممتنع إن لو وقع.

كيف كان يقع .. إدراكاً واحداً ولا يدخل تحت الزمان. بل الزمان وما فيه تحته فعلم الله بالكون إنه سيكون هو عين علمه .. إنه قد كان علماً أزلياً أبدياً .. واحداً لا ينقسم. وإذا كانت نقطة المركز التي لا تنقسم موازية لكل نقطة في المحيط ولم تتكرر بكثرة الموازيات فعلم الله..

أخرى أن لا يتكرر بكثرة المعلومات. والعلم يثبت ثبات المعلوم ويتغير بتغيره والحق تعالى لا يتغير. فالعلم به لا يتغير والعلم تابع للمعلوم وليس له فيه أثر بل المعلوم في العلم أثر فيعطيه من نفسه ما هو عليه في عينه. والعلم لا يعطي المعلوم زيادة في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أحواله. فأحوال .. الأعيان الثابتة لا تتبدل عما غلبت عليه إذ الحقائق لا تتبدل وهي كلمات الله. قال الله تعالى: "لا تبدل لكلمات الله" .. فإذا علم العبد. أي انكشف له من عينه الثابتة وانتقالات الأحوال عليها إلى ما لا يتأها كان علمه بنفسه بمنزلة علم الله به..

لإتحاد المعن. لأن الحق تعالى يأخذ علمه بالأعيان الثابتة منها لأن علمه تابع لمعلوماته. وكذلك هذا العبد إنما يأخذ العلم المفصل من المعلوم وكلمن علمه

صحيح. إنما يأخذ علمه من معلومه.. فإن قيل إذا حصل لعبد من العبيد علم عينه الثابتة وعلم ما يكون عليه في حال الوجود والحق تعالى هو يعلم الأعيان الثابتة منها لأن علمه تابع لمعلومه وكذلك هذا.. العبد إنما يأخذ العلم المفصل من العلم وكل من علمه صحيح إنما يأخذ علمه من معلومه..

فإن قيل إذا حصل لعبد من العبيد علم عينه الثابتة وعلم ما يكون عليه في حل الوجد والحق تعالى هو يعلم الأعيان الثابتة.. أيضاً مثل هذا العبد بعينه فما الفرق بين علم الله وعلم هذا العبد.. قلنا لما سبقت غناية الله لهذا العبد بأن يعلم هذا العلم صار علمه مستقداً والحق تعالى علمه ذاتياً أزلياً أبدياً.. فافترق علم الله تعالى من علم هذا العبد.. وإذا كان العلم السقّاد من وجود المعلوم يسمّى علماً وهو علم العبد.. كيف لا تسمّى الصفة الإلهية التي هي ينبوع الموجودات كلّها علماً..

لا بل الحق أن لا يطلق اسم العلم إلاّ عليها فإن أطلق على غيرها فبالمجاز المحض وبالتوسّع البعيد والإشتراك الصّرف فإن العلم ثمة عين المعلوم والصفة عين الموصوف وليست زائدة على الذات.. فإنّ المعلوم. أمّا ذات كمالها بنفسها.. وأمّا ذات فرض أن جميع ما للكلّي بنفسها.. فلهذا مع الصفات صرّح العقل حاكماً بأنّ الألى أتمّ لعدم إفتقارها في كمالها فالذات المستغنية عن الزّند أتمّ وأكمل من المفتقرة إليها.. فإذا العلم ليس هو إلّا كمال الذات من حيث هي ذات أو هو كمال الوجود من حيث هو وجود ولا يوجب تكثراً..

فإذا الحق تعالى هو المستحق لكلّ كمال غير مكنّ كالحيّاة والعلم والإدارة والقدرة وغيرها من صفات الكمال وهو المعطى لكلّ كماله.. ولا يمكن أن يكون يعطي الكمال القاصر عنه فيكون المستفيد أشرف من المقيد وهذا محال فالعلم إذا إمّا حضور ذات مفارقة في ذات مفارقة أو هو عدم غيبتها عنها وهذا أتمّ لأنّه يعمّ إدراك الشيء لذاته وغيره إذ الشيء لا يحصر لنفسه ولكن لا يغيب عنها. والحق تعالى هو غائب عن ذاته ولوازم ذاته. فهو عالم وعالميته بذاته هي ذاته مع عدم الغيبة والتجرّد وعن المادّة.

وهما سلبيان وهو الوجود البحث والأشياء حاضرة له على إضافة مبدئية تسليطية لأنّ الكل لازم ذاته فلا تغيب عنه ذاته ولا لازم ذاته وعدم غيبته عن ذاته

ولوازمه مع التجرد عن المادّة هو إدراكه تعالى وإذ ليس في الوجود إلا ذاته ولوازم ذاته فهو بكلّ شيء محيط علماً ولا يحاط به علماً.. فإذا العلم الإلهي ليس بصفة زائدة على الذات المقدّسة الإلهيّة ولا هو منطبع في المعلوم لأنّ العدم المطلق معلوم. والعدم ليس بشيء حتى ينطبع فيه شيء. ولا شيء ينطبع في الشيء. ولا العدم شيء ينطبع في شيء وهو أن تعلق أيضاً فإنّه لا يتعلّق الشّيء بلا شيء فالعلم بالله تعالى محال وسواه مجاب.. إذا فهم هذا فنقول العلم أكبر من يحيط به فهم العلماء أو تدركه عقول العقلاء. وبراهين هذا المطلوب كثيره منها قصة موسى عليه السّلام والخضر "ع" تبع جلاله قدر موسى "ع" بما خصّه الله به من الكلام والنبوءة والرسالة والوحي فقد ذكر الله في المحكم الناطق على لسان نبيّه الصّادق "صلعم" عجز موسى عن إدراك علم عبده من عبادته إذ قال سبحانه وتعالى: "فوجدنا عبداً من عبادنا أتيناها رحمة وعلمناه من لدنا علماً.. " حتى سأله موسى "ع" فقال: هل أتبعك على أن تعلمني ممّا علمتُ رشداً. " مع تأييد موسى "ع" وشرفه وعصمته من الإنكار عليه وقال عليه الصّلاة والسّلام "نحن معاشر الأنبياء: "أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم "وهو معنى قوله تعالى "وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً.. " أي خاطبهم على قدر عقولهم فالناس ليسوا في المواهب سواء فلا ينبغي لأحد أن يظنّ إنّه يحتوي على جميع العلوم حتّى يُخطئ برأيه كلام أهل الله تعالى وخاصيّته ويكفرهم ويزيد معهم وهو مقصر عن ممارسة أحوالهم ومنازلة حقائقهم بل لو سُئل أحد من المنكرين عن مجرد إصطلاح القوم الذي تواطؤوا عليه في عباتهم ما عرفه فكيف ينبغي له أن يتكلّم بما لم يحكم أصوله بل كتبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله فلما تحاجّون بما ليس لكم به علم "رُبَّ حامل فقه ليس بفقير" وربّ حامل فقه إلى من هو أفقر منه فربّما صحّ عند القوم من باب الكشف عن قائله صحيحاً والكشف أقوى من الإدراك في الجملة فهو من النقل فما أحسن من سلّم واستسلم واشتغل بنفسه فمن غلط بعلم من العلوم فليسال أهله "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" وكذلك من يقع في يده كتاب من كتب القوم فلا يظنّ إنّه يفهمه ما لم يُسلّم لهم ومن سلّم لا بدّ أن يجني ثمرة التسليم. فقد قيل: "من قعد مع الصّوفيّة يعني أهل الأسرار والحقائق وخالفهم بشيء يتحقّقون منه نزع الله نور الإيمان من قلبه. فعلم الحقائق ثمرة العلوم كلّها ونهاية العلوم فغاية جميع العلوم إلى علم الحقائق فإذا انتهى إليها وقع في بحر لا غاية له. ويقال علم القلوب وعلم المعارف وعلم الأسرار وعلم الباطن وعلم

التصوف والعلوم كلها علوم الله فلا ينكر شيء منها بهذا الاعتبار قال الشيخ الخاتمي نظماً

عقد الخلائق الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقده

فعلم الحقائق هو المهيم على جميع العلوم والمحيط بها وقوله: "أنا اعتقدت الجميع لأن كل طور من أطوار المخالفين فهو عنده في شهوده ظهور من ظهورات الحق تعالى فيثبته من حيث الظهور المشهود له لا من حيث إدراكهم فإن إدراكهم محجوب وإلى الجهل وإن وافق العلم منسوب لكن يصدق عند المحقق أن يقال إنهم أصابوا أو يصدق أن يقال أخطأوا أما الإصابة فلمصادفة ظهور الحقيقة من ظهورهم بمبلغهم فإنها الظاهرة بكل مبلغ وأما الخطأ فلأنهم لم يشهدوا جهة الإصابة ولا باسروا فيما قالوه برد اليقين ولا ظهرت عليهم بشاشة التحقيق وإن هم إلا يظنون وإن هم إلا يحرصون إن الظن لا يغني عن الحق شيئاً فأعرض عن من تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وإذا اجتمعت العلوم الشرعيّة والحقيقيّة في واحد فهو الإمام الكامل والقطب والجهة والداعي إلى المنهج والمحنة وإحاطته باستعدادات الموجودات يحدو بكل أحد إلى وطنه فيسلك بكل أحد على طريق استعداده الخاص به ويخاطب كل واحد على قدر عقله فإذا رأى مريداً في مشهود ذاتي سمّاه بعبد الله إذ هو مقام من رأى بصفات يقال لها ذات من حيثيّة جمعها وصفات من حيث تفرقها والحق تعالى من وراء الضدين رؤية واحدة يتخذ فيها الرائي والمرئي فيرى اسمه عين مسمّاه وصفته عين موصوفة فإن من رأى الاسم والصفة غيرة تعالى لم تصح له النسبة إليه بالعبوديّة الذاتيّة أما إذا شهد الحق تعالى عن الأسماء والصفات بظهور أحدى الذات صحّت له العبوديّة الذاتيّة التي هي الحرية الحقيقيّة التي هي عدم تقيد الباطن بشيء سوى الحق تعالى مطلقاً من حيث هو.. وخلاصة هذه الحرية أن لا يصدر عن صاحبها في حقّه ولا في غيره فعل لأجل نفسه ولا لأجل غيره بل الله وحده بمعرفة تامّة وحضور تامّ وإذا رأى مريداً في مشهود وجودي سمّاه بعبد الرحمن إذ الرّحمة هي وجود ما بدا لأن ظهور ما ظهر إنما كان بالرّحمة الإيجاديّة وقد علمت إنه ما ثمّ إلا الوجود ومراتبه وقد اقتسمه هذان الإسمان فأخذ الاسم الله المراتب وأخذ الرحمن الوجود ولما كان الله جامعاً لكل

شيئاً وكان الرحمن جامعاً لحقائق العالم وما يكون فيه وهذا قيل: "رحمن الدنيا والآخرة" ولهذا قيل لهم "ادعو الله أو ادعو الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" وإنما لم يقل قلها "لإحادهما في المدلولية" فهما اسمان علمان للحق تعالى ثم إنّ دُعائهم إنّما هو تعلّقهم بالحق تعالى لمنافعهم على قدر معارفهم وهي عند اسمه الرحمن وهذا السم الرحمن يتضمّن جميع الأسماء الحسنى إلا الله فإنّه له الأسماء الحسنى والرحمن وما يتضمّنه من الأسماء يتضمّنه الاسم الله فكل من ينادي الله تعالى فإنما ينادي منه الرحمن خاصّة وينادي من الرحمن الاسم الذي تطلبه الحقيقة الدّاعية إلى الدّعاء وإذا رأى الكامل مريداً مشهده من مرتبة أخرى من مراتب الأسماء الجزئية سمّاه بذلك الاسم المناسب لمقامه ومشهده "عبد الواحد وعبد اللطيف وعبد الجبار وغير ذلك". جعلنا الله وإياكم معنٍ يُدعى في حضرة الجميع بعبد الجامع إذ هي حضرة الذات الجامعة للأسماء والصفات والأفعال والنّوات.

وصية:

وأما الوصية الموعود بها فاعلموا إخواني سلك الله بكم طريق المروءة وأشهدكم حقيقة الحضرة لما ساق بي التقدير الإلهي إلى بلاد أنربيجان فصادفت في قرية من قرأها تُعرف "بكنجاخان" أي رؤية الروح. شيخاً يُقال له محمّد بن الصديق بن محمّد قُتس الله سرّه. وكان رجلاً موفّقاً للتصريف في أبناء النّوع ملكوهم ورعيّتهم مؤمنهم وكافهم لا يخالفه أحد فيما يأمرهم به وينهاهم عنه وكان يتصرّف في باطنهم أحوالاً وأبداناً أحكاماً وآراءً بقانون شرعي حكميّ وتفهمٍ لنبيّ إلهي كان يعبر بلسان أبناء السبيل عمّا أودع في سورة التنزيل وينطق بلسان أبناء السبيل والطريق عمّا أودع في سرّه من التحقيق.

وكان يعطي كل ذي حقّ حقه على بصيرة غير هائبٍ لإعتراض منتقِدٍ فأخذني بكلتا يديه وأقامني تحت تصرّيفه بين يديه منذ سمع سنين فلما أُنزل لي بالسفر إلى بلاد الشام ودار الإسلام وصّاني بهذه الوصية بلغته فغفرتها أنا بالعريضة قال قُتس الله سرّه: يا حبيبي عليك بالتمسك بعروة المروءة في جميع حركاتك ومساكناتك عادةً وعبادةً، فإنها صبغة جامعة لكمال الإنسانية وهي نعت أهلك آدم في ذلك لأنّها اسم اشتقت من المرء وهي لفظة وضعت لمعان كثيرة ولقعة على محاسن جمّة من مكارم الأخلاق وممداح الأوصاف. قد جمعت مناقب الأنبياء والأولياء وخصائص

السُّادات والكبراء وخصال الملوك والوزراء وهي همة من قلوب الأشراف من بني آدم وليس بعد مقام المعرفة التامة مقام أعلى من مقام المروءة وهو المقام المسمى بالتصوّف الذي هو حسن الخلق وأدنى مرتبة المروءة الاشتغال بالله عن كل ما سواه عبودة وأعلاه الفناء في الفردانية وهي حضرة الجمع أعني حضرة الذات المقدسة التي تستغرق الأسماء والصفات والمروءة فضل الإنسان على سائر المخلوقات ملكاً وملكاً وجميع العبادات الدينية والأخلاق الرضيّة المرضيّة نتيجة المروءة ولولاها لم يحفظ أحدٌ جوارحه عن الرزائل اللهم أحفظنا بحفظك الذي لا يُرام وأكنفنا بكنفك الذي لا يُضام وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الأطهار وقُدّس الله أوليائه الأبرار.

رسالة الأفكار الموصلية لحضرة نور الأنوار

"بسم الله الرحمن الرحيم"

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

يقول الفقير من الفقير إلى الفقير حسن بن حمزة بن محمد الشيرازي الصوفي المعروف بالشرف البلانسي أدار الله كؤوس عقار مدام دوام حبه وذكره على قلبه وروحه وعقله وسره وسقاء تصديق تحقيق رقيق قربه وبره بأبريق طريق بريق عرفه وذكره على سماع أنعام أوتار آثار أنوار أمواج بحر الوجود وبره

"بسم الله الرحمن الرحيم"

الحمد لله الذي رَوَّحَ القلوب بسماع كلامه الذي هو الضياء والنور جلاء للكروب وشفاء للصدور يزيد في الخلق ما يشاء من حسن النعم والأصوات ويهدي مَنْ يشاء إلى عجائب ما فيها من المعاني والصفات تهتز بشوقه الشعائر وترتاح وتطمئن بذكره القلوب والأرواح قصّر بصر العارفين على ملاحظة قس حضرته ووقفها على مشاهدة عجائب قدرته صرّف إليه ضمائرهم وأفكارهم وحجب عن غيره بصائرهم وابصارهم فيه سماعهم وإليه استماعهم شغلت عما سواه أبصارهم وأسماعهم فهم الذين أخذهم الله عن جميع الأغيار وجعل قلوبهم خزائن الأسرار ومعادن جواهر الإنكار والأفكار. أحمده على ما خص أوليائه باللطاف المشاهدات وأضاف الكاشفات بعد العبور على طريق المكابدات والمجاهدات وأصلي على سيّد السادات ومقنّم الكائنات ومشرّع الأسماء والصفات محمد ذي المعجزات الباهرات والدلائل والآيات وعلى آله ذوي الحجج الواضحات وعلى أصحابه الأنجم الزاهرات وعلى إخوانه الشمس المشرقات وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد فقد التمس مني بعض إخواني في الدين وأخذاني في طلب حق اليقين وأقراني في سلوك الطريق وخلاني على التحقيق أن أكتب له رسالة موجزة وعجالة مختصرة تشتمل على ما حصل لي في خلوتي من إنكاري ومناجاتي بأنواع الأسماء الإلهية المناسبة لأحوال أصحاب الهداية وأرباب التوسط وأهل النهاية وسماً ورسماً وعلماً وحكماً ومعرفةً وذوقاً وشوقاً ووجداً وعشفاً وكشفاً وشهوداً وحقيقةً ووجوداً.

من الأحوال الغريبة والآثار العجيبة والأنوار الشريفة والأسماء اللطيفة فأشفعتهُ بملئَمسه وأظفرتهُ بموجب مقترحه ومقتبسه وسميتها رسالة الإنكار الموصلة إلى حضرة نور الأنوار

وربيتها على مقدمة وأنوار وخاتمة وأسرار .

تنبّه الغافلين وتوقظ النائمين وتهيج شوق الطالبين وتحرك بلابل العاشقين وتحثُ ركاب السالكين حتى توردهم شارع اليقين وتوصلهم إلى رتبة العارفين الواقفين فيصبحون من الفائزين الفرحين المستبشرين المبتهجين بحضرة جلال رب العالمين.

المقدمة: في بيان وحدانية الله تعالى

اعلم أَيُّكَ الله برّوح منه وأمدك بنورٍ من لونه. إنّ الله عزّ وجلّ قد وصف نفسه في القرآن المجيد بنوعين من الصّفات الإلهية أحدهما: "الإجلال" وهو إشارة إلى الصّفات السلبية، والثاني: "الإكرام" وهو إشارة إلى الصّفات الثبوتية الإضافية فقال سبحانه وتعالى: "تبارك اسمُ ربِّكَ ذو الجلال والإكرام" والإلهية هي حقيقة جامعة للآزم السلب والإيجاب إذ الكلّ مستندٌ إليه تعالى ومحتاجٌ إليه وهو مستغنٍ عن الكلّ. وما كان كذلك كان واحداً مطلقاً وإلا كان محتاجاً إلى أجزائه. فالإلهية من حيث "هي، هي" تقتضي الوحدة والوحدة لا تقتضي الإلهية. وأما الذات المقدسة الأحدية فهي حقيقة أحدية تكون عنها الكثرة والوحدة ولا يصحُّ هذا إلا في جناب الحق سبحانه وتعالى خاصة.

وأما في قضية العقل فلا يصدر عن الواحد إلا واحداً أبداً وأما الذات الأحدية فهي حقيقة أحدية تكون عنها الكثرة والوحدة في حكم الشهود لأنّ أحديّة الحق سبحانه خارجة عن حكم العقل وطوره فلا تدخل تحت الحكم. فكيف يدخل تحت الحكم من خلق الحكم والحاكم هيهات ليس للعقل الأحدية أبداً والحق تعالى قد تعقل به الأحدية وقد يُنقل بالإضافة لأنّ الكلّ له وبه ومنه وإليه "وهو إذ هو" عين الكلّ لا كلية جمع بل هو حقيقة أحدية تكوّن عنها الكثرة والوحدة فالأحدية والصّمدية لله الواحد الأحد القهار جلّ جلاله وعظمته وعزّت أفضاله وهو فوق مقادير العقول بدليل قوله وتعالى.

"وهو القاهر فوق عبادة وهو الحكيم الخبير" فمعرفته سبحانه لا تكون إلا بالعجز عن معرفته إذ ليس كمثله شيء فقول القائل: ليس كذا وليس كذا مع كونه يثبت له تعالى ما أثبتته لنفسه إيماناً لا من جهة عقله ونظره فليس يعقله إلا القبول منه فيما يرجع إليه. فهو الرحمن الرحيم الربُّ الملك القدوس السَّلام المؤمن المهيم العزيز الجَبَّار المتكَبِّر الحيّ العالم المريد القادر القاهر الجوّاد المقسط الحكيم والخالق والبارئ والمصور.

فهذه وأمثالها من الصِّفات أخبرنا بها عن نفسه فنحن نؤمن بذلك كلّ عن نفسه فنحن نؤمن بذلك كلّ كما علمه بذلك. لا على تأويلٍ منّا لذلك فإنّه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فلا يضبطه العقل ولا الناظر فما لنا من العلم به تعالى من طريق الإثبات إلا ما أوصله إلينا في كتبه وصحفه وعلى ألسنة أنبيائه المترجمين عنه ليس غير ذلك ونسبة هذه الأسماء وغيرها إليه تعالى غير معلومة عندنا فإنّ المعرفة بالنسبة إلى أمرٍ ما موقوفة إلى علم المنسوب إليه وعلمنا المنسوب إليه ليس بحاصل فعلنا بهذه النسبة الحاصلة ليس بحاصل فإنّ كلّ ما لا يمكن حصوله إلا بالوهب الإلهي من طريق الكشف والشهود والمشاهدة والرؤية والتعريف الربّاني والتعليم الرّحمانيّ فحصوله من غير هذا الطريق محال وقد عرفت مأخذ العقل من أين تركيب براهينها وأدلتها فالقصور بها منوط والإقدام على هذه الأمور غير حسن فلا سبيل للتعرّض لنفي الصِّفات ولا لإثباتها إلا "إيماناً" بل والمشاهد والمكاشف والرأني كلّهم يضربون في حديد بارد فالأولى لأصحاب العقول وأهل النظر بالفكر والوجود الوقوف والإقرار بأحكام الصِّفات فإنّ من أثبت أعيان الصِّفات زائدة على الذات المقدّسة الموصوفة بها فقد أثبت العدد والكمّ في الله سبحانه وهو تعالى واجد من جميع الوجوه فلا يقال لا يلزم من هذا إثبات العدد على وجه ما فإنّا نقول: ثمّ ما هو أشدّ عليهم من العدد والكمّ وهو إن تكون الذات المقدّسة كاملة بغيرها إذ كلّ كامل بغيره ناقص في ذاته. تعالى الله الواحد الأحد عن أن يكون كاملاً بغيره وأما من نفى أعيانها خوفاً من مثل هذين المقامين أمّا الكمّ وأما العدد ليقاها أمرٌ آخر وهو أن الحكم لا يقدر من جهة الدليل الذي قدّسموه على معرفة الله تعالى أن يثبت هذه الأحكام للذات مجردة فإذا أثبت كونه قادراً لنفسه وقع الفعل أزلاً وهو محال وإثباته

قادرٌ لنفسه مُحال فلم يبقَ إلا أن يُعلمَ إنَّ الأسماءَ للذَّاتِ المقدَّسة هي أحكامٌ ترجعُ من المحدثاتِ إليها وهي قسمان: معلومة ومجهولة.

أما المجهولة: فلا كلام فيها حتَّى تُعَلَّمَ.

وأما المعلومة: فهي على أقسام منها ما يدلُّ على عين الذات المقدَّسة لإيقاع التمييز للسامع مع من العبارة ويُسمَّى مرتجلاً أو حامداً.

وهذا الاسمُ لولا نحنُ ما أطلق عليه ومنها ما يُعقلُ منه معنى زائد على الذاتِ المقدَّسة أم لا، ففيه توقُّفٌ بالنظر إلى العقل فإنَّ دلَّ على عين فهل هو عين الذات المقدَّسة ومن صائرٍ إلى إنَّه ذاتٌ زائدة وثمَّ اسمٌ يُعقلُ منه سلبٌ ما لا يليق بالمسمَّى (كالقُدُّوس) وثمَّ اسمٌ يُعقلُ منه إضافةٌ ومسلوبٌ معاً مثل (القَيُّوم) ومعنى هذا كُلُّهُ فمنا نعقله لا منه.

تنبيه: في (الفرق بين وروو الاسم بما يراو به المسمى ووروو بما يراو به اللفظ الراءل على المسمى)

اعلم إنَّ الاسم قد يردُّ ويُراد به المسمَّى ويَرُدُّ ويُراد به اللفظ الدَّال على المسمَّى فالخلاف في هذه المسألة لفظيٌّ ليس بأيدينا على الحقائق أو "الحقيقة" مِنَ الحقِّ تعالى إلا أَسْمَاؤه ولا يُعقلُ منه غيرها وبهذه النسبة سَمَّيْنَاهُ معروفاً ومعلومًا ومنكوراً ومستباحاً وممجَّداً وسَمَّيْنَاهُ أَنْفُسَنَا عَارِفِينَ، عَالَمِينَ، ذَاكِرِينَ، مُسَبِّحِينَ، مُمَجِّدِينَ، وهذا لا يقعُ التَّسْبِيحُ والتَّقْدِيسُ إلا على الاسم. قال تعالى "سَبِّحْ اسمَ رَبِّكَ الأَعْلَى وتَبَارَكَ اسمُ رَبِّكَ نُورُ الجَلالِ والإِكْرامِ" والاسم ليس إلا علامة للمسمَّى يُعرفُ به عند الغيب ما احتجَّ إلى الاسم إذ الإشارة تتنفي في الحضرة فكيف العبارة فإنَّ قِيلَ المسمَّى لم يزل حاضراً ظاهراً لم يَغِبْ قط ولا يَغِيبُ. والعالم لم يظهر قط ولا يظهر أبداً فمن أين حدث الاسم؟ أهو أمرٌ حُثِّثَ من الأثر؟ أو هو أمرٌ يَكُونُ عند الأثر؟ أو كلاهما؟ قلنا إنَّ أريدَ بالاسم غير المسمَّى فالاسم يُحدثُ من الأثر. وإنَّ أريدَ بالاسم المسمَّى وهو ما كان مركباً تركيباً معنوياً أو حسيّاً أو غير مركباً تركيباً معنوياً أو حسيّاً كلفظ وجوده مثلاً "رحيم" أي ذات رحمة فالمسمَّى بهذه التسمية هو عين تلك التسمية..... بين ذات ورحمة حتَّى جعل عليها من هذه التسمية اسم فاعل

وإن كانت التسمية جامدة لا يُعقل منها غير الذات فليست بمركبة تركيباً مثل "إنسان" تحت مركب حسي.

تنبيه: في الفرق بين الاسم والرسم

اعلم إنَّ الفرق بين الاسم والرسم حالٌ للعبد في الوقت من الأسماء الإلهية عند الوصل وهو إدراك الغائب وإنَّ الرسم نعتٌ يجري في الأبد بما جرى في الأزل والفرق بين النعت والصفة، إنَّ النعت هو ما طلب النسبة المدعية كالأول والآخر وإنَّ الصفة هي ما طلب المعنى الوجودي كالعلم والعلم.

تنبيه: فيما نهى الله عنه

اعلم إنَّ الله سبحانه وتعالى من رأفته بعباده حذر نفسه فقال تعالى "ويحذركم الله نفسه" فالله رؤوفٌ بالعباد معناه لا تتفكروا في ذاته وقال رسول الله "صلعم" تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله. وقال عليه السلام "كلنا في ذات الله حمقاء" وإنما نهانا وحذرنا عن التفكير في ذات الله عز وجل لأنه غير ممكن وذلك لأنَّ الفكر في الشيء مسبقٌ بسبق تصوُّره وتصوُّركه حقيقة الحق تعالى غير ممكن فالذكر فيه غير ممكن فعلى هذا لا يمكن الفكر إلا في مخلوقاته تعالى وأما في ذاته تعالى فمحالٌ فإنَّ الذات المقدسة من حيث هي لا تُعقل. أما من حيث إنها منوثة بالإلهية فإنها تُعقل ولا تكتشف وإذا كان الحق سبحانه فوق مقادير العقول ولا تقوم دلائل العقول عليه تعالى ولا سبيل لها إليه لأنَّ حضرة جمعه هي أحدية يكون الموصوف بها وصفه في شهود الشاهد فالشاهد هو ليس غير المشهود هُنالك فالعقل معقولٌ عن إدراك جمع الجمع فضلاً عن إدراك أحدية الجمع فأدلة العقول إذا لا تتركه ولا شك إنَّ سبيل العقول هي التصرف في المقولات العشر بالكليات الخمس وجميع العقول لا تتجاوز ذلك والمقولات بأسرها والكليات بأجمعها هي مأخوذة من تشبيه خفي في الأشخاص والأشخاص هي جميع ما يترتب عليها المحيط التاسع إلى مركز الأرض وهي شخص واحد من أشخاص أنواع غير متناهية في النوع فكيف في الشخص وهي من عالم الخلق وعالم الخلق لا يدرك عالم الأمر فضلاً عن إن يدرك الحقيقة الأحدية الجامعة للعالمين.. قال سبحانه وتعالى "ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين" فإذا لا دليل على الله إلا الله ولا سبيل إلى الله

إِلَّا بِاللَّهِ بَلْ يَعْرِفُ اللَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهَ وَلَا يَرَى اللَّهُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهَ.. وَأَفْعَالَهُ صِفَاتُهُ.. وَصِفَاتُهُ لَا تَغَيِّرُ ذَاتَهُ.. فَهُوَ لَا هُوَ وَلَا هُوَ إِلَّا هُوَ.. وَأَدْرُ الْقَوْلَ مَعَهُ كَيْفَ شِئْتُ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَاعْلَمْ إِنَّ سَبِيلَكَ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِكْرَ النَّظَرِ وَالتَّعْلِيمِ كَمَا هُوَ وَأَبُ الْفَلَسَفَةِ وَمَنْ نَحَا مَنْحَاهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ مِنْ طَرِيقِ قِيَاسِ الشَّاهِدِ عَلَى الْغَائِبِ وَالْإِثْبَاتِ إِنَّ شَبْهَهُ وَبِالسَّلْبِ إِنَّ نَفْسَهُ وَالْقَطْعَ فِي الطَّرِيقِ دُونَ بُلُوغِهِ إِلَى التَّحْقَاقِ.. وَبَاتَ بَيْنَ مَقَامِ النُّقْلِ وَالتَّقْلِيدِ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى مَقَامِ التَّجْرِيدِ وَالتَّفْرِيدِ..

فَضْلًا عَنِ الْوُصُولِ إِلَى مَا فَوْقَ مَقَامِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَلَا يَصِلُ أَبَدًا إِلَى مَا يَتَلَجُّ فِيهِ الصُّورُ وَلَا إِلَى مَا يَحْصُلُ بِهِ الْيَقِينُ وَالتَّوَرُّ.. وَقَدْ أَخْبَرَ رَئِيسَ فِلَاسَفَةِ الْإِسْلَامِ أَحَدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ: الْغَارَابِيِّ - ابْنُ سِينَا - نَصِيرَ الدِّينِ الطُّوسِيَّ.. " عَنْ انْقِطَاعِهِ فِي عَدَمِ وَصُولِهِ إِلَى التَّحْقِيقِ فَقَالَ نَظْمًا: " فَيَا عَجِبًا "

فِيَا عَجِبًا إِنَّ كُلَّ أَمْرٍ
طَوِيلُ الْجَدِّ إِلَى رَقِيقِ الْكَلِمِ
يَمُوتُ وَمَا حَصُلْتُ نَفْسُهُ
سَوَى عِلْمِهِ إِنَّهُ مَا عَلِمَ..

وَقَالَ أَيْضًا..

عَدِيتُ مِنْ يَ بَدَنَّا
إِنْ كُنْتُ أُدْرِي مَنْ أَنَا..

وَقَالَ مُوَفَّقُ الدِّينِ ابْنُ الْحَدِيدِ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ نَظْمًا..

فِيكَ يَا إِبْغْلُوطَةَ الْفِكْرِ
حَارَ فِكْرِي وَانْقَضَى عَمْرِي
سَافَرْتُ فِيكَ الْعُقُولَ فَمَا
رَبَحْتُ إِلَّا أَذَى السَّافِرِ
فَلَحَسَى اللَّهُ الْأَكْثَى زَعَمُوا
إِنَّكَ الْمَعْرُوفُ بِالنَّظَرِ
كَذَبُوا إِنَّ الَّذِي زَعَمُوا
خَارَجَ عَنْ قُوَّةِ الْبَشَرِ

وَقَالَ رَئِيسُ الْمُتَكَلِّمِينَ.. " فخر الدين الرازي: "أنا أعرفُ الله تعالى بالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَالفِكْرِ.. فَلَمَّا نَدْتُ وَفَاتَهُ اسْتَغْفَرَ وَقَالَ: نَهَايَةَ مَا عَلِمْتُ بِالنَّظَرِ وَالفِكْرِ إِنِّي عَلِمْتُ شَيْئًا وَأَكْثَرَهُمْ بَلْ جَمِيعَهُمْ اعْتَرَفُوا إِنَّهُمْ مَا عَرَفُوا شَيْئًا. وَإِنَّمَا مَنَعَهُمْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى

الواحد الحقّ استناد علومهم إلى صور الأشياء وهي التعيينات العدميّة المسماة بالفرق..

وهي ما تمتاز به الأشياء بعضها عن بعض ويمتاز الحق تعالى عنها.. وهي نسب في الوجود..

وإلا لما كان عنها عبارة إذ العبارة نفع باعتبار الوجود إذ فيه التمايز في العدم.. فاعجب لها من متلازمين متقابلين فالتمييز في الوجود.. لا بالوجود وبالعدم لا في العدم.. والتعيينات هي عالم الخلق وهي البرزخ.. ولكنها أعداماً فلا نسبة للعدم إلى الله تعالى لأنه الوجود البحت الصّرف المحض وما سواه عدم صرف وتفرقة محضة.. وأما الجمع المقابل لهذا الفرق فهو ما به تشارك الموجودات وهو الوجود. وصفة استنادهم إلى صور الأشياء كما مر.. إنهم انتزعوا من المحسوسات صوراً ذهنيّة هي تلك التعيينات. التي أشرنا إليها بعينها فوجدوا تلك الصور في أذهانهم متمايزة متعينة فأضافوا الأشياء إلى أشباهها وحصروها في كليات خمس وهي:

الجنس، والنوع، والفصل، والخاص. والعرض العام. وحصروا ما تتصرف في الكليات الخمس في مقولاتٍ عشر وهي: الجوهر.. ولتسعة أعراض وهي: الكم، والكيف، والإضافة، والأين، والمتى، والوضع، والجدة، وأن يفعل وأن يفعل.. وقد جمع بعضهم الجميع نظاماً.. حيث قال:

سهل الطويل الأسود بن مالك
في بيته بالأمس كان متكئ
بيده سيف لواءه فالتوى
فهذه العشر مقولات سوي

كل هذه صور الموجودات ولذلك لا تحمل إلا على صورة صورة مثل قولهم كل "ج. ب" أي كل صورة من صورة الجيم فهي صورة ما من صور الباء والصورة مجهولة غرارة نعوذ بالله منها والشبهات هي الصور على اختلافها وعلى حقائق نسب متمايزة تحجب عن الحق تعالى ولا تدل على التوحيد بل تدل على الشرك. فمن كثرت تعلقاته.. عسر خلاصه من الحجاب فحظ كل إنسان..

من الحجاب لحظة من التعلُّق بالصُّور فإذا تجلَّى الحق بانوار وحدانيته على القوة الباهرة من حضرة الاسم الظاهر تعلَّق الإدراك بالأنوار اللامعات والجماليات الظاهرات.. ورؤي الحق الحق في جميع الممكنات فضلاً عن صُورها وتقني الصُّور حال شهوده بل الأغيار والسوى بأسرها في نظر المتجلي له لأنَّه إذا اظهر من لم يزل فهي من لم يكن وفناؤه بوجه عجيب غريب عند الاسم وهو أن تصير هي.. هو.. في شهود الشاهد فإن قيل من لم يكن لا يقال فيه يفنى..

لأنَّ الذي يفنى في العرف فلا بُدَّ أن يكون له تحقق ما.. وذلك كون ما كيف يُقال في إنه لم يكن.. الجواب.. قلنا من عرف التَّعِينات والنَّسب والإضافات المسمَّاة بالأغيار وبالسوى والحرف وغيرها من أسماء الصُّور.. علَّم أنَّ من لم يكن كيف يفنى وذلك أنَّ الذي كان يراه قيل وصوله إلى شهود مقام كان الله ولا شيء معه غيره صار في شهوده عيناً وإلاً فالحق تعالى لم يزل ظاهراً ولا يزال كذلك إذ ما ظهر سواء ولا يظن غير ويلزم غاب وظهر للقوى والأوهام ولا يلزم.. للحقيقة منها بشيء.. وكيف يلزمها ومنها.. منشأها فالمعلوم لا يصير موجوداً أبداً كما إنَّ الواجب لا يصير محالاً أبداً لأنَّ الحقائق لا تتقلب وإليه الإشارة في القرآن المجيد بقوله تعالى: "لا تبديل لكلمات الله ولا تبديل لخلق الله.." فالإثبات راجع إلى المثبت لأنَّه ما أثبت إلا ما هو عليه في نفسه والسلب راجع إلى العدم والعدم نفي محض لأنَّه عبارة عن اللأوجود وهو ولا يقال هو إلّا.. لضرورة التفهيم.. اسم ليس له مسمي وحقيقة متصلة.. بل هو الفاظ دالة على لا شيء من كل وجه وهي "العين والسدلي.. والميم" وهذه الحروف التي تركب منها هذا الاسم هي موجودة ذهنياً ولفظاً وخطاً لا عيناً ووجوداً وذاً وحقيقة محصلة ومالا وجود له في الخارج والأعيان فهو باطل من حيث معناه..

وحق من حيث حروفه فإنها موجودة في ثلاث مراتب من مراتب الوجود أعني: ذهنياً ولفظاً وخطاً، لا عيناً وثبوتاً وحصولاً وغاية أحدهم الثبتين والنفاء إذ انتهى إلى نهاية مقامه أعني مقام العلم العرفي النظري الفكري أن يعترف بجهله ويدَّعي إنه علم أن ما علم وهذا طريق مُبعد ومُجهل لا مقرب ولا مُعرف فإنَّ العلم بالسلب سلب العلم وهذا العلم إلى الجهل أقرب منه إلى العلم وإلى العمى والحجاب أقرب منه إلى البصيرة والكشف والملوب والإضافات والنسب والتعينات كلها

عدميات فأين العلم بالله؟ هيهات ولا يحيطون به علماً فإنَّ للمقيّد بمعرفة المطلق والمحدث بمعرفة القديم والممكن بمعرفة الواجب "ما للتراب وربُّ الأرباب" ويدخل إلى الملوك بإنّ حجابها، فمن سبّح في بحر الأفكار العقلية بالوسائط الخيالية فهو الحائر الذي لا يهتدي أبداً فإنّه يطلب من كل شيء حقيقته فإنّه إذا قال وجدت وقد حصلت ما كنت طلبته فقد خسر وسقط في يده من حيث لا يشعر.

فالسعيد من أهل الفكر والقلب من لا يثبت له قدم ولا يستقرُّ به منزل ولا يتنفس الصعداء ويقول انقضى العمر وما أنتج طلبي إلا الحيرة والقصور فذلك أسعد أهل الفكر ونعوذ بالله من ظلمة الأفكار.

جملة سارية في كتب الصوفية لم أعرف قائلها وهي واضحة. فيما لا ينبغي أن نفكر فيه، فالعالم المحقق من أتى البيوت من أبوابها وطلب الحكمة من أربابها ولم يأتها من ظهورها فثمة علوم لا تحصل إلا من طريق المشاهدة أو العين وملازمة الذكر فلا تصل الأفكار إليها أبداً لمعرفة الذات المقدسة والنشأة الآخرة وأحكامها وشبه ذلك.

وأما من سلك إلى الله عز وجل بطريق الذكر والتسليم واعتصم بالله وجاهد في الله حق جهاده على يد سالك عارف مرشد كامل من حيث التعينات لا من حيث التيقنات ومما يمتاز به بل من حيث الشهود وصلة بالوجود كما هو ذاب الصوفية أهل الجمع والوجود والرزق والشهود والكشف الحقيقي والتجلي الكلي فإنه يصل ويعرف أن الحق تعالى لا يشهد إلا بعين الجمع المقابل للفرق والجمع هو ما به تشارك الموجودات وبه تجتمع المتفرقات وتأنف المتباينات والتباين هو بالتعينات مع العدمية فإن إدراك الفرق صعب لأنه بحر مغرق. غرق فيه الأولون والآخرون إلا أهل شهود الوجود لكن الغريق في هذا البحر ناج سعيد وأما الناظر إلى هذا البحر من سيفه وساحله المشفق على نفسه من طوله فهو ناج محروم ولقد غرق في غمرات الجهل من ليس له دليل ومرشد كما يغرق في بحر الدنيا من ليس له سفينة ولا دليل وهم الأكثرون إذ الناس كثيرون والعلماء منهم قليلون والعلماء كثيرون والعارفون منهم قليلون والعارفون كثيرون والواقفون منهم قليلون والواقفون كثيرون والراؤون منهم قليلون والراؤون كثيرون والجلساء منهم قليلون والجلساء كثيرون وجليس العزيز منهم واحد فرد لإنفراده بالوجود عن العدم وبالذات عن الأسماء حتى

عن الاسم العلم وله في هذا المعنى نظماً وهو جواب سائل سألني في مدينة الموصل عن مذهبي بطريق الإستهزاء فقلت له:

يا سائلاً عني ليعرف مذهبي	هيهات دونك مانع ومنيع
أن كنت تتكرني أنا الفرد الذي	لا تابع أبداً ولا متبوع
يا سائلاً عني ليعرف مذهبي	هيهات دونك مانع ومنيع
إن كنت تتكرني أنا الفرد الذي	لا تابع أبداً ولا متبوع

فلما سمع هذين البيتين أنكر عليّ وكفرني وجرت لي معه وقائع ليس هذا موضع ذكره وبالجملّة قلت لهم اسمعوا معناهما ليزول عن نفوسكم الإنكار قالوا: قل فقلت لهم اعلموا فتح الله أعين بصائرهم أنّه كما إنّ الحق سبحانه وتعالى انفرد بالوجود وليس معه سواه حتى نطلق عليه "إنّه تابع" أو متبوع" لأنّه فرد في الوجود بل هو عين الوجود وما ليس بوجود فهو عدم محض فلا يتبع المحقق في القدم ولا يتبع فكذلك الإنسان انفرد بالعدم لرجوعه إلى أصله فإنّ عدم وصفه المحقق في القدم كما قال تعالى "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً..." وقال عز من قائل لذكرنا عليه السلام "قد خلقتك من قبل ولم تكن شيئاً..." أي ولم تكن موجوداً إذ الشيء اسم للموجود وما ليس بموجود أصلاً فهو معدوم حقيقة والمعدوم لا يتبع الموجود ولا يتبعه الموجود فسلموا واستغفروا وشكروا بشيء من الدنيا فثبت إن الطريق الموصول إلى الحق هو من حيث التعيينات التي هي أول وجوده وفيض جوده وتجليات نوره في العالم في أطوار ظهوره فإذا اعتبرت من حيث شهود الوجود كانت أنواراً فائضة وأسراراً بادية من نور ظهوره وأما إذا اعتبرت من حيث التعيينات وهي الإمتازات العدمية والفروق العدمية كانت ظلمة بادية من فوت مرام الحق وإلى مرام الحق آية. ولما كان الحق سبحانه هو الوجود المحض كانت المعلومات مثل من فاته الوجود وفاته أيضاً أن يزوم الوجود فإنه لو رآه الوجود لكان له نصيب من الوجود إذ لا يطلب الشيء نقيضه لأنه إذ ذاك لا يكون طالباً ما يطلبه فكأنه يكون على هذا التقدير ليس عذماً إذ ذاك لا يكون طالباً ما يطلبه لأن ما يطلب عذمه فهو وجود لكن التقدير إنه عدم قفازت بهذه الجهة مرام الوجود فتعنيها هو في مقام فوت الوجود وذلك هو العدم ولما كان الحق سبحانه

وجوداً محضاً وفوت الوجود هو العدم. فالظلم أعدام ومنشأها في فوت المرام ثم هي إلى فوت المرام آية أي راجعة فإن العدم إنما يرجع إلى العدم ولما كان الوجود لا يظهر إلا جزئياته كان العدم لا يظهر إلا باعتبارات تقابل تلك الموجودات وهي أيضاً جزئية ولما كان حظ الوجود المحقق أن يكون في الخارج كان ما هو من الظلم فيما يقابل وهو الداخل ويعني به الذهن.

سؤال: لا يقال إنَّ الذهنيَّات موجودات ذهنيَّة وأنَّ قلتُ إنَّ هذه أعدام فكيف تفرضها في الذهن؟ وجواب: ذلك يقتضي لها السبب الموجود وإن كان ذهنيّاً الجواب: لأن نقول لا شك إنَّ في الذهن سلوباً وتصوراً السلوب هو وجودي والسلب نفسه عدمي فالتصور هو الذي أوهم أن يكون ذلك العدم الإضافي عن عدم إن كان يُعدم فمعناه إنَّه لم يقع أخبار وحينئذ يبطل التفاهم بين المتخاطبين فاضطر الحال أن يُستعار لهذا النوع وجوداً أو أضعف الموجودات هي الذهنيَّات وكل ما يعتريه الذهن اعتباراً ولا وجود له في الخارج فإنَّها ظلم ولذلك لا يتحقَّق إلا باعتبارات الموجودات والسلوب كلها من الظلم لأنَّ الموجود هو النور وهو الحق والعدم هو ما يقابله وهي الظلمة وهي الباطل ولهذا من سلك إلى الله تعالى من حيث التعيُّنات العدميَّة لم يهتد إلى باب القدس ولم يصل إلى روح الإنس ولا إلى جنان القدس فمن اقتصر من السَّالِكين إلى الله تعالى على الموجود ووقف مع السلب أفلح وقال بالشهود وفاز بالخلود وظفر بالقصور ووصل إلى المعبود وأضاء بأنوار الوجود وظهر بفيض الجود لأنَّ الجود هو النور وهو ماهيَّة وبه الظهور فهذا ما أَرَدنا ذكره في هذه المقدِّمة والله الهادي والمرشد وتمَّتْ الرسالتان في الحكمة المتعالية والفكر الروحي.

فهرس المحتويات

٥	تقديم
٩	كتاب فرائد القوائد الطوية في قواعد الطلاد الطوية
٩	ديباجة الكتاب
٢١	المبلمة
٢٩	المقدمة (التنكرة والموعظة) فواع الإترك.
٧٣	خلاصة المقدمة الأولى
٧٧	فواع البيت الإلهي الأربع
٨١	المقدمة الثقية الأركان الأربعة
٨٦	لرواح الحوانات
٨٧	عزرائل وتوحد الأفعال، القلم
٨٨	مظاهر فواع
٨٩	ظلال مظاهر الأركان
٩١	صور الظلالات الأربعة
٩٣	الإتمان الكامل ونطق الوجود
٩٤	الإتمان وجمعه الجموعات.
٩٥	تسلسل التكوين
٩٧	إلفضة الوحدة
٩٨	لمقدمة الثانية. لإلفضة الوجود
٩٩	لسرار الأربعة
١٠٠	الجنات الأربع
١٠١	خلاصة المقدمة الثانية
	القاعدة الأولى في بيان معرفة و إثبات وجود المعنى القديم وظهوره بذاته
١٠٦	ووجوده لإخلاله كخلقه
	لتنبه الأول في بيان معرفة إثبات وجود المعنى القديم من طريق الاستدلال عليه بالوجود.
١٠٦	وظهوره بذاته لإخلقه
١٢٢	لتنبه الثاني: الوجود والحركة والسكون
١٢٦	لتنبه الثالث: الوجود والمفعول والمنقول
١٣٩	لتنبه الرابع: في إثبات وحدة المعنى القديم

- ١٥١ _____ التنبيه الخامس: في إثبات وحدة الباري تعالى وظهوره في المنقول
- ١٥٢ _____ الوحدة والمنقول
- ١٥٦ _____ التنبيه السادس: وجوب المعرفة في إثبات ظهور المعنى القديم بذاته لخلقه كخلقه
- ١٨١ _____ التنبيه السابع: في بيان حكمة ظهور الحجاب بالبشرية لأمتهم
- ١٨٣ _____ القاعدة الثانية: في بيان إثبات وجوب المعرفة بالله تعالى على الإنسان العاقل البالغ الرشيد
- ١٨٣ _____ التنبيه الأول: في بيان السبب الموجب لإيجاد الخلق
- ١٨٥ _____ التنبيه الثاني: في بيان تنوع السبب الموجب الحق إيجاد الخلق
- ١٩٠ _____ التنبيه الثالث: في بيان مراتب المؤمنين
- ١٩١ _____ فصل فيمن زعم أن الله ظاهر بذاته تستحيل غيبته
- ١٩٤ _____ (القاعدة الثالثة) في بيان معرفة الإنسان نفسه وجوبها عليه إذ بمعرفتها يعرف ربه
- ١٩٤ _____ التنبيه الأول: في بيان معرفة أول ما يلزم الإنسان من معرفة نفسه
- ١٩٨ _____ التنبيه الثاني: في بيان وحدة نفس الإنسان
- ٢٠٠ _____ (القاعدة الرابعة) في بيان حقيقة الإيمان ومراتبه وصورته وروحه ومقامه ودرجاته وما يجب على المؤمنين من حقوق بعضهم على بعض
- ٢٠٠ _____ التنبيه الأول: في بيان حقيقة الإيمان لغةً وحقيقة
- ٢٠٢ _____ التنبيه الثاني: في مراتب الإيمان وصورته وروحه
- ٢٠٤ _____ التنبيه الثالث: في بيان مقامات المؤمنين السالكين إلى الله تعالى
- ٢٠٥ _____ التنبيه الرابع: في بيان درجات الإيمان
- _____ التنبيه الخامس: في بيان معرفة المسبب الموصول الذي هو عبارة عن الظاهر من حقوق الأخوان بعضهم على بعض
- ٢١١ _____ الخاتمة في بيان شروط الإيمان
- ٢٢٥ _____ رسالة تحفة الروح والإنس في معرفة الروح والنفس
- Error! Bookmark not defined. _____ مقدمة الرسالة
- ٢٢٥ _____ مقدمة الرسالة: في بيان ما أطلق عليه لفظ الروح
- ٢٣١ _____ التنبيه الأول: في بيان معرفة النفس الإنسانية عقلاً ونقلًا
- _____ التنبيه الثاني: في بيان ظهور نور الحق في العالم الأكبر والعالم الأصغر وترتيبهما ومرتباتهما
- ٢٤١ _____ إشارة عريضة

فهرس المحتويات ٢٧١

٢٤٣ تلويح لـ"وحي"

٢٤٤ تلويح لـ"وحي آخر"

٢٤٦ "وارد رباني"

٢٤٧ "تصيحة"

٢٤٨ التنبيه الثالث وهو الخاتمة.. في بيان حقيقة العلم.

٢٥٤ "وصية"

٢٥٧ رسالة الإنكار الموصلة لحضرة نور الأنوار

٢٥٨ المقدمة: في بيان وحدانية الله تعالى

تنبيه" في الفرق بين ورود الاسم بما يراد به المسمى ووروده بما يراد به اللفظ الدال على

٢٦٠ المسمى

٢٦١ "تنبيه" في الفرق بين الاسم والرسم

٢٦١ "تنبيه" فيما نهى الله عنه

٢٧١ فهرس المحتويات

